تاريخ الاحساء السياسي

(١٨١٨ - ١٩١٣)

تأليف الدكتور محمد عرابي نخلة
مدرس التاريخ الحديث
بمعهد التربية للمعلمين بالكويت

منشورات
ذات السلاسل

الإهداء

إلى ذكرى والدي رحمه الله

عرفاناً ومحبة وتقديراً

المحتويات

الفصل الرابع

الحملة العثمانية على الاحساء عام ١٨٧١

ويشمل :

ـ علاقة العثمانيين بالاحساء قبل عام ١٨٧١.

ـ أسباب الحملة العثمانية على الاحساء.

ـ معارضة الإنجليز للحملة .

ـ سير الحملة واحتلالها للاحساء .

ـ مقاومة السعوديين للحملة .

ـ محاولة العثمانيين التوسع في قطر والبحرين .

ـ مقاومة الإنجليز لتلك المحاولة .

ـ نتائج الحملة وأهميتها .

الفصل الخامس

الوجود العثماني في الاحساء ما بين ١٨٧١ـ ١٩١٣

ويشمل :

ـ مقاومة السعوديين للوجود العثماني في الاحساء .

ـ الوضع الداخلي ابان احتلال العثمانيين للاحساء ١٨٧١ـ ١٩١٣.

ـ علاقة العثمانيين في الاحساء ببلدان الخليج والصراع العثماني البريطاني في المنطقة ما بين ١٨٧١ـ ١٩١٣.

ـ استعادة الأمير عبد العزيز آل سعود للاحساء ١٩١٣.

الخاتمة

الملاحق

المصادر

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

يسرني أن اضع هذه الدراسة بين يدي القراء والباحثين العرب، والتي كانت في الاصل اطروحة تقدمت بها لنيل درجة الماجستير من جامعة الكويت عام ١٩٧٤ .

وقد تناولت في هذه الأطروحة دراسة تاريخ الاحساء في الفترة ما بين عامي ١٨١٨ و ١٩١٣، وهذه الدراسة تشمل أدواراً سياسية رئيسية ثلاثة، تعاقبت فيها على الاحساء قوى ثلاث لعبت أدواراً سياسية مختلفة في تارخ هذا الإقليم. إلا أنها كانت تتشابه إلى حد بعيد في سياستها الخارجية، اذ اتخذت تلك القوى وهي ـ الدولة المصرية في عهد محمد علي والدولة السعودية الثانية، والدولة العثمانية منذ ١٨٧١ ـ ١٩١٣ ، من الاحساء قاعدة للتوسع في بلدان الخليج. ولكن تلك السياسة كانت تصطدم في كل مرة بالسلطات البريطانية ذات النفوذ الأول في المنطقة في القرنين الماضيين. وكانت بريطانيا أنذاك تحرص على كبح جماح هذه القوى المنطلقة من إقليم الاحساء حتى لا تسيطر على طرق المواصلات البحرية في الخليج فتمتنع بريطانيا من الاتصال بمستعمراتها في الشرق وخاصة امبراطوريتها في الهند.

ولقد اتخذت بريطانيا من مقاومتها للقرصنة وتجارة الرقيق من ناحية ومن محافظتها على الامن في الخليج من ناحية اخرى الذريعة التي تتدخل بواسطتها لمنع أي قوى تنطلق من هذا الإقليم نحو بلدان الخليج التي تربطها مع بريطانيا معاهداتها صداقة وحماية.

ولقد بدأت إعدادي لهذه الدراسة في يناير عام ١٩٧٢ وعقب نجاحي مباشرة في السنة التمهيدية للماجستير، ولقد لاحظت أن بلدان الخليج العربي تحظى بدراسة وبحث الباحثين على اختلاف تخصصاتهم، وأن الباحثين في مجال التاريخ لا يقلون اهتماماً عن غيرهم، إلا أنني لاحظت ايضاً، أن الكيانات السياسية تحظى بقدر من الاهتمام اكثر من غيرها من الاقاليم التي ليس لها كيان سياسي مستقل والتي كان لها ماض عريق ، ويتوقع أن يكون لها مستقبل مشرق . ومن تلك الاقاليم الاحساء، ذلك الشريط الساحلي من المملكة العربية السعودية الذي كان له ماض مجيد.

وقد لا حظت أن اهتمام الباحثين به إنما ياتي عرضاً، فاثرت أن أفرد له بحثاً خاصاً أعالج فيه حقبة من تاريخه الحديث.

ولقد سرت في خطوات بحثي خطوة تلو الاخرى فجمعت مادتي معتمداً على الوثائق التي تخص هذه الحقبة، وخاصة الوثائق التركية ـ وثائق عابدين ـ المحفوظة بدار الوثائق القومية بالقلعة، وكذلك الوثائق البريطانية وخاصة تقارير المعتمدين البريطانيين في الخليج الموجودة في مختارات حكومة بومباي، (Selection form the Records of Bombay Gov.) ومجموعة (Saldanha) بالاضافة إلى الرسائل السرية للمقيمين وقناصل بريطانيا في الخليج وسفرائها لدى الدولة العثمانية والدول الاجنبية واخص بالذكر الوثائق المحفوظة في مكتب حكومة الهند (India Office) ومكتب السجلات العامة بلندن (Public Record Office) وبهذه المناسبة فانني أخص بالشكر الدكتور بدر الدين عباس مدرس التاريخ الحديث بجامعةالكويت الذي قدم لي قسماً من وثائقه التي تتعلق ببحثي وكذلك أشكر مع الامتنان أخي وزميلي فائق حمدي طهبوب الذي قام بتصوير قسم كبير من الرسائل والوثائق الخاصة بهذا البحث عندما كان في لندن عام ١٩٧٢.

وقد جمعت مادتي من هذه الوثائق ثم عمدت بعدئذ إلى المراجع العربية والاجنبية وخاصة كتب الرحالة والباحثين الذين عاصروا الاحداث التي أكتب عنها من أمثال ابن بشر وبلجريف وفلبي وغيرهم.

ولا يسعني هنا الا أن أقدم عرفاني بالجميل للاستاذ الدكتور مكي الطيب شبيكة الذي واكب معي مرحلة جمع مادتي وناقشني في كل ما جمعت من مادة وقدم نصحه وارشاده لي، كما واشكر كل من ساهم في اخراج هذا العمل المتواضع راجيا أن اكون قد اضفت به شيئا جديدا إلى المكتبة التاريخية العربية.

ولا يسعني أولا وأخيرا الا أن اقدم عظيم شكري وتقديري لاستاذي الفاضل الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى الذي قدم لي كل نصح وارشاد اثناء كتابي لفصول هذه الرسالة والتي لولا جهوده لما خرجت للنور.

والله ولي التوفيق
محمد عرابي نخلة
كلية الآداب/ جامعة الكويت
٥ مارس ١٩٧٤

تقديم الدكتور احمد عبد الرحيم مصطفى

يتناول هذا البحث تاريخ الاحساء السياسي منذ اوائل القرن التاسع عشر حتى أوائل القرن العشرين حين جرى ضمها إلى سلطنة نجد الآخذة في النمو. وليس معنى هذا أن منطقة الاحساء كانت تقوم بدور سياسي مستقل له ثقله الخاص بالنسبة إلى اوضاع شرق شبه الجزيرة العربية، كما هو الحال بالنسبة إلى تلك الكيانات السياسية التي عرفها تاريخ الشاطئ العربي للخليج العربي خلال فترة هذه الدراسة وقبلها وبعدها. فالإحساء كانت موضع صراع بين شتى القوى التي حاولت أن تهيمن على أقدار هذه المنطقة ذات الاهمية الاستراتيجية العالمية:

الدولة العثمانية وآل سعود ومحمد علي حاكم مصر (في اعقاب سيطرته على شئون شبه الجزيرة وقبل طرده منها في عام ١٨٤٠) وبريطانيا. واخيراً قدر لعبد العزيز آل سعود أن يحتلها في عام ١٩١٣ متطلعا إلى أن يلعب دوره في سياسات الخليج العربي وفق ما تسمح لديه الظروف المحيطة بالمنطقة ككل.

وقد امكن للدكتور محمد عرابي نخلة أن يعرض لموضوعه عرضاً علمياً مستعينا في ذلك بالمادة المتاحة. وكان البحث ذاته قد قدم للحصول على درجة الماجستير في التاريخ الحديث بجامعة الكويت تحت إشرافي بعد أن كان المؤلف قد قطع شوطا في دراسته تحت إشراف المرحوم الاستاذ الدكتور مكي شبيكة.

وقد لمست في الدكتور عرابي خلال كتابته لموضوعه حماسة للعمل وجدية في التفكير مما يبشر له بمستقبل مرموق في حقل الدراسات التاريخية العربية الحديثة.

والله ولي التوفيق

أكتوبر ١٩٨

أحمد عبد الرحيم مصطفى

أستاذ التاريخ الحديث والعاصر

بجامعة الكويت .

المقدمة

تعريف :

الاحساء أو المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية كانت تشكل الجزء الاكبر من إقليم متحد على الشاطئ الغربي للخليج العربي ، يمتد من البصرة في الشمال إلى عمان في الجنوب ، وكان يطلق عليه اسم البحرين لفترة طويلة من الزمن في بداية الفتح الإسلامي [١]. ثم اطلق على اجزاء مختلفة من هذا الإقليم اسماء مختلفة منها العدان و هجر و والخط، وأخيرا وحوالي عام ١٩٢٩م / ١٣٧١ هـ، اطلق اسم الحسا على قاعدة هذا الإقليم، واكبر مدينة فيه، ثم عمت التسمية فشملت الإقليم بأسره، قال ياقوت الحموي في ذلك... الاحساء مدينة بالبحرين معروفة مشهورة ، كان أول من بناها وحصنها وجعلها قصبة هجر، ابو طاهر الحسن بن ابي سعيد الجنابي القرمطي[٢]..

ومنطقة الاحساء مشهورة بمياهها الوفيرة، وينابيعها العديدة، ومن تلك الينابيع اخذت الاحساء اسمها، قال المبرد في الكامل:.. الحساء جمع حسي، وهو موضع رمل تحته صلابة، فاذا أمطرت السماء، على ذلك الرمل، نزل الماء فمنعته الصلابة أن يغيض، ومنع الرمل السمائم أن تنشقه، فإذا بحث ذلك الرمل، أصيب الماء، يقال: حسي، أحساء، وحساء[٣] ولقد كان هذا الإقليم منذ فترات موغلة في القدم يشكل جزءاً هاما من أرض الجزيرة العربية، وذلك لخصب اراضيه، ووفرة مياهه، بالاضافة إلى كونه ملتقى للطرق التجارية الهامة التي كانت تربط الجزيرة العربية بفارس والهند، وبلدان شرق افريقيا، وبعبارة اخرى، كانت الاحساء احدى نوافذ الجزيرة العربية على مياه الخليج العربي، وكانت موانئها كالعقير و القطيف من اهم موانئ شرق الجزيرة العربية.

جغرافية الاحساء :

..القسم الاكبر من الاحساء سهل صحراوي، يرتفع في الجهة الغربية عن ساحل البحر ، حيث تتشابه البلاد مع تهامة ، ويوجد كثير من التلال غير المتصلة بعضها ببعض، تستخدم كحدود للمناطق، وترتفع الارض في القسم الداخلي إلى غربي المنطقة عن باقي السهل، ويوجد خط من التلال، على طول وادي المياه وجبل الطف، ممتدة إلى الجنوب، ويمتد مرتفع الصمان الصخري موازيا لساحل الخليج، متوسطا بين الاحساء والدهناء، حيث يفصلهما هذا القسم عن نجد، واهم اودية إقليم الاحساء، هو وادي فروق في الجنوب الغربي وهو قسم من وادي المياه. والمنطقة الساحلية سبخة على العموم ، ويوجد بها عدد عظيم من الآبار، ماؤها قريب من سطح البحر والمراعي وافرة أيضا، والاقسام الصحراوية من المنطقة، آهلة بالبدو، وأغنى بقاع المنطقة ، واحتا الاحساء والقطيف حيث تكثر المياه من آبار وعيون ونهيرات صغيرة [٤] .

---

(١) قال ياقوت الحموي:... البحرين ، اسم جامع لبلاد على ساحل بحر الهند بين البصرة وعمان .
معجم البلدان ، مجلد ٢، صفحة ٧٢ .

(٢) نفس المصدر ، مجلد ١، صفحة ١٣٧.

(٣) المبرد ، الكامل ، ج١ ، صفحة ٧٦.

(٤) حافظ وهبة ، جزيرة العرب في القرن العشرين ، ص٦٢ .

مناخ الاحساء وثرواتها:

واما جو الاحساء فيشبه جو المناطق المنخفضة، وجو القسم الشرقي منها يشبه إلى حد بعيد جو تهامة، فتزداد الحرارة في بعض مناطقها كالقطيف عن المناطق الاخرى ويتراوح معدل درجات الحرارة فيها ما بين ٤٠ ـ ١١٠ فهرنهايتية واقصى درجات الحرارة تسجل في شهري يوليو، واغسطس، وتهبط درجات الحرارة في موسم الشتاء، ويزداد البرد خاصة ما بين شهري نوفمبر ومارس [١].

واما ثرواتها فمتعددة، ولكن اهمها الثروة النباتية التي تعتمد في الدرجة الأولى على خصب التربة ووفرة المياه، فقد بلغ عدد ينابيع الاحساء الغزيرة اكثر من ستين ينبوعا، فعين الحقل مثلا، يقدر نتاجها (٢٢،٥٠٠ غالون يوميا)[٢] ، ونتيجة لتلك الوفرة في المياه، فقد كانت محصولات الاحساء النباتية والحيوانية من أكثر محصولات شرقي الجزيرة العربية وفرة وخصوبة. واما المحصول الرئيسي في الاحساء فهو التمر، وهو أنواع كثيرة ، أفضلها النوع المعروف بالخلاص، ويزرع فيها أيضا الحنطة، والشعير، واشهر فواكه الاحساء، الاترنج، والليمون، والخوخ، والمشمش، والرمان، والعنب، والتين، واما ثروتها الحيوانية فتتكون من الخيول العربية الاصيلة، وفيها أفضل أنواع الحمير والبقر، وفيها الابل والغنم بكثرة[٣]. ومن أشهر ثرواتها الطبيعية سابقا اللؤلؤ، فقد كان صيده يحقق فوائد جمة، ويجلب تجارة رابحة خاصة عندما كان تجار الإقليم يقومون بتبادله مع البضائع الاجنبية الاخرى [٤] ، وكانت عائدات الاحساء من اللؤلؤ تقدر بأربعة ملايين وستمائة ألف روبية في السنة[٥] . واما اليوم فأهم ثرواتها البترول الذي يعتبر الثروة القومية الأولى في السعودية، وتعتبر حقول الزيت في الاحساء من أغزر حقول الوطن العربي واكثرها انتاجا.

سكانها :

سكان الاحساء القدامى خليط من قبائل عربية متعددة، يرجع معظمها إلى بني عبد القيس و بكر بن وائل، و تميم، وقد دخلوا في الاسلام على يد العلاء بن عبد الله الحضرمي الذي ارسله الرسول (ص) إلى الاحساء، فاسلم على يديه بعض سكانها وصالحة الباقون على دفع الجزية[٦] .

واما اليوم فتسكنها قبائل عربية عديدة منها، العجمان وآل مرة والعوازم والرشايدة وبنو هاجر وبنوا خالد[٧] ، وهذه القبيلة الاخيرة تهمنا بالذات لأن السيادة في الإقليم كانت لشيوخها في فترة من الفترات التي يشملها بحثنا هذا. وتعتبر قبيلة بني خالد من اقدم القبائل العربية المعروفة على الخليج العربي، وينزل أفرادها بين وادي المقطع في الشمال، ومقاطعة البياض في الجنوب، وأن قسما كبيرا من ابناء هذه القبيلة قد تحضر واستقر، و اشهر أفخاذها : العماير، والصبيح، وبنو فهد، والمقدام، والمحاشر المهاشير والجبور، آل حميد وهم رؤساؤها ومنهم آل عريعر [٨] وقد كان بنو خالد ينزلون المنطقة الشرقية من الجزيرة العربية والتي تحاذي شاطئ الخليج العربي وتمتد من الجهراء قرب الكويت في الشمال إلى أرض الصير وعمان في الجنوب ، ويرجع نسبهم إلى قبيلة ربيعة[٩]. وجاء تحديد للمنطقة

---

(١) حافظ وهبة ، جزيرة العرب في القرن العشرين ، ص٦٣ .

(٢) مصطفى مراد الدباغ ، الجزيرة العربية موطن العرب ومعهد الاسلام ، ج١ ، ص١٧٧ .

(٣) حافظ وهبة ، المصدر السابق ، ص٦٣ .

(٤) NIEBUHR ,M, Travels Through Arabia , and other Countreies in the East , vol . II, p . 126

(٥) محمد سعيد المسلم ، ساحل الذهب الاسود ، ص١٨١.

(٦) ياقوت الحموي ، المصدر ، السابق ، م٢ ، ص٧٢ . م٨ ، ص٤٤٦.

(٧) الدباغ ، المصدر السابق ، ج١ ، ص١٨٢.

(٨) فؤاد حمزة ، قلب جزيرة العرب ، ص١٥٤ .

(٩) لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب ، ص٦٥ ـ ٦٦ .

التي كان يسكنها بنو خالد في كتاب لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب جاء فيه:.... أن العدان، وهجر، وقطر ، كلها من أرض بني خالد، وقد عرفت طولها بالحد المذكور من الكويت الى خيران بني ياس [١].

والمميز الرئيسي بين سكان الاحساء، هو المذهب، والأكثرية تتمذهب بمذهب أهل السنة والجماعة، وأن كان عدد غير قليل من سكانها من الشيعة الامامية والقرمطية[٢].

مدن الاحساء:

واشهر مدن الاقاليم مدينة الهفوف (الاحساء) وهي قاعدة البلاد، تأسست في عهد القرامطة[٣] . ومنها بدأت انطلاقتهم نحو العراق والحجاز وبلاد الشام ومصر ولقد ازدهرت عاصمة القرامطة التي قامت على انقاض مدينة هجر فزارها عدد من الرحالة من العرب والفرس والغربيين ووصفوها بأنها مدينة عامرة كثيرة الينابيع والخضرة، فقال عنها ناصر خسرو، الرحالة الفارسي:... دخلنا الاحساء في آخر سنة اثنتين واربعين وثلثمائة ، وكانت الاحساء، سوادها وقراها محاطة بأربعة اسوار، بين كل سورين فرسخ وفيها ينابيع المياه العظيمة... ويوجد فيها كل ما يوجد في البلاد المتمدنة[٤] .

ولقد زارها ابن بطوطة وقال عنها:... ثم سافرنا إلى مدينة هجر وتسمى الان بالحسا [٥]. ومن الذين زاروا هذه المدينة الرحالة الدانمركي نيبور إذ زارها حوالي عام ١٧٦٥ . زمن حكم بني خالد لها وقال عنها: انها قاعدة حكم شيخ بني خالد ووصفها بأنها مدينة كبيرة[٦]. وذكرها القزويني، فقال عنها: أنها قاعدة بلاد البحرين وأنها ذات خيرات كثيرة [٧].

ومن مدن إقليم الاحساء المشهورة مدينة القطيف بفتح أوله، وكسر ثانية، على وزن فعيل، وتقع واحة القطيف في الشمال الشرقي من الاحساء، ويبلغ طولها حوالي ثمانية عشر ميلا، ومتوسط عرضها ثلاثة أميال [٨] وفيها كثير من عيون الماء فضلا عن الآبار الارتوازية المتعددة، وفي واحة القطيف يكثر النخيل الذي يربو عدده على مليون نخلة، وهواؤها غير صحي وتكثر فيها الملاريا ويعيش سكانها على الزراعة، وخاصة زارعة النخيل والفاكهة، وكافة أنواع الخضار [٩] . ولقد زارها نيبور ووصفها بانها ذات اهمية، اذ تقع على الشاطئ وعلى مسافة خمسة أميال من جزيرة البحرين ويحصل سكانها على أودهم من صيد اللؤلؤ [١٠] . ومن الرحالة الذين زاروها أيضا المستشرق عبد الله وليمسن الذي وصفها بأنها كالحسا. تسقى من ينابيع متعددة بعضها ذات مياه حارة ، والجو ثقيل ورطب لقربها من البحر لذا لا يمكن مقارنته مع جو الحسا[١١] . واما أبو الفداء فقال عنها في تاريخ البلدان... القطيف من البحرين

---

(١) المصدر نفسه ، ص١٥٣ .
(٢) الدباغ ، المصدر السابق ، ج١ ، ١٨٢.
(٣) انظر ص ١.
(٤) محمد عبد القادر الانصاري ، تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء في القديم والجديد ج١ ، ص٩٧ .
(٥) الدباغ ، المصدر السابق ، ج١ ، ١٨٢.
(٦) NIEBUHR , M. Travels Through Arabai , vol . II . P , 126 .
(٧) القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٢٨٠.
(٨) محمد سعيد المسلم ، المصدر السابق ، ص ٢٣
(٩) الدباغ ، المصدر السابق ، ص ١٨٦ .
(١٠) NIEBURHR : OP . CIT . P .127.
(١١) عبد الله وليسمن ، وثائق تاريخية ، جولة في الخليج ، ترجمة سليم طه التكريتي ، ص٥٨ .

وهي بناحية الاحساء، وللقطيف خور على البحر ، تدخل فيه المراكب الكبار في حالتي المد والجزر، وبين القطيف والاحساء مسيرة يومين [١] ، وترتبط القطيف بطريق ترابي عبر الخليج بجزيرة تاروت المشهورة، وفي هذه الجزيرة أربع قرى هي تاروت ، وسنابس، والزور، ودارين، وكانت دارين مرفأ تجاريا هاما في الزمن الماضي، إذ كانت حلقة وصل بين الهند والجزيرة العربية، وكانت تصل اليها توابل الهند والعطور كما أنها كانت تعتبر من اهم موانئ صيد اللؤلؤ [٢] .

ومن مدن الاحساء القديمة العقير ، والجبيل، وسيهات، والجش، والفضول ومن مدنها الحديثة الدمام، وهي اليوم قاعدة الاحساء وتقع شمالي الظهرأن وعلى بعد عشرة أميال منها، وعلى مثل هذه المسافة من مدينة القطيف تتصل بميناء الخبر، بطريق معبدة، ولم تكن الدمام قبل سنوات قليلة سوى قرية ساحلية صغيرة واصبحت اليوم مزدهرة بها معظم مظاهر المدنية الحديثة [٣] .

ومن الاحساء الحديثة، الظهران ، والخبر ، ورأس تنورة ، وبقيق ، وكلها أصبحت مدنا حديثة عامرة بعد اكتشاف النفط في منطقة الاحساء التي تعتبر من أغنى بقاع العالم بالبترول ،مما دعا بعض الباحثين إلى تسميتها بساحل الذهب الأسود [٤].

المدخل التاريخي :

تعتبر الجزيرة العربية مهدا للشعوب السامية، وكان الساميون الرعاة الذين استطاعوا أن يهضموا العنصر الحامي في منطقة الخليج العربي يشكلون بداية الانطلاق للتشكيل البشري الاساسي لانسان الخليج، ثم تلت ذلك هجرات القبائل السامية الكبرى التي قذفت بها الجزيرة العربية شمالا وشرقا، وكان إقليم الخليج ـ والذي تشكل الاحساء جزءا منه ـ يعتبر محطة من محطات تلك القبائل، وكانت مياهه معبرا لها إلى الهلال الخصيب، ومما لا شك فيه أن العنصر الفينيقي كان من اوضح العناصر التي شكلت الدفعات الأولى من تلك الهجرات، بل ومن أوغلها في القدم، إذ كانت هجرتهم من شواطئ الخليج حوالي ٢٥٠٠ ق. م . [٥] وقد هاجروا بعد أن كانوا قد استقروا على سواحل الخليج وفي الساحل الاحسائي بالذات لفترات طويلة، تؤيد هذا الرأي المقابر العديدة التي وجدت في هذا الساحل وفي جزر البحرين المقابلة له، إذ أرسل ما وجد في تلك المقابر من آثار إلى المتحف البريطاني، وهناك تقرر بأن هذه القبور من أصل فينيقي، ويرجع تاريخها إلى نحو خمسة آلاف سنة، والمعروف أن الفينيقيون هم احد فروع الكنعانيين، ويؤكد الباحثون أن العلم والمعرفة يدينان للفينيقيين لأنهم اول من اخترع الحروف الهجائية، فكانوا بذلك الرواد الأول للتعليم في العالم. ومن ساحل الخليج هذا انتقل الكنعانيون إلى ساحل البحر المتوسط واستقروا في لبنان وفلسطين ناقلين معهم أسماء بعض مدنهم الأولى كصور، وارواد، وجبيل ، وغيرها[٦].

---

(١) محمود بهجت سنان ، تاريخ قطر العام ، ص٢٠ .
(٢) مجلة العربي ، العدد ١٨٠ (نوفمبر ١٩٧٣) ص٩٥ ، ٩٨ .
(٣) الدباغ ، المصدر السابق ، ص١٩٣ .
(٤) انظر كتاب ساحل الذهب الأسود لمحمد سعيد المسلم ، بيروت ١٩٦٢ ، منشورات دار مكتبة الحياة .
(٥) عبد الرحمن عبد الكريم العبيد ، قبيلة العوازم ، ص٩٥ .
(٦) محمد سعيد المسلم ، المصدر السابق ، ص٦١ ، ٧٤ .

وعلى أثر هجرة الكنعانيين من ساحل الاحساء، استقر مكانهم الجرهائيون وهم فرع من الكلدانيين، وقد جاء وصف لمدينتهم على لسان الرحالة اليوناني الشهير استرابون الذي قال عنها .... أسسها مهاجرون كلدانيون من أهل بابل، في أرض سبخه، وبناؤها من حجارة الملح، تبعد عن سيف البحر ثمانين الف ذراع [١] وقد عقب صاحب تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء على ذلك قائلا:

... هذه المدينة التي أشار اليها استرابون هي مدينة هجرة، ويعني بحجارة الملح، الجص الابيض الناصع، وهو موجود في الاحساء بكثرة، وتبنى به البيوت حتى الان... [٢] وجاء في وصف بوليبيوس لهذه المدينة: أنها كانت من المراكز التجارية الهامة، وسوقا من الاسواق النشطة في بلاد العرب، وملتقى لطرق القوافل الواردة من جنوب الجزيرة العربية، ومن الشام والحجاز والعراق والهند، وأن سكانها كانوا من اغنى شعوب الجزيرة، وكان عماد ثروتهم الذهب والفضة مما حرك الطمع في نفس الملك السلوقي انطونيوخس الثالث فقاد اسطوله في عام (٢٠٥ ق. م) قاطعا به دجلة متوجها اليها ليستولي على كنوزها، ولكن أهلها، خوفا منهم على مدينتهم وحبا منهم للسلام وحفاظا على حريتهم التي كانوا يعتزون بها، بها ارسلوا إليه وفدا يحمل هدية كبيرة من الذهب والفضة والاحجار الكريمة، وحملوا معهم إليه رجاءهم بأن لا يحرمهم من نعمتين أنعم الله عليهم بهما، نعمة السلام والحرية، فقبل أنطونيوخس الهدية وقفل عائدا الى بلاده. وربما كانت الصحراء القاحلة وما تحمله المغامرة عبر مفاوزها السبب الرئيسي الذي أقنع الملك السلجوقي بالعودة عن عزمه[٣] الا أنه إذ كان أنطونيوخس قد عاد مكتفيا بالهدية تاركا لأهل هذا الإقليم حريتهم ينعمون فيها بسلام، فلقد تعاقبت على هذه المنطقة من بعده دول وأقوام شتى، وتصارعت على رماله وفوق مياهه القوى المختلفة جيلا بعد جيل. فقد استقرت في هذا الإقليم قبائل مختلفة بعد الجرهائيين منهم طسم وجديس و بنو عبد القيس وغيرهم من القبائل العربية التي استقرت على الساحل الغربي للخليج العربي لتصنع على مدى الأيام جذورا بشرية لانسأن الخليج اليوم [٤].

وعندما ظهرت الدعوة الاسلامية، أرسل الرسول (ص) الى هذا الإقليم العلاء ابن عبد الله الحضرمي الذي استطاع إقناع حاكم هجر أنذاك المنذر بن ساوي بالدخول في الاسلام، وكان الرسول (ص) قد أرسل له مع العلاء برسالة هذا نصها: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله الى المنذر بن ساوي فاني أحمد الله الذي لا اله الا هو. اما بعد، فان من صلى صلاتنا، ونسك نسكنا واستقبل قبلتنا واكل ذبيحتنا فذاك المسلم، له مالنا، وعليه ما علينا، له ذمة الله ورسوله من أحب ذاك من المجوس فهو آمن، ومن أبى فعليه الجزية [٥] .

---

(١) محمد عبد القادر الانصاري ، تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء في القديم والجديد ، جـ ١ ، ص٥٥ .
(٢) المصدر نفسه ، ص٥٥.
(٣) ارلوند ولسون ، الخليج العربي ، ترجمة عبد القادر يوسف ، ص١٠١ ، ١٠٢ ، نلاحظ ان صاحب تحفة الاحساء قد وقع في خطأ اذ جعل سنة الغزو السلوقي لجيرا حوالي ٢٥٠ ق. م بدلا من (٢٠٥ ق. م، وذكر ان هذا مأخوذ عن استرابون بينما هو مأخوذ عن بوليبيوس.
(٤) الانصاري ، المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٨٤ـ ٩٠ .
(٥) المصدر السابق نفسه ، ص٦٠ .

وظلت بلاد البحرين تتبع مقر الخلافة الاسلامية في الحجاز ، أو في الشام، أو في بغداد ، الى أن ظهر فيها رجل يسمى أبو سعيد الجنابي (سنة ٢٨٦ هـ / ٨٩٩ م) واستطاع أن يقود ثورته فيها واغار على عاصمتها هجر في السنة التالية فاحتلها بعد أن تغلب على جيش الخليفة المعتضد وعاث في الإقليم فسادا. ثم جمع جيشا من اتباعه وزحف بهم على البصرة (سنة ٣١١هـ / ٩٢٣ م) واحتلها ونهبها ثم عاد الى الإقليم. ولكن غزواته للعراق تعددت بعد ذلك. وفي (سنة ٣١٧/ ٩٢٩م) بنى أبو طاهر مدينة بجانب مدينة هجر سماها الاحساء وهي التي نمت وأصبحت قاعدة البلاد ـ قال الحيدري في ذلك:... ومن أعظم بلاد البحرين وأشهرها هجر بفتح الهاء والجيم، وهي التي كانت قاعدة بلاد البحرين في الزمن المتقدم، فخربها القرامطة عند استيلائهم على البحرين، وبنوا مدينة الاحساء ونزلوها وصارت، قاعدة البحرين (١) ومن مدينة الاحساء التي بناها القرامطة أخذ الإقليم اسمه فيما بعد، وفي العام الذي تأسست فيه مدينة الاحساء زحف زعيم القرامطة الى مكة وقتل فيها من حجيج ذلك العام خلقا كثيرا واقتلع الحجر الاسود وعاد به الى الاحساء وبقي في احدى قراها حتى عام (٣٣٩هـ / ٩٥٠م) حيث اعيد الى مكة بعد موت أبي طاهر. ولقد كانت الاحساء في ظل القرامطة مركزا زحف منه هؤلاء الى العراق والشام ومصر وأثاروا الرعب في قلوب المسلمين في تلك البلدان (٢) .

ثم تتابع على حكم الاحساء كل من العيونيين، آل زامل الجبري، وآل مغامس ثم جاء البرتغاليون فاحتلوها حوالي (٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م) وظلوا يحتلونها حتى تمكن الاتراك العثمانيون من طردهم واخراجهم منها حوالي عام (٩٥٨هـ / ١٥٥١م) . ومنذ استيلاء الاتراك على هذا الإقليم ارتبطت الاحساء مع شقيقتها القطيف بتاريخ سياسي واحد وانفصلت عنهما جزيرة (اوال)، التي استقلت باسم البحرين (٣). ولم تدم فترة حكم الاتراك العثمانيين في الاحساء طويلا إذ ثارت عليهم قبيلة بني خالد بقيادة زعيمها براك بن غدير الذي استطاع طرد العثمانيين من بلاده واعلن نفسه ملكا على الاحساء والقطيف (سنة ١٠٨١ هـ / ١٦٧٠م) واستطاع ابناؤه واحفاده من بعده ، أن يؤسسوا دولة قوية في هذه البقاع ، الى أن ظهرت الدعوة السلفية على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد، فثار صراع عنيف بين آل سعود، حماة تلك الدعوة ، وآل عريعر زعماء بني خالد، انتهى بتغلب السعوديين، فاخضعوا الاحساء لحكمهم حوالي عام (١٢٠٧هـ / ١٧٩٣ م)(٤). وكان السبب في تأخير الوهابيين لاحتلالهم للاحساء، أنهم خلال النصف الثاني من القرن الهجري الثاني عشر شغلوا بتعزيز موقفهم في قلب الجزيرة العربية حتى تمكنوا من تحقيق وحدة نجد ثم سعوا الى توسيع رقعة بلادهم ومد نفوذهم نحو الخليج العربي فكان فتحهم للاحساء يعتبر نصرا عوضهم عن فقد زعيمهم الروحي وقائد حركتهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي توفي (سنة ١٢٠٦هـ / ١٧٩٢ م)(٥).

وبعد ذلك استطاع السعوديون اعادة جزيرة اوال الى الاحساء وكونوا من هذا الإقليم وحدة سياسية تابعة لهم، فجعلوها ولاية شبه مستقلة، ووضعوا عليها عاملا من قبلهم هو عبد الله بن عفيصان واتخذ هذا من البحرين مقرا لادارته، وبدا السعوديون من قاعدتهم في الاحساء، يتطلعون للتوسع في بلدان

---

(١) الحيدري ، عنوان المجد في تاريخ بغداد والبصرة ونجد ص١٩١ .
(٢) الانصاري ، المصدر السابق ، ص٩٢ .
(٣) محمد سعيد المسلم ، المصدر السابق ، ص١٧٤ .
(٤) احمد مصطفى أبو حاكمة: تاريخ شرق الجزيرة العربية ، ص١٧٥ ـ ١٧٨ .
(٥) عمان والساحل الجنوبي للخليج الفارسي ، شركة الزيت العربية الأمريكية ـ ادارة العلاقات العامة ، شعبة البحث ، ص٢٠ .

الخليج، شمالا وجنوبا[1]. الا أن خطرهم بات يهدد الدولة العثمانية في أقاليمها المجاورة، كالعراق والحجاز والشام، فسيرت عليهم حملة من قبل واليها على مصر أنذاك محمد علي باشا، الذي استطاع هو وأبناؤه أن يقوضوا عرش الدولة السعودية الاولى حين تمكن ابنه ابراهيم باشا من احتلال الدرعية عام ١٨١٨م [2] ، ثم توجه الى الاحساء فاحتلها لعلمه باهميتها الاقتصادية والاستراتيجية بالنسبة لوجوده في نجد، ولكن إبراهيم جوبه من قبل الدولة العثمانية وواليها على بغداد حيث كانت الدولة تدرك أطماع محمد علي وخافت أن تلتقي مطامعه مع مطامع بريطانيا التي بدات تنشط في الخليج. لذا اوعزت الى محمد علي بالانسحاب، ونفذ محمد علي الاوامر، وانسحبت قوات إبراهيم باشا من الاحساء في يوليو عام ١٨١٩م وتابعت انسحابها من نجد أيضا، ثم تلت ذلك فترة استقلال محلي في حكم الاحساء على يد بني خالد، ولكنهم هزموا أمام قوات الوهابيين الذين عادوا للسلطة من جديد، مما اضطر محمد علي الى أن يوجه الى نجد والاحساء حملة أخرى بقيادة خورشيد باشا سنة ١٨٣٨م ، ولكن بريطانيا وقفت ضد توسع هذه الحملة في الخليج، وأخيرا انسحبت تلك الحملة، وعادت الاحساء تخضع للوهابيين من جديد حتى سنة ١٨٧١م حين ضاعت منهم، وخضعت للاتراك العثمانيين حتى سنة ١٩١٣م . وفي ذلك العام استطاع الامير عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل استعادة الاحساء من أيدي الاتراك، ومنذ تلك اللحظة الى الان وهي تشكل جزءا من الدولة السعودية الثالثة بل وغدت من أهم بقاع المملكة العربية السعودية حاليا.

والفترة ما بين احتلال إبراهيم باشا للاحساء عام ١٨١٨م ، واستعادة الامير عبد العزيز آل سعود لها عام ١٩١٣م . هي موضوع هذه الاطروحة والتي سنبين فيها وندرس من خلالها الاوضاع السياسية التي مرت بها الاحساء ابان تلك الفترة .

---

(١) ج. ج لوريمر دليل الخليج ، ج٣ ، ص١٤٢٦ .
(٢) الريحاني ، نجد وملحقاته ، ج١ ، ص٨٩ .

الفصل الأول

تاريخ الاحساء السياسي

من ١٨١٨ــ ١٨٣٤

ويشمل :
- الاحساء قبيل الاحتلال المصري الاول سنة ١٨١٨ .
- الاحساء ابان الاحتلال المصري حتى ١٨١٩ .
- دور بريطانيا ابان الاحتلال المصري للاحساء .
- الصراع على الاحساء بعد انسحاب المصريين .
- عودة الاحساء تحت الحكم الوهابي حتى ١٨٣٤ .

الاحساء قبيل الاحتلال المصري الاول عام ١٨١٨ :

كان عام ١٧٤٥م بداية انطلاق الدعوة السلفية في نجد على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الذي وجد في سيف محمد بن سعود أمير الدرعية حاميا له ولدعوته، التي لم تكن في جوهرها أكثر من العودة بالاسلام الى سيرة السلف الصالح والرجوع به الى نقائه الفطري. ومحاولة تخليصه مما لحق به من البدع والخرافات، وقد اثمر التحالف الذي تم بين محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود عن قيام الدولة السعودية الاولى، التي أخذت على عاتقها نشر هذه الدعوة، واستطاعت بعد معارك طاحنة أن تثبت دعائمها في إقليم نجد، وفي عام ١٧٥٨ شهدت الدولة السعودية الاولى تحديا خطيرا من قوة سياسية مجاورة في إقليم الاحساء ممثلة في شخص زعيمها عريعر بن دجين الذي قاد عشائره من بني خالد وغيرهم من قبائل الاحساء وزحف بهم على الدرعية عاصمة السعوديين يريد أن يقضي على الدعوة السلفية في مهدها(١) وكان هدف عريعر الا تقوم على تخوم بلاده دولة يافعة قد تهدده في عقر داره، وخاصة أن الكثيرين من أبناء شعبه يعمل كوساطاء لنقل التجارة بين الساحل والداخل، بالاضافة الى أن ارض الاحساء تشكل إقليما خصبا يغري النجديين دائما بالتطلع الى خيراته. وتشكل الاحساء في نفس الوقت المنفذ الرئيسي لنجد الى العالم الخارجي.

كل هذه العوامل جعلت تاريخ نجد يرتبط ارتباطا وثيقا بتاريخ الاحساء، حتى ذهب الكثيرون الى اعتبار الاحساء أحد أقاليم نجد (٢) . ومهما يكن الامر فان عريعر قد فشل في مهمته. وعلى الرغم من أن بني خالد ظلوا يناصبون الدولة السعودية العداء زمنا طويلا الا أن الوهابيين سرعان ما تمكنوا من احتلال الاحساء عام ١٧٩٥م بعد معارك طاحنة وثورات متعددة (٣) .

وهكذا اطل القرن التاسع عشر على الاحساء وهي قاعدة وهابية تنطلق منها جحافلهم نحو عمان والبريمي والبحرين، بل وجميع بلدان الخليج العربي. واخذت قوتهم تزداد يوما بعد يوم فوصلوا بغاراتهم الى كربلاء في العراق عام ١٨٠١م . واستطاعوا بعد ذلك وفي عام ١٨٠٣م احتلال الاماكن المقدسة في مكة والمدينة والسيطرة عليها، ومنعوا الحجاج من الشام ومصر من المجيء الى الحجاز ومعهم ما تعارفوا عليه بالمحمل ومنعوهم من استعمال الطبول والزمور أثناء الحج (٤) لأنه ذلك مخالف لمبادئ السلفية .

ولكن جحافل السعوديين لم تقف عند حدود الحجاز فتخطتها الى الشام ووصلت في عهد إمامهم سعود الكبير الى أطراف دمشق وبعض مناطق فلسطين مما هدد أمن الدولة العثمانية ، وخاصة أن الدعوة التي كان يحملها هؤلاء دعوة اسلامية اصلاحية تنطلق من قلب الجزيرة العربية، الامر الذي أفزع الدولة العثمانية فباتت تخشى منها على مركزها الروحي كدولة الخلافة للمسلمين، ورأت في هذه الدعوة صنوا للخلافة فاذا ما أضفنا الى ذلك أن هذه الدعوة تنطلق من أرض العرب حاملة نور الرسالة الاسلامية الاول، لرأينا أن الدولة العثمانية كانت تخشى أن تؤدي هذه الدعوة الى توحيد عرب الجزيرة وسوريا والعراق في دولة واحدة تنتزع مركز القيادة في العالم الاسلامي من الدولة العثمانية العجوز . وجاءت الاحداث لتجسم خوف الدولة في رد فعل عنيف يستهدف القضاء المبرم على تلك الدعوة ، فلقد استشاط السلطان سليم الثالث غضبا عندما تسلم رسالة من الامام سعود بن عبد العزيز على أثر احتلال الاخير لمكة المكرمة ، والتي جاء فيها:... فقد دخلت مكة في اليوم الرابع من محرم سنة ١٢١٨ هـ/ ٢٥ ابريل سنة ١٨٠٣ وامنت اهلها مع ارواحهم واموالهم ، بعدما هدمت ما هناك من أشياء وثنية وألغيت الضرائب إلا ما كان منها حقا، وثبت الوالي الذي وليته أنت طبقا للشرع ، فعليك أن تمنع والي دمشق ووالي القاهرة من المجيء بالمحمل والطبول والزمور الى هذا البلد المقدس، فان ذلك ليس من الدين في شيء وعليك رحمة الله وبركاته... (٥)

---

(١) عبد الله فلبي ، نجد والدعوة السلفية ، ص٥٤ .
(٢) صلاح العقاد ، التيارات السياسية في الخليج العربي ، ص٦١ .
(٣) ابن غانم ، روضة الأفكار والإفهام ،ج٢ ، ص١٧٤- ١٧٥ .
(٤) خير الدين الزركلي ، شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ، ج١ ، ص٣٨ .
(٥) المصدر السابق ، ص٣٨ .

وفي اعتقادنا أن السلطان (سليم) الثالث رأى في موقف سعود خروج على طاعته ، واعتبر أن رسالة سعود إليه لم يكن فيها الاحترام والتبجيل اللائقان به كخليفة للمسلمين، واعتبر أن ما جاء فيها انما يؤكد تمرد سعود على الدولة وإلغاءه لقوانينها، فوجه أوامره الى والي مصر من قبل الدولة العثمانية آنذاك محمد علي باشا يطلب منه أن يضع حدا للوهابيين ، واصدر فرمانا بتولية محمد علي ولاية الحجاز عام ١٨٠٩م بالإضافة الى ولاية مصر، وكان محمد علي يمر بفترة حرجة هي فترة تمكين سلطانه في مصر ولكنه سرعان ما تخلص من منافسيه من المماليك بالقضاء عليهم في مذبحة القلعة عام ١٨١١م . أرسل في نفس العام ابنه طوسون بحملة الى الحجاز مكونة من الجند الانكشارية، وبقايا الارناؤود الذين تمردوا عليه، بالإضافة إلى عدد من المصريين الذين سماهم بالمتطوعة [١] ، وعززهم بعدد من المرتزقة من بقايا جيش نابليون. وقد بلغ عدد جنود هذه الحملة ثمانية آلاف جندي تقريبا، زحف بهم طوسون بحرا الى الحجاز ، ولكن هذه الاستعدادات لم تخف السعوديون، فجهز امامهم سعود جيشا بقيادة ابنه عبد الله وامره بأن يتصدى لهجوم المصريين والتقى الجيشان في مكان يسمى الخيف بالقرب من المدينة المنورة . وبعد قتال عنيف انهزم جيش طوسون بعد ثلاثة أيام من القتال، مخلفا وراءه عددا من القتلى والجرحى، بلغ حوالي خمسة آلاف جندي[٢]. ولكن في العام التالي جاء محمد علي بنفسه يقود جيشا جديدا، فاحتل به مكة والمدينة وانتدب ابنه ابراهيم لإتمام مهمته في حرب السعوديين، ولقد نفذ القائد الشاب اوامر أبيه، وانتصر على الوهابيين بعد حروب عنيفة وعديدة، دافع هؤلاء عن وجودهم وعن عاصمتهم الدرعية ، دفاعا بطوليا مستميتا ، ولكن بعد أن طال أمر حصار الدرعية وبدأت المدافع تسقط قنابلها على بيوت المدينة وشوارعها، وبعد أن فقد الكثيرين من أعوانه واقاربه استسلم إمام الوهابيين أنذاك عبد الله ابن سعود في التاسع من سبتمبر عام ١٨١٨م ، فارسله إبراهيم باشا إلى مصر ومن هناك أرسل مع نفر قليل من أصحابه إلى الآستانة حيث تخلصت السلطات العثمانية منهم[٣].

وبينما كان إبراهيم باشا يحاصر الدرعية وفد إليه زعماء بني خالد برئاسة محمد وماجد ولدي عريعر بن دجين وزينوا له فتح الاحساء، على أن يكونوا نوابا على تلك البلاد ـ وكانت هذه فرصتهم التي طالما انتظروها بفارغ الصبر. فوعدهم ابراهيم باشا بذلك خاصة أن البلاد كانت ملكهم قبل سيطرة السعوديين عليها[٤]. وفي هذه الاثناء والحصار مازال مستمرا جاءت لابراهيم باشا رسالة من والده يامره فيها بتهديم الدرعية وبفتح الاحساء بعد الانتهاء من أمر عاصمة الوهابيين. وهنا يبدو لنا أن محمد علي بدا يتطلع الى الخليج، فرأى أن الاحساء خير قاعدة يمكنه الانطلاق منها لتحقيق اهدافه في السيطرة على الخليج العربي، ذلك الممر المائي الهام. جاءت تلك الرسالة تدعيما لمطالب شيوخ بني خالد التي تقدم بها لابراهيم باشا فبعث الى والده برسالة يقول[٥]:... وصلت مكاتبتكم السامية وحيث أنكم تفضلتم وذكرتم بوجه التاكيد، أنه احيلت الى عهده عبدكم .... وضع القصيم والاقاليم الاخرى الكائنة فوقنا تحت نظارتنا، وادخال الحسا تحت طاعة السلطان... وبعد فتح الدرعية بتوفيق الله تعالى يكون ضبط الحسا وميناء قديف (قطيف) وانتزاعهما من يد الخوارج من المسائل الطبيعية. كما أنه سيحصل العلم بالتمام بكل امر من امور الاقاليم [٦].

الاحساء ابان الاحتلال المصري حتى ١٨١٩:

ولقد اوفى ابراهيم باشا بوعده لآل عريعر فبعث بماجد ومحمد ولدي عريعر الى الاحساء بعد احتلاله للدرعية، فقاما بالاستيلاء على إقليم الاحساء وخاصة على عاصمة الإقليم دون مقاومة ، لأن عامل الوهابيين عليها فهد ابن عفيصان كان قد تركها والتجأ الى البحرين، وبعد أن تم لهم الاستيلاء على مدينة

---

(١) نفس المصدر ، ص ٣٩.
(٢) أمين الريحاني نجد وملحقاته ، ص٧٢ .
(٣) المصدر نفسه ، ص٨٩ـ ٩٠ .
(٤) محمد آل عبد القادر الانصاري، تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء في القديم والجديد ،جـ ١، ص١٤٤.
(٥) وثائق عابدين ، مكاتبة من ابراهيم إلى والده بتاريخ ٩/ رمضان /١٢٣٣هـ .
(٦) الوثيقة السابقة .

الحسا سار محمد بن عريعر الى القطيف واستولى عليها، وعاد بذلك إقليم الاحساء لطاعة بني خالد، الا أن ذلك لم يطل ، فلقد ارسل ابراهيم باشا محمد كاشف برفقه مائتين واربعين رجلا، وحيث امرهم بالاستيلاء على جميع ما في بيت المال، وما كان لآل سعود من اموال وسلاح وخيل ففعلوا ذلك ، بل وصادروا اموال كل رجل له علاقة بآل سعود وقتلوا قاضي الاحساء الشيخ عبد الرحمن بن نامي وجميع هيئة التعليم والارشاد التابعة للوهابيين، وعندما رأى آل عريعر تلك الفظائع ترتكب امام اعينهم ، ايقنوا أن امن الإقليم لن يستتب ، وكذلك أدركوا أنهم لن يكونوا في مأمن من ذلك الاستبداد والتعسف فغادر زعماؤهم الاحساء هربا الى العراق(١) ، في اعتقادنا أن ابراهيم باشا كان قد استجاب لطلب آل عريعر لكي يمهدوا له الاستيلاء على الاحساء دون أن يفقد في ذلك العديد من جنده ، ودون أن يكلفه ذلك الجسيم من جهده. فلما استتب امر الاحساء لآل عريعر، ارسل اليه اولئك النفر الذين اساؤا اليه وساعدوه بطريقة غير مباشرة - ودون أن يعملوا - على إنهاء الوجود المصري في الاحساء.

لم يدم الاحتلال المصري للاحساء طويلا فيبدو أن شيوخ بني خالد استطاعوا التأثير على والي العراق العثماني الذي لم يكن ينظر الى تقدم المصريين نحو الخليج وبلدانه بعين الرضى. كان والي العراق أنذاك داود باشا الذي بذل كل جهده واستطاع التأثير على الباب العالي الذي اوعز بدوره الى محمد علي بضرورة الإنسحاب من الجزيرة العربية ونفذ ابراهيم اوامر ابيه، واما الاحساء فقد عاد اليها آل عريعر ولاة من قبل الدولة العلية(٢) ، ويتبعون بغداد من الناحية الادارية ولا غرو في ذلك فلقد كانوا يدينون بالولاء لوالي العراق قبل وصول القوات المصرية الى الاحساء(٣).

وفي اثناء الاحتلال المصري لهذا الإقليم، تعاون مع قوات ابراهيم باشا زعيم محلي مشهور هو رحمة بن جابر الجلاهمة فلقد قدم للقوات المصرية مساعداته البحرية ، فدكت مدافع سفنه قلاع ميناء القطيف وذلك انتقاما من الوهابيين الذين كانوا قد هدموا حصنه المنيع في الدمام عام ١٨١٦م(٤) .

انسجت قوات ابراهيم باشا في صيف عام ١٨١٩م ، فلقد غادر محمد أغا كاشف نائب ابراهيم باشا على الاحساء يوم ٢١ يوليو من عام ١٨١٩م ، وتبعه جنده في يوم ٢٤ من نفس الشهر ، وكانت فرحتهم بالانسحاب كبيرة جدا، لتخلصهم من قسوة الطقس والظروف الصعبة التي كانوا يعملون فيها(٥) ، وتابعت تلك القوات انسحابها من نجد في نفس الصيف مخلية البلاد للقوات التركية البديلة (٦) واما الاحساء فكان حظها افضل من نجد، اذ لم تدخلها القوات التركية وتركت الادارة فيها لبني خالد فشاع في ربوعها الاستقرار (٧) .

دور بريطانيا إبان الاحتلال المصري للاحساء :

اما عن موقف بريطانيا من القوات المصرية ووجودها في الاحساء فالواقع أنه كانت هناك محاولة من قبلها للاتصال بتلك القوات وذلك لايجاد قاعدة للتفاهم والتنسيق بين الطرفين ، لأن بريطانيا كانت قد بدات تهتم بشؤون الخليج منذ بداية القرن التاسع عشر . ولقد بدأ اهتمام الإنجليز لايجاد تعاون مع قوات

---

(١) الانصاري ، المصدر السابق ، ص١٤٤- ١٤٥ .
(٢) عبد العزيز ، نوار ، داود باشا والي بغداد ، ص٢٣٠ ، وانظر أيضا : محمود بهجت سنان ، تاريخ قطر العام ، ص٦٠ .
(٣) عبد العزيز نوار ، تاريخ العراق الحديث ، ص١٨٩ .
(٤) ج.ج. لوريمر ، دليل الخليج ، ج٣ ، ص١٤٢٧ .
(٥) المصدر ، نفسه ، ص١٤٣٠ .
(٦) الريحاني ، نجد وملحقاته ، ص٩١.
(٧) فلبي ، المصدر السابق ، ١٧٤ .

محمد علي منذ اللحظة الاولى التي وطئت فيها اقدام المصريين الاحساء ، واصبحوا يطلون من قاعدتهم الجديدة على بلدان الخليج، وكان الإنجليز يدركون اهمية الخليج بالنسبة لقوات محمد علي، خاصة وأن هذه القوات تسيطر على مياه البحر الاحمر. وبالاضافة الى ذلك كانت القوات المصرية تحتل أواسط الجزيرة العربية ، وتتخذ من نجد قاعدة خلفية ذات عمق استراتيجي لحماية وجودها على شاطئ الخليج العربي، لذا ايقن الإنجليز أن السلطات المصرية اذا ما تمركزت في الاحساء وتطلعت منها الى بلدان الخليج وخاصة عمان (١) ، فمعنى ذلك أنها اوجدت قواعد ثابتة لها في الخليج وعلى شواطئه ، الامر الذي يصعب بعده اقتلاعها من هذه المنطقة الحيوية الهامة بالنسبة للوجود البريطاني الآخذ بالنمو في هذه المنطقة.

ولما كانت السياسة البريطانية المتبعة في تدعيم وجودها في منطقة الخليج مقصورة على النشاط البحري هناك ، فقد حاولت بريطانيا ربط موانئ الخليج مقصورة على النشاط البحري هناك ، فقد حاولت بريطانيا ربط موانئ الخليج وسواحله بها ولكن دون التورط في التدخل السافر في شؤون بلدان داخل الجزيرة العربية لما كانت تعلمه من أن مثل هذا التورط سيسبب لها نزيفا في اموالها وجنودها بالاضافة الى الكره والعداء الذي سيخلفه مثل هذا التورط في نفوس سكان البلاد الداخلية. كل هذه العوامل مجتمعة كانت وراء محاولة التفاهم التي تقدمت بها بريطانيا الى السلطات المصرية في الخليج وذلك لايجاد تعاون لتسهيل المصالح المشتركة بينهما، وعملا بذلك ارسلت احد مبعوثيها وهو الكابتن (ج. فورستر سادلر)(٢) الى ابراهيم باشا، حيث وصل الى ساحل الحسا في مهمة خاصة على ظهر السفينة فستال بعد ظهر يوم ١٨ يونيو عام ١٨١٩ . ويبدو أن السفينة لم توفق في الوصول الى أحد الموانئ ، فجنحت طوال تلك الليلة الى الشاطئ ، وفي اليوم التالي وصل وفد للتهنئة بسلامة الوصول من حليف المصريين في المنطقة والرجل الذي كانت له السيطرة الفعلية على شواطئ منطقة القطيف ، ونعني به رحمة بن جابر . غير أن المبعوث البريطاني اتهم رحمة بن جابر وكذلك خليل آغا نائب الحاكم المصري في القطيف بأنهما اشتركا في عملية تضليله وخداعه اذ زينو له أن يتخذ من سيهات (٣) مركزا لإنطلاقه في رحلته من ذلك الشاطئ الى مدينة الهفوف مركز الحاكم المصري للإقليم حيث يمكنه عرض افكاره وشرح مهمته لذلك الحاكم، بينما كان سالدر يضع في مخططه الإنطلاق من العقبر وكان هذا التغير في الخطة قد اضاع عليه عدة ايام هامة مما ساعد في إفشال مهمته(٤).

هنا يجب أن نقف قليلا لنتساءل عن الدوافع التي جعلت كلا من نائب الحاكم المصري و رحمة بن جابر يحاولان تضليل المبعوث البريطاني وبذلك يساهمان في إفشال مهمته .

في رأيي أن هذا الاتهام على جانب كبير من الصحة ، اذا ما عرفنا أن رحمة بن جابر كان يسعى جاهدا لتثبيت نفسه كحاكم محلي في منطقة القطيف والدمام من الساحل الاحسائي وكانت اطماعه في البحرين معوفة ، وعداؤه لحاكمها قد وصل الى نقطة اللاعودة . واذا ما علمنا أن موقف بريطانيا أنذاك

---

(١) كانت عمان ولا تزال تشكل مفتاح الخليج العربي إلى المحيط الهندي وبحر العرب فالسيطرة عليها ستمكن قوات محمد علي في البحر الاحمر من الاتصال بقواته في شرق الجزيرة العربية .

(٢) لوريمر ، المصدر السابق ، ج٣ ،ص١٤٢٨ .

(٣) سيهات : قرية ساحلية في اقصى واحة القطيف جنوبا .

(٤) لوريمر ، المصدر السابق ، ج٣، ص١٤٢٨.

كان وديا مع البحرين ، وأن بريطانيا التي بدأت تهتم بشؤون الخليج كانت تسعى لضم البحرين الى جانبها، لأدراكنا مدى خطورة التفاهم الإنجليزي المصري في المنطقة على مصالح رحمة بن جابر ولذا ايقن رحمة أن أي تقارب بينهما في هذه المنطقة يعني القضاء على آماله في السيطرة على ساحل الاحساء وعلى البحرين. كما أنه يعني سيطرة بريطانيا ، الدولة القوية بحريا، على مياه الخليج وانتعاش الشيوخ المحليين الموالين لها، كشيوخ البحرين، الذين كان رحمة يعتبرهم قد سلبوه حقه في مشاركتهم حكم البحرين(١) .

اما عن دور خليل آغا نائب الحاكم المصري في القطيف فنستطيع تعليله بعدم رغبة القوات المصرية ذاتها في البقاء في تلك البقاع رغم أن ذلك يخالف الى حد ما رغبة السلطات المصرية التي تتصرف بأمور تلك القوات - أعني بذلك أن الجنود المصريين كانوا يعيشون في حالة من الإرهاق وعدم الاستقرار لسوء الاحوال الجوية من ناحية ولعدم تعاون السكان معهم من ناحية أخرى. لهذا رآى خليل آغا أن أي تفاهم بين البريطانيين وبين مصر يعني بقاء القوات المصرية في الاحساء لمدة أطول تحت تلك الظروف القاسية وفي أماكن بعيدة عن بلادهم وأهلهم . لذا التقت مصالح كل من خليل آغا ورحمة بن جابر فقاما بتضليل كابتن سادلر ليضيعا عليه الوقت ، لأن سادلر كان قد وصل الى شاطئ الاحساء في الوقت الذي صدرت فيه الأوامر لخليل آغا بالإنسحاب من المنطقة الساحلية الى الهفوف ، وتسليم ادارة شؤون المنطقة لرجل من زعماء بني خالد يدعى مشرف وهو ابن أخ الشيخ محمد بن عريعر زعيم بني خالد. وهكذا عند اجتماع سادلر بخليل آغا في القطيف، لم يتمكن الأخير من تقديم أي مساعدة له ، لأن همه كان تامين انسحابه مع ثلة من جنده لا يتجاوز عددها (٦٠ رجلا) ، اذ أن القبائل العربية في المنطقة عندما علمت بانسحاب القوات المصرية ، بدأت تغير عليها ناهبة سالبة(٢).

وبناء على الصعوبات التي واجهت هذا المبعوث وجد نفسه في مأزق لا يخرجه منه الا الاتفاق مع شيوخ بني خالد الذين عادوا لحكم الإقليم لكي يسهلوا له مهمة وصوله الى الهفوف.

وفي رأيي أن بني خالد كانوا أيضا لا يرغبون في نجاح مهمة سادلر وكان همهم الخلاص من القوات المصرية لكي يحلوا محلهم في حكم الاحساء، ولذا نراهم يأخذون سادلر من سيهات الى الهفوف عبر الصحراء في رحلة طويلة جدا لكي يؤخروا هذا المبعوث ما أمكن عن الوصول الى الحاكم المصري محمد أغا كاشف في مدينة الهفوف . ويصف سادلر سلوك شيوخ بني خالد معه بالقسوة وبأنه تعرض لعذاب جسدي وقلق نفسي كبير . وقد أمضى في الطريق وقتا طويلا إذ خرج من سيهات يوم ٢٨ يونيو عام ١٨١٩ ووصل الى الهفوف - قاعدة الإقليم ومركز الحاكم المصري - يوم ١١ يوليو من نفس العام . وهناك قوبل بحفاوة من قبل محمد كاشف الذي أبدى اهتماما بمهمته ، ووعده بتقديم المساعدات اللازمة لتسهيل أمر الاتصال بإبراهيم باشا الذي كان يقيم في الدرعية وعرض عليه أن يصحبه مع قواته المنسحبة الى نجد والتي تحدد يوم ٢٢ يوليو عام ١٨١٩م موعدا لبدء انسحابها ولكن الحاكم المصري تسلل مع عدد ضئيل من جنده خفية ، وترك سادلر يواصل مع العدد الكبير من الجند المصري

---

(١) رحمة بن جابر : ينتمي لجماعة العتوب ، التي تنتمي فيما يرجع إلى قبيلة (عنزة) ، وقام العتوب بمغادرة ديارهم في منطقة الافلاج في نجد على اثر خلافات وقعت لهم مع جيرانهم ، وكان تجمعهم يتكون من آل الصباح و آل خليفة و الجلاهمة ، وقد استوطنوا قطر بعد رحيلهم من الافلاج ، ثم انتهى بهم المطاف في الكويت حوالي سنة ١٧١٦م ، وتعاونوا على تأسيس مدينة الكويت حول كوت محمد بن عريعر الصغير . ولم يمض أكثر من خمسين سنة حتى انفصل آل خليفة ونزحوا إلى الزبارة في قطر حيث أسسوا دولة لهم هناك وسرعان ما لحق بهم الجلاهمة ولقد قام الجلاهمة بزعامة جابر العتبي والد رحمة بدور هام في فتح البحرين وضمها لآل خليفة . الا ان آل خليفة تنكروا لهم وحرموهم من المشاركة في الحكم ، ولذلك تمرد رحمة عليهم وراح يحالف كل طامع في البحرين، من امثال السلطان سعيد امام مسقط وكذلك الوهابيين ، والمصريين، في سبيل القضاء على آل خليفة ولكنه في النهاية قدم حياته ثمنا لآماله التي لم تتحقق ، إذ تمكن العتوب بالتعاون مع بني خالد من القضاء عليه سنة ١٨٢٦ م .
انظر ، جمال زكريا قاسم ، حوليات كلية الآداب ، عين شمس ، م ٩ ، سنة ١٩٦٤ ، ص١٧٩- ١٩٣ .

(٢) لوريمر، المصدر السابق ،جـ ٣، ١٤٢٩

الانسحاب يوم ٢٤ يوليو . ويصف سادلر القوات المنسحبة بأنها كانت في غاية الفرح لتركها ذلك الإقليم ، لشدة حرارته ، وقسوة الظروف التي كانوا يعملون فيها. وعرف سادلر اثناء اقامته في الهفوف من الاهالي أنهم كانوا يترقبون تلك اللحظة بفارغ الصبر[١] . ونستنتج من هذا أن سادلر كان يجمع معلوماته عن القوات المصرية وعن مدى تعاون سكان الإقليم معها، وكان يدون ذلك لكي تستفيد منه حكومة بلاده .

وعلى أي حال لقد تابع سادلر رحلته الى نجد، ولكنه فشل في الاجتماع بابراهيم باشا لأن الاخير كان قد غادر نجد عائدا الى الحجاز ، قبل وصول سادلر ولم يتمكن من الاجتماع به إلا في ٨ سبتمبر عام ١٨١٩م في المدينة المنورة حيث قدم له المقترحات التي حملها، فرفعها ابراهيم باشا الى والده، ولكن تلك المقترحات لم تلق ترحيبا من محمد علي ، واضطر سادلر الى الابحار عائدا الى بلاده دون أن يحقق هدفا من رحلته .

ومهما يكن ممن أمر فإن انسحاب القوات المصرية كان لصالح بريطانيا، إذ راحت توطد وجودها في بلدان الخليج دون منافس تحسب له أي حساب ، فضرب أسطولها في ديسمبر من نفس العام ١٨١٩م رأس الخيمة بحجة القضاء على القرصنة ، وراح ممثلها في الخليج السير وليم جرانت كير يكبل بلدان الخليج بقيود المعاهدة العامة التي منحت بريطانيا اليد العليا في تلك الجهات[٢] ، كما أن هذه المعاهدة حرمت على الإمارات برفع اعلام خاصة على سفنهم ، وأن تخضع سفنهم للتفتيش من قبل السفن البريطانية[٣].

ولكن هذه المعاهدة لم تشمل ساحل الاحساء، كما أن الإنجليز لم يحاولوا الاستيلاء على ذلك الساحل رغم أنه تسنى لهم وجود عسكري كبير في ميناء القطيف أثناء احتلال محمد كاشف لإقليم الاحساء. وذهب بعض الباحثين الى أن ذلك الوجود العسكري كان عبارة عن تظاهرة لتأييد المصريين في احتلالهم لتلك البلاد[٤] ، ولكن في اعتقادنا أن هذا التأييد الظاهري كان يخفي ورائه النية الحقيقية لبريطانيا ألا وهي إشعار القوات المصرية بشكل خفي بأنها قادرة على الوصول الى تلك المناطق والسيطرة عليها، لأنها كانت تعلم جيدا أن الوجود المصري على ساحل الخليج العربي يشكل بدون ريب تحديا مباشر لوجودها في تلك الجهات.

وهنا يتساءل أحد الباحثين وهو سنت جون فلبي[٥] ، لماذا لم تستول بريطانيا على كل بلدان الخليج طالما تحقق لها وجود في مياه القطيف ، و بمعنى آخر فأن فلبي يريد أن يقول أنه طالما كانت بريطانيا تسعى الى السيطرة على بلدان الخليج أتيحت لقواتها الفرصة للوصول الى ميناء القطيف ، فلماذا لم تستول على ساحل الاحساء ، ولماذا تركته بعد ذلك في أيدي القوى المحلية، ولم تقيده بمعاهدات كما فعلت بالنسبة للبحرين ورأس الخيمة وبقية بلدان الخليج؟ ولكنه في اجابته على ذلك التساؤل، لا يعطي إلا سببا واحد لذلك فيقول:... ولربما كانت عودة ماجد بن عريعر وأخيه الى الاحساء بعد مغامرة الاتراك (المصريين) لها حلا مؤقتا مرضيا من وجهة النظر البريطانية.....[٦].

---

(١) المصدر ، السابق ، ج٣ ، ص١٤٣٠ .
يقول لوريمر في ذلك: ... وأثناء وجوده في الهفوف، عرف كابتن سادلر ان الغزاة المصريين، كانوا قد انتهجوا كل وسيلة ممكنة لتعزيز سلطتهم في الاقليم الذي احتلوه، وعرف ايضا أن الأهالي كانوا ينتظرون رحيلهم بفارغ الصبر......
(٢) سيد نوفل ، الخليج العربي أو الحدود الشرقية للوطن العربي ، ص٢٥٩ـ ٢٦٢ .
(٣) نوار ، تاريخ العراق الحديث ، ص١٩٠ .
(٤) فلبي ، المصدر السابق ، ص١٦٥ .
(٥) نفس ، المصدر ،ص١٦٥ .
(٦) نفس المصدر ، ص ١٦٥ .

وفي اعتقادنا أن هناك ثلاثة أسباب منعت بريطانيا من التدخل في شؤون الاحساء ، كما فعلت في راس الخيمة :

أولها: أن بريطانيا قد صرحت في أكثر من مناسبة بأنها تعمل للسيطرة على بلدان الخليج، دون أن يكلفها ذلك الكثير من النفقات ، وهي تعتقد أن دخولها في حرب سافرة مع الساحل الاحسائي سيجرها للتدخل بقواتها في داخل شبه الجزيرة العربية ، وهذا ما كانت دائما تتلافاه، وتقصر جهدها على النشاط البحري ، وما هو في متناول مدافع سفنها وبوارجها الحربية فقط .

وثانيها: أن وجود رحمة بن جابر على ذلك الساحل، وفي منطقة القطيف بالذات، حيث كان يقيم في قلعة الدمام كان له أثره في عدم تدخل بريطانيا في شؤون ذلك الساحل، وذلك راجع الى أن رحمة ابن جابر على الرغم من شهرته كقرصان ، إلا أنه تجنب دائما الاصطدام بالقوات البحرية البريطانية[١]. هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى، فلقد كان رحمة بن جابر حليفا لسلطان مسقط السيد سعيد الذي كان بدوره حليفا لبريطانيا وقدم لها مساعدات في ضرب مقر القواسم في رأس الخيمة في هذا العام ١٨١٩م . لذا كانت بريطانيا لا تريد أن تخسر صداقة سلطان مسقط أو تجلب عليها نقمة رحمة الذي كان يتمتع بتأييد بعض قبائل الاحساء .

وثالثها: أن عودة (آل عريعر) اعداء الوهابيين التقليديين سيمنع الى فترة من الزمن زحف الوهابيين على بلدان الخليج ، وكان الوهابيون هم الذين يشكلون الخطر الداهم بالنسبة لبريطانيا، لأنهم كانوا يشجعون القرصنة على حسب رأي البريطانيين[٢] ـ وأن كان السعوديون يعتقدون أن ما كان يقوم به اتباعهم في البحر امثال القواسم إنما هو جهاد ضد أعداء الإسلام[٣] .

نخلص مما تقدم الى أن القوات المصرية قد انسحبت في صيف عام ١٨١٩م من الاحساء تاركة تصريف امورها لآل عريعر، شيوخ بني خالد الذين كانوا يعتمدون في تأييدهم السياسي على والي العرق، الذي سرعان ما تدهور الوضع في بلاده. إذ بدأت فارس تضغط على العراق ١٨٢٠م وقد تحرج موقف (داود باشا) على أثر ذلك ولم يستطع تقديم العون لبني خالد، لذا وجدوا أن حلفائهم السابقين من المصريين هم القوة الوحيدة التي يمكنهم الاعتماد عليها، اذا ما تعرضوا للخطر، ولذلك لم تنقطع الصلة بين القوات المنسحبة وبني خالد ، بل على العكس ، أضحى حكام الاحساء الجدد ينظرون الى حكومة القاهرة على أنها خير معين لهم ، بإمكانها أن تمدهم بالقوة وتقف الى جانبهم أمام الضغط البريطاني المتزايد والذي راح يأخذ شكلا سافرا على شواطئ الخليج ، وبدا بنوا خالد يحسبون له ألف حساب على أثر إخضاع راس الخيمة بقوة السلاح عام ١٨١٩م ، وارغام الإمارات العربية الأخرى على توقيع المعاهدة العامة ١٨٢٠م[٤] .

---

(١) انظر رحمة بن جابر الجلاهمة لجمال زكريا قاسم ، حوليات كلية الآداب ، عين شمس ، م٩، سنة ١٩٦٤ ، ص١٨٩

(٢) Selection from the records of Bombay Government Historical sketch about whhabees, p. 436.

(٣) ونحن نشارك السعوديين ذلك الاعتقاد .

(٤) عبد العزيز نوار ، المصدر السابق، ص١٨٩.

الصراع على الاحساء بعد انسحاب المصريين:

وهكذا واجه بنو خالد مع عودتهم لحكم الاحساء صعوبات عدة، فذاك النشاط البريطاني المتزايد على شواطئهم والذي كان يخيفهم كما أشرنا آنفا، وذاك (رحمة ابن جابر) الذي راح يسبب لهم متاعب داخلية، لأنه كان يرى في عودتهم الى الاحساء تحديا لمركزه على شواطئ القطيف، وهو المركز الذي أحرزه بتحالفه مع القوات المصرية، فنحن نعلم أن مدافع سفنه راحت تقصف القطيف في اللحظات الأولى لوصول القوات المصرية للاحساء، وأجبر المدينة على الاستسلام له باسم القوات المصرية الزاحفة. ولقد كافأه ابراهيم باشا على عمله ذلك بأن منحه تصريحا باعادة بناء قلعته في الدمام التي كان الوهابيون قد حطموها سنة ١٨١٦م (١) ، وكان ابراهيم باشا آنذاك يريد أن يجعل له أنصارا في منطقة الخليج يعتمد عليهم اذا ما فكر في الانسحاب مستقبلا، بالاضافة الى أن (رحمة) كان يعتبر القوة البحرية الوحيدة المساندة لابراهيم وقواته على شواطئ الخليج العربي آنذاك (٢) ، ولذا كان انسحاب القوات المصرية من الاحساء وعودة آل عريعر اليها بمثابة نكسة لآماله، فلقد كان رحمة يعول الكثير على مساعدة القوات المصرية له في تثبيت مركزه على ذلك الساحل ومساعدته في القضاء على أعدائه (آل خليفة) حكام البحرين، ولكن ذلك لم يفت في عضده فراح يهاجم من قاعدته على ساحل الاحساء سفن البحرين ويضيق الخناق على العتوب هناك، ولكن صراعة هذا مع جيرانه، أدى الى اضطراب الأمن في البحرين مما اضطر بريطانيا أن تعترف له بالسيادة على منطقة القطيف على ان يكف عن مهاجمته للبحرين وسفنها. وكانت بريطانيا آنذاك ترغب في تأكيد نتائج ايجابية لحملتها على رأس الخيمة، ولكن (رحمة) لم يستجب لذلك ورفض الانصياع لبريطانيا في التوقيع على المعاهدة العامة في عام ١٨٢٠م (٣)

وهنا نقف لكي نتساءل ، لماذا رفض (رحمة بن جابر) ذلك؟ وهل كان رحمة بذلك يمثل تمردا عربيا على سياسة بريطانيا في الخليج؟

من المعروف أن (رحمة) كان يعمل من أجل قضية سياسية وكانت قضية تشكل بالنسبة له الوجود أو الاندثار الى الأبد، ورأى أن الحلول الوسط لا تنفع مع أعدائه من آل خليفة ، وكان توقيعه على المعاهدة العامة سيلزمه بعدم مهاجمة البحرين ، وكان يدرك أن بريطانيا قادرة على أنهاء أي هجوم يقوم به بعد ذلك ، بالاضافة الى أن وضعه المادي كان عسيرا ، فكأن يضطر الى فرض الأتاوة على مدينة القطيف ، وبعض السفن التي تدخل منطقة نفوذ بين الحين والآخر ، وذلك لتحسين موقفه المالي وتعزيز موقفه العسكري ، وكان هذا مخالفا لما جاءت به مواد تلك المعاهدة.

ومن ناحية أخرى كان رحمة يدرك أن بريطانيا تتبع سياسة عدم التدخل في شؤون داخل الجزيرة العربية ، وكان رحمة يعتمد على بعض القبائل الموالية له على الشاطئ ، اضف الى ذلك أن رحمة كان يعتبر حليفا لسلطان مسقط ، وأن بريطانيا لم تكن لتضحي بصداقة سلطان مسقط في سبيل القضاء على رحمة . وربما كان لتكافؤ القوى العسكرية بين العتوب ورحمة ، وعدم تفوق أحدهما على الآخر ، اثره في احراج موقف بريطانيا فهي لا تريد أن تنهي احدى القوتين بالعدوان السافر حتى لا تجلب عليها نقمة سكان الخليج . ولذا استغل رحمة تلك الظروف ورفض التوقيع على المعاهدة العامة لعام ١٨٢٠م متحينا الفرصة للانقضاض على البحرين من جديد.

حاول رحمة بن جابر من موقعه على ساحل الاحساء أن يجد حليفا له يساعده في القضاء على العتوب، ولقد اتفق مع الحاكم مقاطعة فارس عام ١٨٢٠م ، ولكن الكولونيل بروس ممثل شركة الهند الشرقية البريطانية في المنطقة استطاع عام ١٨٢٢م اقناع أمير شيراز بالتخلي عن حليفه ابن جابر. وهكذا استطاعت بريطانيا أن تطعن رحمة بن جابر في تطلعاته لايجاد حليف قوي يعتمد عليه(٤) . وهنا

---

(١) Arrnold Wilson The Persian Gulf 3 rd imp. London 1959, p. 210

(٢) جمال زكريا قاسم، حوليات كلية الآداب، عين شمس، م ٩ لعام ١٩٦٤، انظر المقال بعنوان: (رحمة بن جابر)، ص١٨٦.

(٣) المصدر السابق، ص ١٨٩.

(٤) المصدر ، السابق، ص١٩٠

راح العتوب يطلبون من بريطانيا العمل على تهدئة الخلاف بينهم وبين رحمة بن جابر ، ولكن المندوب السياسي البريطاني التي تقدم بها كل من الطرفين[١] .
ولكن بعد عامين أجبرت الظروف كلا من رحمة وشيخ البحرين على الاتفاق وتوقيع معاهدة في فبراير عام ١٨٢٤م ، وذلك بتمهيد من المقيم البريطاني في الخليج (أ. ج. ستانوس) E.G.stannus. . وقد جاءت في تلك المعاهدة عدة شروط تلزم رحمة أولا: باطلاق يد حاكم البحرين ومعاقبة قبيلة آل بوسميط الذين كانوا قد لجأوا الى ساحل الاحساء، وثانيا: الزام رحمة بعدم الاعتداء على البحرين ، واعتبار شيخ البحرين وشعبه اخوانا له يساعدهم ضد أي عدوان يقع عليهم[٢].
ولكن هذه المعاهدة كانت قد قيدت رحمة فوقع في مأزق مالي فيمم شطر سلطان مسقط حليفه القديم، ولكنه عاد ولم يحقق ما كان يرجوه ، فاتجه الى القطيف وحاصرها وأجبرها على دفع الاتاوة بدأ ينهب سفن المدينة التابعة لآل عريعر ، مما اضطر بريطانيا لارسال سفينتين حربيتين لترابطها خارج ميناء القطيف وانذرته بأن يكف عن اعماله ، والا اضطرت لا يقافه عند حده بالقوة ، ولكن رحمة لم ينصع لتهديداتها كما أن بريطانيا لم تنفذ تلك التهديدات ، وقررت عدم التدخل الا اذا امتدت أعماله خارج منطقة القطيف[٣] ، وهذا اعترف بل تأكيد للاعتراف السابق بسيادة رحمة على منطقة الدمام والساحل المجاور لها بما فيه مدينة القطيف .
وفي اعتقادنا أن عناد رحمة كان يرجع الى عاملين هامين :
اولهما : أن هذه المنطقة كانت تشكل بالنسبة له ملكا ، ولا يمكنه أن يسمح لأحد بالتدخل في شؤون ملكه .
وثانيهما: أن عودة الوهابيين للظهور من جديد في نجد تحت سلطة تركي بن عبد الله كان يشكل بالنسبة له بارقة أمل جديد، ربما استطاع استغلالها لصالحه، خاصة وهو يعلم أن الوهابيين لن يتركوا أمر الاحساء لأعدائهم من آل عريعر ، كما أنهم سيسعون الى اخضاع البحرين لحكمهم كما كانت سابقا.
وفي مثل هذه الظروف أصبح واضحا أن المعاهدة بين رحمة والعتوب أصبحت شبه لاغية ، وخاصة عندما تركت بريطانيا لرحمة السيطرة على منطقة القطيف وتركته يهاجم سفنها هناك ، فتجدد العداء وبدأت مناوشات لم تصل حد الحرب المنظمة، وتقدم الطرفان للمقيم البريطاني يطلبان عقد معاهدة جديدة بينهما ، فاشترط عليهما دخول أهل القطيف طرفا في الصلح على اعتبار أنهم تابعون لبني خالد فرفض رحمة ذلك[٤] ، وهنا أسرع العتوب الى بني خالد يتحالفون معهم ضد رحمة للخلاص منه . فقد كان يشكل شوكة في خاصرة بني خالد - فهو يحتل جزءا من سواحلهم ويقيم عليه قلعته في الدمام ، ويهدد إحدى مدنهم الهامة في تلك المنطقة (القطيف) ، واما مصلحة العتوب فكان زوال ذلك المنافس الطامع في البحرين نفسها والذي عمل كل جهده للقضاء على حكامها ، واما بريطانيا التي كانت تخشى عودة الوهابيين للاحساء من جديد، واحتمال تحالف رحمة معهم، فقد تركت الامور تسير في مجراها دون أن تتدخل ، وقام بنو خالد بمحاصرة رحمة عام ١٨٢٦م برا بينما تصدت قوات العتوب البحرية لإحدى سفنه التي كان هو على ظهرها في خليج القطيف ، وعلى الرغم من كثرة السفن التي حاصرته إلا أنه قاتل بضراوة حتى انفجرت الذخيرة الموجودة في سفينته فقضت عليه وعلى اتباعه . وكان رحمة قد شاخ وفقد بصره ، لذا راح في أثناء محاصرة سفينته يستعين بأحد ابنائه الصغار في تصريف شؤون

---

(١) Selections from the records of Bombay Government Historical Sketch about Uttobbee Arabs .p .373

(٢) Selections from the records of records of Bombay Government . Treaties With the Arab Tribes of the persion Gulf .P. 85

(٣) لوريمر ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص١٤٣٢

(٤) نفس المصدر والمكان

المعركـة الفاصـلة والاخيـرة فـي حياتـه ، ومـات رحمـة وهـو لا يـزال يتمتـع بنفعـه المعهـود ، وروحـه المتمردة(١).

وعلى أثر موته حاول سلطان مسقط واما الوهابيين تثبيت ابنه بشر بن رحمة في قلعته بالدمام وكان كل منهما يهدف الى خدمة مصالحه الخاصة ، فامام الوهابين كان يسعى الى جعل بشر بن رحمة اداة لتحصيل الزكاة له من العتوب ، كما أن سلطان مسقط ما انفك يفكر بالبحرين ، ويطمع بالاستيلاء عليها(٢) . وفعلا زحف ـ يؤيد بشر ـ على البحرين في عام ١٨٢٨م ، ولكنه خسر العديد من جنده وعاد يجر أذيال الفشل(٣) ، ولذا اضطر بشر على اثر ذلك لمغادرة ساحل الاحساء الى مسقط عام ١٨٣٣م ، وهكذا اختفت اسرة الجلاهمة كقوى سياسية في المنطقة(٤).

عودة الاحساء تحت الحكم الوهابي:

لم يكد بنو خالد يستريحون من خطر (رحمة) حتى لاح في افق بلادهم خطر أكبر يتمثل في ظهور الوهابيين من جديد في نجد تحت قيادة تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود أحد افراد البيت السعودي، الذي كان قد تمكن من الافلات من قبضة إبراهيم باشا على أثر احتلال الاخير للدرعية ، ووجد له ملجأ بين أعراب البادية في منطقة الخرج . وبعد أن اختفى لفترة عاد الى الدرعية ليجد (محمد بن مشاري بن معمر) أحد اعيان (العيينة) (٥) قد طمع في الرئاسة وبايعه بعض أهالي نجد، واخذ يعيد تعمير الدرعية ، وراح يكاتب سكان نجد ليفدوا إليه مبايعين بالامامة، وفعلا قدم إليه بعضهم وبايعوه فاستقر في الدرعية، وكان ذلك عام ١٨١٨م . وفي بداية العام التالي قامت معارضة بين أهالي الدرعية ضد الامام الجديد (ابن معمر) وراح المعارضون يكتبون الى (ماجد بن عريعر) زعيم بني خالد وحاكم الاحساء، الذي، كان آباؤه واجداده يطمعون في نجد منذ عهد بعيد وطلبوا إليه أن يضع حدا لابن معمر. ولاقت هذه الدعوة هوى في راس زعيم بني خالد الذي سرعان ما أعلن النفير زحف بجيشه وعربان الاحساء متوجها الى نجد لأخضاع (ابن معمر) الذي ايقن أنه خاسر لا محالة امام جموع بني خالد ولذلك راح يستلطف (ماجد بن عريعر) فكتب إليه، أنه أنما يملك هذه البلدان باسم الدولة العثمانية ، وأكد لماجد في إحدى مراسلاته أنه لا يمكن أن يخرج عن كونه أحد أتباع بني خالد(٦) .

وعلى أي حال فقد استطاع (ابن معمر) أن يثني شيخ بني خالد عن عزمه بتلك الرسائل وببعض الهدايا التي قدمها له ، فقفل الاخير راجعا الى الاحساء ، وهو لا يعلم أنه اضاع فرصة سانحة طالما تمناها آباؤه واجداده . ولذلك حدث ما يشبه التصدع في جبهة (آل عريعر) اثناء الانسحاب حنقا على

---

(١) انظر رحمة بن جابر الجلاهمة ، حوليات كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، م ٩، سنة ١٩٦٤ ، ص١٩١.

انظر أيضا ابن بشر ، المصدر السابق ، ج٢، ص٢٧. والتحفة النبهانية ، ص١٥٢.

(٢) Selection from the Bombay Government Vol . XXXIV Historical Sketh about Uttobee Arabs p .382 p .382

(٣) النبهاني ، التحفة النبهانية ، ص١٥٢ـ ١٥٣.

(٤) اطلق على من تبقى من اسرة الجلاهمة فيما بعد اسم عائلة النصف وهي عائلة معروفة وكبيرة في الكويت والبحرين.

انظر ابو حاكمة، تاريخ شرق الجزيرة العربية، ص١٠٣.

(٤) احدى بلدان نجد ، وقد بدأ منها الشيخ محمد بن الوهاب دعوته الاصلاحية قبل رحيله إلى الدرعية .

(٦) كان ابن معمر يشير بذلك إلى عهد أجداده حينما كانت العيينة تعتبر تابعة لشيوخ الاحساء من آل حميد ، قبل ظهور الدعوة السلفية .

تصرف شيخهم الذي عاد يجر أذيال الفشل (1). ولكن (ابن معمر) ما كاد ينتهي من أمر شيخ الاحساء وأميرها ماجد بن عريعر حتى ظهر له منافس خطر إذ عاد الى الدرعية عام ١٨١٩ م (مشاري ابن سعود) احد اخوة عبد الله بن سعود آخر ائمة الوهابيين في الدولة الاولى، وعندما دخل (مشاري ابن سعود) الدرعية ، بايعه أهلها اماما ولذلك اضطر (ابن معمر) لمبايعته مجاراة لأهل الدرعية ، إلا أنه سرعان ما غدر به ، فالقى القبض عليه وارسله الى عيوش آغا القائد التركي الذي كان يقيم في عنيزة ، واخيرا لاقى مشاري بن سعود حتفه في سجنه(2).

لقد أثار ذلك العمل نقمة السعوديين فثار (تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود) على (ابن معمر) وقتله هو وابنه آخذا بثأر ابن عمه ، ثم بويع له بالإمامة، وقد قام بجهد كبير في اعدة النظام والهدوء الى نجد، واستطاع ان يتخلص من القوات التركية المرابطة في نجد . وفي هذه الاثناء كان (ماجد بن عريعر) قد وطد مركزه في إقليم الاحساء الذي لم تدخله القوات التركية على اثر انسحاب المصريين ، فنعم بالطمانينة والسلام (3) .

لقد اشرنا الى أن ظهور (تركي بن عبد الله آل سعود) في نجد والتفاف قلب الجزيرة العربية من حوله ، قد أخاف (آل عريعر) حكام الاحساء. ولكن تركي كان لديه من المشاغل ما جعله يضرب صفحا عن التفكير بإقليم الخليج العربي ، إذ كان همه الأول تثبيت نفسه في حكم نجد، ومع هذا وجد (ماجد بن عريعر) نفسه أمام عدو لم يكن في الحسبان ، هو (فيصل الدويش) زعيم قبائل مطير وحليف الاتراك القديم الذي زحف على راس جيش من (مطير) قاصدا الاحساء، لنجدة العجمان في معركة (الرضيمة) في هضبة (عرمة) والتي كانت قد نشبت أساسا بين العجمان وآل عريعر ، وانتهت بهزيمة بني خالد هزيمة شنعاء (4).

ابان هذه الفترة كان بنو خالد لا يتورعون عن شن بعض الغارات على حدود نجد كنذير للعدوان مما اضطر (تركي) الى هدم آبار المياه التي ينزل عليها عربان بني خالد في غاراتهم تلك مثل آبار (حفار العتك) و (ام الجماجم) ، إلا أن الاعراب سرعان ما كانوا يهتدون إليها(5).

وفي نهاية عام ١٨٢٨م اتضح (لتركي) الاستقرار دولته في نجد، كما أنه تأكد من زوال أحد المنافسين الأقوياء لبني خالد إلا وهو (رحمة بن جابر) ولذا أيقن امام الوهابيين بأن بني خالد لابد أنهم سيبدأون في زيارة نشاطهم المعادي ضد نجد، فاراد أن يسبقهم ويشن عليهم حربا أشبه ما تكون بحرب العصابات ، هادفا من وراء ذلك الى استنزاف قوة اعدائه ـ فأرسل في خريف عام ١٨٢٩م أحد قادته وهو (محمد بن عفيصان) على رأس جماعة لشن غارة على الاحساء، ولقد نفذ ذلك القائد أوامر سيده ، فهاجم قافلة كانت عائدة من (القطيف) ومتوجهة الى الهفوف واستولى على الاموال التي بحوزتها ، وعلى أثر ذلك ادرك شيوخ بني خالد ما كان يرمي إليه تركي فأرادوا نقل الحرب الى عقر داره ، فجهزوا حملة كبيرة زحفوا على نجد يريدون انهاء حكم تركي بن عبد الله ونزلت جموعهم في مكان يسمى (خفيسة المهمري) (6) لكي يستفيدوا من المياه التي تقع بجواره. ولقد اجتمع اليهم في ذلك المكان حلفاؤهم من القبائل العربية ، فجاء (فهد بن مبارك الصيفي) رئيس قبائل سبيع ، (وضويحي الفغم)

(١) ابن بشر ، المصدر السابق ، ج١ ص٢٢١. انظر أيضا فلبي ، المصدر السابق ، ص١٦٧ .
(٢) ابن بشر ، نفس المصدر ، ج١ ، ص٢٢٤.
(٣) فلبي ، المصدر السابق ، ص١٧٤ .
(٤) المصدر نفسه ، ص١٧٤ : وقد اوضح لنا بعض هذه المعلومات السيد سعود الجمران العجمي .
(٥) نفس المصدر ، ص١٨٠.
(٦) يقع هذا المكان بالقرب من ماء يسمى عقلا .

رئيس الصهبة ومطير ، (ومزيد بن مهلهل ابن هذال) وتباعه من عنزة وغيرهم من أعراب البادية ، واجتمع هؤلاء الى بني خالد وبات الامر خطيرا ولما وصلت أخبار تلك الجموع الى امام السعوديين أخذ يستعد للمواجهة وراح يقابل التحدي الذي كان يعلم أنه يقود الى معركة المصير ، فاعلن النفير في نجد وبعث وراء مؤيديه من رؤساء قبائل البادية فجاء (مطلق المصخ) (وعساف أبو اثنين) واتباعهما من سبيع ، (وضويحي بن خزيم بن لحيان) واتباعه من السهول ، (ومحمد بن هادي بن قرملة) واتباعه من قحطان، وغيرهم من آل شامر والعجمان والدواسر واجتمعوا الى ابنه وقائد جيشه (فيصل بن تركي) ووضعوا خطة هدفها حرمان بني خالد واتباعهم من الماء الذي ينزلون بقربة، وفعلا استطاعت قوات (فيصل) ومؤديه النزول بين الماء وبين جموع بني خالد (1) . وبدأت المعركة بمناوشات بين الطرفين قتل في بدايتها (ماجد بن عريعر) زعيم بني خالد وقائدهم الشجاع الذي كان موته مثار خلاف الباحثين (2) . وعلى أي حال فقد كان لموته أثر فعال في بث روح الهزيمة بين أتباعه ، بينما زاد ذلك من عزيمة خصمه قوة. فراح (فيصل) يكتب الى والده يبشره بذلك ، وسرعان ما ظهر تركي في أرض المعركة مع عدد من جنده، جاء بهم ليشد أزر ابنه، فوصل أرض المعركة في اوائل عام ١٨٣٠((3)) .

وعلى اثر موت (ماجد بن عريعر) اسندت القيادة لأخيه (محمد بن عريعر) ذلك الرجل الطاعن في السن الذي كان موت اخيه ماجد في هذه اللحظات الحاسمة يعتبر بالنسبة اليه كارثة منعتة من القيام بمهام القيادة. فاسندها الى ابن اخيه (برغش) الذي تريث قليلا قبل ان بدأ بالهجوم على أعدائه الذين كانوا يتوقعون ذلك، فانسحبوا أمامه خدعة ليجروه الى مصيدة ويتمكنوا من الاحاطة بجيشه، وفعلا نجحت الخطة واستدرج القائد الشاب الذي كان عهده بالحرب حديثا فوقعت الكارثة وهزم بنو خالد شر هزيمة (4) . وراح (تركي) يشن هجوما كاسحا على مواقع اعدائه الذين زاد موقفهم ضعفا، انسحاب بعض أنصارهم من أرض المعركة عند بداية الهزيمة، أمثال قبيلة مظير التي ساهم انسحابها في هزيمة بني خالد مساهمة فعالة ، وانتهت المعركة التي بدأت في منتصف فبراير عام ١٨٣٠م يوم ٢٢ مارس من العام نفسه (5) ، واستطاع (تركي) وابنه (فيصل) الاستيلاء على معسكر آل (عريعر) بما فيه من ذخائر ومؤن وسميت هذه المعركة (وقعة السبية)(6).

وعلى الرغم من كل ما حدث فلم يهن (محمد بن عريعر) ولم يستسلم وكان لا يزال يراوده الامل في الابقاء على الاحساء ، بعد أن أيقن من تلاشي اطماعه في نجد، ولذا انسحب من أرض المعركة الى الاحساء ، وراح يتحصن في الهفوف قاعدة الاقليم لأنه كان يدرك جيدا، أن السعوديين لن يكتفوا بهذا النصر ، وإنما سيتابعون زحفهم صوب الاحساء ، وصدقت توقعاته بعد اسبوعين كان (تركي) قد

---

(١) ابن بشر ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٣٥.
(٢) صاحب تحفة الاحساء يقول بان موته كان بسبب المرض ، وأما فلبي فيذهب الى انه قتل ، ابن بشر وهو أقربهم الى ذلك زمنا فيكتفي بايراد خبر موته دون إبداء الاسباب في حين جاء في تقارير المقيمة البريطانية في الخليج أن موته كان بسبب مرض لم يمهله .
(٣) كان ذلك في العشر الاواخر من رمضان سنة ١٢٤٥هـ .
(٤) Selections from the Bombay Government , Wahabees, p. 438
(٥) فلبي ، المصدر السابق ، ص١٨٢.
(٦) ابن بشر ، المصدر السابق ، ج٢، ص٣٥.
وسميت كذلك لكثرة ما سبي فيها من الحلي والحلل والاثاث والاغنام والابل .

أمضاها في أرض المعركة يجمع الأسلاب ويوزعها على جنده ، مؤلفا بذلك قلوبهم ، ومعدا اياهم لمهمة جديدة ، وقبل ان يبدا زحفه على الاحساء أرسل رسله الى قراها ومدنها يعرض عليها الاستسلام وسار بمجموعة في أثر أولئك الرسل(١).

وكان الامر عصيبا بالنسبة لأهل الاحساء ، فهذا (محمد بن عريعر) ما زال مصمما على المقاومة ، وذاك تركي بن عبد الله يزحف بمجموعة ، وهذه رسله تعرض عليهم الاستسلام ، وكان الوقت ضيقا، وكان عليهم أن يتخذوا قرارهم بسرعة ، فلا مجال للاتصالات والمشاورات، خاصة وأن معظم جموعهم كانت عائدة من أرض المعركة في حالة من الفوضى والاضطراب ، ولذا راحت معظم قرى الاحساء تعلن خضوعها وتبعيتها لامام الوهابيين ، مضحية باستقلالها مؤثرة السلامة. وأما (محمد بن عريعر) فقد تحصن في كوت (٢). الهفوف، ورتب أوانه وبعض أقاربه على حصونها، للدفاع عنها، وتقدمت القوات الوهابية واتخذت من تل غنيمة قرب الهفوف مقرا لعملياتها التي بدأت تطبق على المدينة ، ففر الكثيرون من المدافعين عنها ، وهنا سارع الزعماء المدنيون والروحيون بتقديم الولاء للأمام (تركي). وبعد حصار لم يدم طويلا وجد (ابن عريعر) أن لا جدوى من الاستمرار في الإعتصام، ونزل من حصنه على الشروط التي أملأها عليه امام الوهابيين ، على أن يترك أمر تقريره لذلك الإمام نفسه، ولقد كان (تركي) شهما مع خصمه ، فأمنه وأعطاه ما أراد من المال والابل وغادر ابن (عريعر) الاحساء متوجها الى العراق.

وفي اعتقادنا أن هذه السياسة المتسامحة كانت ترمي لكسب سكان الاحساء الى جانبه بعكس ما كان يتبعه أسلافه في اخضاعها من القوة والبطش ، لانه أدرك أن تلك الاساليب كانت تؤدي دائما الى ثورة السكان ، وكان هو يسعى الى استقرار جميع الاقاليم التي تخضع لحكمه . ولكن ذلك لم يمنع (تركي) من أن يبعث في أثر بعض زعماء بني خالد الذين فروا ولم يعلنوا الخضوع أمثال (برغش) ولكنه لم يتمكن من القاء القبض عليهم . وهكذا نرى أن الاحساء عادت الى السعوديين . وعلى أثر ذلك اخذ (تركي) وابنه (فيصل) يدبران أمر الاقليم ويديران شؤونه قرابة شهر ونصف ، ثم عادا الى الرياض بعد أن عين أمام الوهابيين واليا على ذلك الاقليم لينوب عنه في ادارته هو (عمر بن محمد بن عفيصمان) وسند الامور الدينية للشيخ عبد الله الوهيبي، وقبيل رحيله وفد إليه زعماء أهل القطيف ، واهل رأس الخيمة معلنين ولاءهم وتبعيتهم له(٣) .

وهكذا انتهى دور بني خالد في تاريخ الاحساء في هذه الفترة ولم يدم عهدهم هذا أكثر من عشر سنوات ، ولكن القضاء على بني خالد واستيلاء الوهابيين على الاحساء لم يكن ليلقي صدى طيبا لدى السلطات المصرية القاهرة ولا لدى السلطات التركية والموالية لها في الحجاز ، ولكن المصريين كانوا

---

(١) فلبي ، المصدر السابق ، ص٩١.
(٢) قلعة الهفوف الموجودة في الزاوية الشمالية الغربية من المدينة .
(٣) ابن بشر ، المصدر السابق ، ج٢، ص٣٧. انظر ايضا فلبي ، المصدر السابق، ص١٨٣.

مشغولين باعداد جيش حديث وتدريبه تدريبا عصريا، فبعث محمد علي عابدين بك محافظ مكة عام ١٨٣٠م يقول :

... ان جنود مصر المعلمة المدربة حقيقة بأن تهزم تركيا وتغلبه إلا أن الجناب العالي يرى تعليق هذه المهمة وتأجيلها الى وقت آخر وذلك يتم ما هو في كتب التدريب والقوانين العسكرية كما يعتمد الجناب العلي على (عابدين بك) في أن يشترك مع الشريف امير مكة في نصح (تركي) وغيره ممن يرى لزوم نصحهم ، فإن لم ينتصحوا أو ينتهوا سخر عليهم الجناب العالي جيشا لجبا يكتسحهم اكتساح السيل فيقهرهم ويدفع غائلتهم(١) .

ومن هذه الرسالة يتضح لنا أن محمد علي مازال يعول على بقاء الاحساء بعيدة عن أيدي الوهابيين لعمله بأن مركزها الاستراتيجي هام جدا وأدراكه أن سيطرة الوهابيين عليها ستمكنهم من الاتصال بامارات الخليج والانفتاح على العالم الخارجي مما يزيدهم منعة ويوطد اقدامهم على شواطئ الخليج العربي ، وهذا ما كان يخشاه (محمد علي) ولذا فهو يشير بوضوح الى أنه لن يتركهم يحققون ذلك وأن المانع الآن من ارسال جيوشه لقهرهم هو انشغاله في إعداد تلك الجيوش وتدريبها التدريب العسكري الحديث الذي يلائم روح العصر ومتطلبات القتال فيه ، وفي هذه الرسالة أيضا اشارة واضحة الى أن محمد علي لم يكن راضيا عن نتائج المعارك التي حسمت الوضع لصالح الوهابيين صد بني خالد الذين كانوا على صلة بحكومة القاهرة .

وأرسل في ننفس اليوم رسالة اخرى مشابهة الى شريف مكة بنفس المعنى، ولكن يبدوا أن (تركي) لم يحفل بذلك، وكان همه الاول هو اقرار النظام في اقليمه الجديد، الذي أخذت الأمور تسير فيه طبيعيا، واتبع (تركي) لتحقيق ذلك سياسة متسامحة مع أهل الاحساء على اختلاف مذاهبهم ، سواء أكانوا من السنة أم من الشيعة (٢) .

وعلى الرغم من ذلك ، ظهرت في الاحساء بعض الحركات المناوئة ، التي سرعان ما أخمدها أمام السعوديين حتى لا يسمح لها بالتطور والاستفحال ، ففي اواخر صيف عام ١٨٣٢م قاد بنفسه حملة على الاحساء لمعاقبة (العجمان) على بعض تصرفاتهم المعادية ، وكان زعيمهم آنذاك (فلاح بن حثلين) يقيم مع عربانه عند آبار (أم ربيعة) ولكنه سرعان ما فر عندما علم باقتراب جيش السعوديين. وفي اثناء وجود امام الوهابيين في بادية الاحساء، أعلن شيخ قبيلة (بني مرة) ولاءه وخضوعه للدولة السعودية

---

(١) وثائق عابدين ، سجل ر٤٠، وثيقة ٤١٢، بتاريخ ٢٧صفر عام ١٢٤٦هـ ، وهي عبارة عن رسالة من محمد علي ردا على رسالة عابدين بك محافظ مكة يخبره فيها باحتلال تركي للاحساء ويستأذنه في القضاء عليه (وهو ما لن يكلفه سوى قليل من المصرف) .

(٢) تصف الوثائق البريطانية (تركي) بأنه كان مستنيرا بدرجة أكثر من أي من أسلافه وتعزو ذلك لاصداره بلاغا للحجاج المسلمين من السنة والشيعة على حد سواء يخبرهم فيه بأنهم احرار في اختيار الطريق الذي يسلكونه الى مكة والمدينة وأنه يضمن سلامتهم بنفسه .

Selection from Bombay Government – wahabees –p. 439.

وكان هذا حليفا قويا للعجمان فلما سمع (ابن حثلين) بذلك أعلن استسلامه بلاقيد ولا شرط ، لانه كان قد أدرك أنه يعمل من أجل قضية خاسرة ، وأن أكبر أعوانه قد تخلى عنه فالقي القبض عليه وأرسل ليسجن في الرياض ، واما تركي فقد تأكد بعد ذلك خضوع وولاء بادية الاحساء له ، لذا راح يتفقد الامور في مدن الاحساء، فتوجه الى القطيف فسارعت بتقديم الهدايا، وتاكيد الولاء، ولم ينس أن يعرج على الهفوف متفقدا سير الامور في عاصمة ذلك الاقليم (١).

وفي اعتقادنا أن (تركي) كان يعول الكثير على استقرار الامن في هذا الاقليم الذي يعتبر من أخصب بقاع دولته وأهمها من الناحية الاستراتيجية ، غير ناس أن سكانه كانوا دائما مصدر ازعاج لاسلافه ، ولذا نراه في طريق عودته للرياض يدعو لعقد مؤتمر عام لعشائر بواديه وأركان دولته، تحدث فيه عن الفلسفة التي تقوم عليها دولته والتي تطبقها حكومته، وأكد على ضرورة الوحدة تحت راية الاسلام والدعوة السلفية الاصلاحية التي يرفع لواءها وهدد عماله بطردهم خارج البلاد، إذا ثبت عليهم ظلمهم للرعية(٢).

ومن هنا يتضح لنا أن (تركي) أخذ يعمل ما في وسعه على توطيد الأمن والاستقرار في دولته وخاصة في اقليم الاحساء الذي كان يعاني منه اسلافه. ولكن لم يمض على ذلك اكثر من عامين حتى وجد (تركي بن عبد الله) نفسه مشغولا عن احداث دولته بأمور الاحساء من جديد لأن الفوضى بدأت تعم هذا الاقليم، وخاصة منطقة القطيف الساحلية، التي ثار فيها سكان جزيرة (العماير) وهم من بني خالد وقد استطاع هؤلاء أن يقطعوا طرق المؤن عن القطيف مما اضطر (تركي) ان يرسل ابنه (فيصل) على رأس جيش لنجدة عامله على القطيف (عبد الله بن غانم) واستطاع (فيصل) أن يهزم الثائرين ، ولكنهم هربوا ملتجئين الى الدمام التي كانت تخضع لشيوخ البحرين، منذ تغلب هؤلاء على رحمة بن جابر عام ١٨٢٦م . وأراد (فيصل) أن لا يصطدم بالعتوب أولا، ووجه نشاطه للقضاء على فريق آخر من سكان جزيرة (العماير) كانوا قد فروا الى قرية سيهات وتحصنوا فيها، وراح فيصل يضيق الخناق على تلك البلدة ، فاحتل دارين وجزيرة تاروت وراح يواصل حصار الثائرين في سيهات. وفي اثناء ذلك الحصار وصلته أخبار عن مقتل ابيه في مدينة الرياض في مايو عام ١٨٣٤م . ففك الحصار وسارع بالانسحاب الى مدينة الهفوف حيث عقد اجتماعا لكبار قادة جيشه وكان من ابرزهم صديقه الحميم (عبد الله بن علي بن رشيد) (٣) .

ومن بينهم ايضا (عمر بن عفيصان) والي الاحساء، (و عبد الله بن غانم) حاكم القطيف ، وغيرهم، فأطلعهم على النبأ المحزن ، وطلب منهم المشورة ، فأشاروا عليه بالتقدم لاسترداد حكمه المغتصب ، وبايعوه إماما وقام (عمر بن عفيصان) بتجهيز جيش سيده ووضع خزانة الاحساء تحت تصرف (فيصل) دالا بذلك على اخلاصه وتعاونه، فانطلق (فيصل بن تركي) من الاحساء الى الرياض، فوصلها يوم العشر من يونيو عام ١٨٣٤م وبعد حصار قصير استطاعت قواته اقتحام القصر الذي كان يتحصن فيه

---

(١) فلبي ، المصدر السابق ، ص١٨٩.

(٢) ابن بشر ، ج٢ ، ص٤٤.

(٣) الذي صار فيما بعد أميرا على آل الرشيد في حائل وأسس أسرة آل الرشيد التي نافست السعوديين في نجد ، وقضت على الدولة السعودية الثانية وطردت الامام عبد الرحمن بن فيصل ، الذي استقر به المطاف في الكويت وظل فيها من عام ١٨٨٩م الى سنة ١٩٠٢م حين تم لابنه عبد العزيز استعادة الرياض بمساعدة شيخ الكويت مبارك بن صباح .

(مشاري بن عبد الرحمن آل سعود) [1]، الذي كان قد اغتصب الحكم ، فالقي عليه القبض ، واعدم في الحال ، وبويع لفيصل يوم ١٨يونيو من العام ذاته [2] .

وقبل أن نطوي صفحة الإمام (تركي) يجب علينا ان نعرض للدور الذي لعبه في بلدان الخليج منطلقا من قاعدته التوسعية في الاحساء.

فعلى اثر احتلاله لهذه المنطقة عام ١٨٣٠، وجه اهتماما للبحرين في الشرق والى قطر وساحل عمان ومسقط في الجنوب [3] فسارعت بعض بلدان الخليج آنذاك للاعتراف بسلطته فبعثت وفودها مهنئة، كما فعل القواسم أهل رأس الخيمة ، وان كانت التقارير البريطانية تعزو ذلك، لتوقع القواسم تجدد أعمال القرصنة (على حد زعمها) التي كانوا يمارسونها تحت ظل الوهابيين في الماضي[4] . ولقد اضطرت مسقط الى ارسال وفد للتهنئة في اوائل عام ١٨٣١م الى الرياض يحمل الهدايا، وكانت ترمي من وراء ذلك الى خطب ود أمير الوهابيين لكي يساعدها في تحقيق اطماع امامها في البحرين ، ولكن الامام (تركي) وضع شيخ البحرين امام خيارين أما الحرب ، أو التسليم بدفع الزكاة. ولقد اختار شيخ العتوب الطريق الثاني واعترف بسيادة الوهابيين على أن يقدم أيضا زكاة سنوية، وعلى أثر ذلك اعلنت معظم بلدان الخليج اعترافها بسيادة الوهابيين، واصبح كل ساحل الجزيرة العربية الشرقي من رأس الحد في الجنوب الى الكويت في الشمال خاضعا لهم باستثناء أبو ظبي [5].

وبناء على الوضع الجديد راح (تركي) يحاول اقناع السلطات البريطانية في الخليج بأنه لا يعمل ضد وجودهم في المنطقة وارسل لهم بواسطة شيخ عجمان (راشد ابن حميد) في عام ١٨٣١م يعبر عن رغبته في اتباع نفس الخطوات الودية التي كانت موجودة سابقا بين الحكومة البريطانية وسلفه (سعود) وقد اجيب على ذلك إجابة ودية بواسطة القيم البريطاني في الخليج [6] .

وفي اواخر العام التالي ١٨٣٢م اتخذ (تركي) من الاحساء منطلقا نحو البريمي، فأرسل الى (عمر بن عفيصان) عاملة على الاحساء، طالبا منه التحرك صوب البريمي، والعمل على تثبيت وجود الوهابيين في تلك الواحة ، وفعلا زحف (ابن عفيصان) في يناير عام ١٨٣٣م على رأس ثلاثة آلاف جندي، ووصل إليها في الشهر التالي، وبعد احتلاله للبريمي راح يطالب (السيد سعيد) سلطان مسقط بدفع الزكاة والا عمل على تخريب عمان. ولما كان (السيد سعيد) يواجه خلافات عائلية اضطر لدفع زكاة مقدارها خمسة آلاف ريال، وعاد (عمر بن عفيصان) الى مقر عمله في الاحساء في نفس العام حاملا معه الغنائم [7] بعد أن ترك هناك حامية قوامها سبعون رجلا[8] .

والذي نستطيع أن نخرج به هنا أن الاحساء كانت تشكل في عهد (تركي بن عبد الله آل سعود) قاعدة توسعية انطلق منها السعوديين نحو بلدان الخليج، يمارسون سيطرة فعلية ، على بعض مناطقه ، كما رأينا في البريمي، ويكتفون بجمع الزكاة والاعتراف الاسمي بسيادتهم في بعضها الآخر كمسقط

---

(١) هو ابن اخت تركي ، شق عليه عصا الطاعة ، وتآمر عليه طمعا في الحكم .
(٢) فلبي ، المصدر السابق ، ص١٨٩.
(٣) ج . ب. كيلي ، الحدود الشرقية لشبه الجزيرة العربية ، ص٩٧.
(٤) Selection from the records of Bombay Government Wahabees , op .cit. P. 439.
(٥) Selection from the records of Bombay Government Wahabees , op .at. P. 439.
(٦) Ibid , p. 439.
(٧) تقدر الغنائم التي عاد بها ابن عفيصان من البريمي وعمان بما قيمته خمسة عشر ألفا من الريالات وثلاثمائة بعير انظر كيلي، المصدر السابق ، ص٩٨.
(٨) كيلي ، المصدر السابق، ص٩٨.

والبحرين، في حين كانت تمارس السلطة باسمهم وتعلن التبعية لهم قوى محلية اخرى في بعض مناطق الخليج كرأس الخيمة وعجمان(١).

وبامكاننا قبل ان نختم هذا الفصل أن نؤكد على النتائج الآتية :

أولا: ان الاحساء كانت تشكل دائما المفتاح الرئيسي بالنسبة لنجد، وكانت تغري الدول التي تقوم هناك بالتوجه اليها لتامين الاتصال الخارجي ، والتجارة ، بالاضافة الى تأمين الموارد الزراعية الموجودة بكثرة ويسر في الاحساء والتي كانت نجد دائما بحاجة إليها.

وثانيا: ان كل الدول التي تعاقبت على فتح الاحساء ابان تلك الفترة كانت تتخذ منها قاعدة توسعية نحو بلدان الخليج ، أو تحاول ذلك .

---

(١) Selections , op , cit , p . 442.

الفصل الثاني
الاحساء ما بين ١٨٣٤ـ ١٨٤٣
من بداية الدور الاول
لحكم الامام فيصل الى بداية
الدور الثاني من حكمه

ويشمل :

- استعادة فيصل لعرش الرياض منطلقا من الاحساء.
- حملة خورشيد باشا على نجد واستسلام فيصل في دلم عام ١٨٣٩.
- الاحتلال المصري الثاني للاحساء عام ١٨٣٩.
- علاقة المصريين في الاحساء ببعض بلدان الخليج (١٨٣٩ـ ١٨٤٠)
- مقاومة بريطانيا لسياسة محمد علي في بلدان الخليج.
- الاحساء في أعقاب الانسحاب المصري (١٨٤٠ـ ١٨٤٣) .

استعادة فيصل لعرش الرياض منطلقا من الاحساء:

في اعقاب احتلال الدرعية في سبتمبر عام ١٨١٨م على يد ابراهيم باشا قائد القوات المصرية ، تقدمت تلك القوات واحتلت اقليم الاحساء ولكن عهدها فيه كان قصيرا ، فاضطرب الى التراجع تحت ضغط الدولة العثمانية، التي كانت ترى في تقدم جيوش محمد علي نحو جنوب العراق خطرا على حكمها في تلك البلاد. وانسحبت القوات المصرية من الاقليم في يوليو عام ١٨١٩م تاركة أمر الاقليم لشيوخ بني خالد الذين لم تنقطع الصلة بينهم وبين القوات المصرية المنسحبة (١). ولكن تطور الاحداث في نجد في اعقاب انسحاب تلك القوات ، كان قد جاء بتركي بن عبد الله آل سعود الى السلطة ، وكان هذا الامام يعترف بسلطة اسمية للمصريين تتمثل في دفعه لجزية سنوية (٢) الا انه واجه تحديا من شيوخ الاحساء آل عريعر الذين جردوا عليه حملة في عام ١٨٣٠م انتهت بانتصاره ، واكتساحه لاقليمهم الذي بدا تركي يتخذ منه قاعدة توسعية لمد سيطرته ونفوذ نحو بلدان الخليج وخاصة البحرين ، وساحل عمان والبريمي(٣) .

وعلى اثر ذلك بعث محافظ مكة الى (محمد علي) يخبره باحتلال (تركي) للاحساء ويطلب اليه الموافقة على تسيير حملة عليه للقضاء على نفوذه في تلك المنطقة. ولكن (محمد علي) لم يوافق على ذلك ، بل طلب منه توجيه النصح لامام الوهابيين بأن يركن للهدوء وإلا ارسل عليه جيشا يكتسحه اكتساح السيل (٤) .

وكانت مصر آنذاك مشغولة بإعداد جيوشها وتدريبها تدريبا حديثا لمواجهة الدولة العثمانية، ولتجعل من تلك الجيوش أداة جديرة بتحقيق أهداف (محمد علي) التوسعية. وفي عام ١٨٣٤م قتل (تركي) على يد ابن اخته (مشاري ين عبد الرحمن آل سعود) ولكن (فيصل بن تركي) استطاع أن يزحف من الاحساء حيث كان هناك على رأس جيش عهد اليه بإخضاع ثورة على سواحل الاحساء، في منطقة القطيف وبالذات في بلدة سيهات الساحلية التي كانت مركزا لتلك الثورة والتي كانت تدعمها قوات العتوب شيوخ البحرين. ولكن (فيصل) ترك الاوضاع على ما كانت عليه وانسحبت الى الهفوف، حيث عقد مؤتمرا لقادته واطلعهم على نبأ مقتل أبيه، فبايعوه اماما وأشاروا عليه بالتقدم نحو الرياض للقضاء على مغتصب عرش ابيه. وكان (لعمر بن عفيصان) والي الاحساء اكبر الاثر في تجهيز الحملة التي استطاع بواسطتها (فيصل) أن يستعيد عرشه(٥).

وكانت الاحداث التي أوصلت فيصل للحكم فيها من المرارة والعنف ما جعله يكون أكثر حرصا وضبطا للامور، فراح يثبت اركان حكمه في نجد ولكنه لم ينس المهمة التي اوكلت اليه ولم ينجزها في الاحساء. فتلك السواحل لا تزال تحت تصرف العماير من بني خالد الذين شقوا عصار الطاعة ووجدوا في (عبد الله بن احمد) شيخ البحرين وابنه مبارك امير قلعة الدمام خير عون لهم في تدعيم ثورتهم، بل الاكثر من ذلك أن الوثائق البريطانية تذهب الى حد جعل (عبد الله بن احمد) محرضا (لمشاري بن عبد الرحمن) قاتل الامام (تركي). وهناك أسباب عدة تحملنا على الاخذ بذلك منها أن عبد الله بن أحمد واعوانه تلقوا من خبر موت تركي بالفرح والسرور وراحوا يعبرون عن فرحهم باطلاق الرصاص في الهواء (٦) ومن الاسباب ايضا وصول عبد الله بن مشاري احد تجار البحرين الى ساحل القطيف ومعه رسائل من حاكم مكة يفوضه بموجبها الالتزام بعائدات الاحساء. ولقد وصل ابناء هذا الرجل يحملون رسائل توصية من حكومة بومباي بتسهيل مهمة (عبد الله ابن مشاري) هذا. وكان من بين الرسائل التي

---

(١) عبد العزيز نوار ، تاريخ العراق الحديث ، ص١٨٩.

(٢) Selections from the Records of Bombay Government , Vol . XXIV
Historical sketch about Wahabees , p, 439.

(٣) Ibid , p. 438.

(٤) وثائق عابدين ، سجل ٤٠، الوثيقة رقم ٤١٢، ٤١٣، بتاريخ ٢٧صفر سنة ١٢٤٦هـ الموافق ١٨ اغسطس ١٨٣٠م.

(٥) ابن بشر ، عنوان المجد في تاريخ نجد ، ج٢، ص٥٠.

(٦) Selections from the Records of Bombay Government
op.cit . p. 443.

يحملها ابن مشاري، واجدة لسلطان مسقط الذي سارع بتقديم العون لذلك الرجل وقدم له قاربا يحمله الى سواحل الاحساء ، واخرى موجهة لفيصل الذي اشتم في الامر مؤامرة كبرى على وجوده في الاحساء فبعث بجيشه الى الاحساء ووجه امره الى عاملة هناك (عمر بن عفيصان) لاخضاع الثائرين وطرد (عبد الله بن مشاري) الذي لم ينتظر وصول القوات الوهابية ،فسارع الى مغادرة المنطقة[١] .

ونحن اذا وقفنا قليلا ونظرنا بترو الى مهمة (عبد الله بن مشاري) لوجدنا أن حاكم مكة من قبل (محمد علي) كان قد زوده برسائل يطلب فيها مساعدته في تنفيذ المهمة الموكلة اليه كجامع للزكاة في الاقليم، وملتزم بعائداته ، وفي هذا الامر نوع من الايحاء لفيصل بان الاحساء ، ما زالت تابعة لحكم (محمد علي باشا) ولما كان (احمد باشا) والي الحجاز يعد عدته للزحف على عسير ، فقد كان يخشى أن يقف (فيصل بن تركي) مع ثوار عسير ضد قواته، ولذلك ايقن ان إرسال ابن (مشاري) سيشغل (فيصل) ولو لفترة من الزمن في الجهة الشمالية الشرقية من بلاده بينما تكون قوات (محمد علي) تعمل في الاقليم الجنوبي من تلك البلاد[٢] كما أنه يعتقد بان بعثة (ابن مشاري) هذا كانت لجس نبض (فيصل) ومدى سيطرته على الاحساء، وكان سلطان مسقط يسعى من وراء مساعدته (ابن مشاري) الى ضمان موافقة (محمد علي) على مساعدته في مشروع ضم البحرين والاحساء في اقليم واحد تابع لسلطان مسقط. ولكن انشغال (محمد علي) بالاعداد لحملته على سوريا جعله يعرض على السيد (سعيد) أن يقوم به هو أي سلطان مسقط مقابل أن يدفع زكاة مقدارها ٣٠٠٠٠٠ دولارا سنويا، ولكن سلطان مسقط رفض ذلك لعمله بعدم امكانية نجاحه في العمل ضد الوهابيين وشيوخ البحرين في آن واحد [٣] ، ونستنتج ايضا أن بريطانيا كانت راضية عن وجود (عبد الله بن مشاري) في منطقة القطيف. وتؤكد لنا ذلك الرسائل التي بعثت بها حكومة بومباي مع أولاده، توصي بتسهيل مهمته، و هذا يثبت ايضا أن كلا من بريطانيا ومصر على حد السواء كانت تسعى لإزالة الوجود الوهابي من الاحساء وبلدان الخليج أو للحد من وصول نفوذ الوهابيين الى تلك البلدان. ولهذا أسرع امام مسقط المتعاون مع بريطانيا بتسهيل مهمة (عبد الله بن مشاري) فقابله بالترحاب ونقله الى ساحل الاحساء على ظهر أحد قواربه.

ولا نستبعد أن يكون هدف سلطان مسقط ايضا اشعال الخلاف من جديد بين الوهابيين وشيخ البحرين ، للنيل من البحرين ، خاصة بعد أن فشلت محاولته التعاون مع المصريين ضد البحرين، اذ كان يدرك أن اشعال نار الخالف بين

الوهابيين والعتوب سيؤدي الى اضعافهما، وسيكون هو المستفيد من ذلك، اذ لازالت تراوده اطماعه القديمة في البحرين [٤].

ادرك فيصل ببصيرته غاية سلطان مسقط فراح يبعث لعامله على الاحساء (عمر ابن عفيصان) يطلب منه أن يعرض على سلطان مسقط أمر التعاون معه في سبيل الاستيلاء على البحرين ، وكان هدف فيصل الاستفادة من قوة سلطان مسقط البحرية في تحقيق اطماعه في البحرين ،ولكن السلطان اعتذر عن ذلك بحجة انه لا يستطيع استخدام سفنه في مهمة كهذه دون علم مسبق من الحكومة البريطانية [٥] .

ومن ثم صمم (فيصل) على انهاء وجود العتوب من على سواحله في منطقة القطيف والدمام فراح يهدد العتوب . وفي غمرة تلك التهديدات بدأت فارس في منتصف عام ١٨٣٦م تضغط على البحرين ،

---

(١) Ibid , p, 443.
(٢) Kelly , J.B. Britin and the persian Gulf, p.289.
(٣) Ibid ,p.289.
(٤) Selection , op, cit, Wahabees , p . 443.
(٥) Ibid , p, 444,

فوجد شيخها نفسه مجبرا على انهاء نزاعه مرحليا مع الوهابيين، فعرض عليهم أن يرفع حصاره لسواحل منطقة القطيف ، ويدفع لهم الجزية السنوية المتعارف عليها سابقا، مقابل حمايتهم لبلاده ووقوفهم معه ضد تديدات فارس. ولقد وافق الامام (فيصل) على ذلك دون تردد لانه كان قد بدأ يحس بتدخل مصر من جديد في شئون الجزيرة العربية(١) .

وفي منتصف العام التالي ١٨٣٧م كان (فيصل) يرقب الاحداث الدائرة في اقليم عسير بقلق بالغ جدا، فلقد نمي إليه أن القوات التي ارسلت من مصر الى الحجاز قد اصطحبت معها (خالد بن سعود) احد ابناء الامام (سعود الكبير) أي انه اخ للامام (عبد الله بن سعود) آخر أئمة الدولة السعودية الاولى الذي كان قد اعدم الآستانة عام ١٨١٨م . وكان خالد هذا قد ترعرع في مصر وفي كنف (محمد علي) الذي رأى فيه خير وسيلة لتنفيذ مخططه التوسيعي في شبه الجزيرة العربية ، اذ كان هدف (محمد علي) تنصيب (خالد بن سعود) حاكما على نجد والاحساء وبقية بلدان الخليج ، وهو بذلك كان يجعل من خالد بن سعود اداة في يد السلطات المصرية لتنفيذ مخططاته(٢).

كانت الشكوك تساور (فيصل) في أمر هذه الحملة أهي موجهة اليه أم لثوار عسير من آل عائض، الذين كانوا قد وقفوا في وجه التوسع المصري في بلادهم. ولما كانت الشكوك تساور السلطات المصرية بأن (فيصل) على صلة بأولئك الثوار وأنه ربما كان يقدم لهم العون، لذا راح (احمد باشا) والي الحجاز يكتب الى (فيصل) طالبا منه دفع خراج البلاد التي يسيطر عليها، ويطلب منه مقابلته للتعاون مع القوات المصرية ضد ثوار عسير . وكان الموقف حرجا، وخشي (فيصل) أن يكون (احمد باشا) قد نصب له فخا لالقاء القبض عليه، فأرسل اخاه (جلوى بن تركي) بهدية اليه ، وحمله رسالة يعتذر فيها هو شخصيا عن الحضور بسبب مرضه (٣). ولكن ذلك لم ينطلق على والي الحجاز ، الذي كانت الاوامر قد صدرت اليه من القاهرة بتجهيز حملة الى نجد وخلع (فيصل) وإقامة (خالد بن سعود) بدلا منه. وفعلا بدأت الحملة للاستعداد بالمسير بقيادة (اسماعيل أغا) والي المدينة المنورة وفشلت محاولات (فيصل) لاقناع السلطات المصرية بالتخلي عن خطتها مقابل ان يخضع هو نفسه لمطالبها، ولذا راحت قوات مصر تتقدم صوب نجد(٤) عندئذ بات على (فيصل) أن يواجه الخطر الذي راح يداهمه، فأعلن النفير العام وجمع جيشا من نجد والاحساء وجميع اقاليم بلاده ، وراح يزحف لصد العدوان، والتقت جموعه بالجيش الزاحف من الحجاز في مكان يسمى (رياض الخبرا) قرب مدينة عنيزة ، وهناك وضع (فيصل) مخططا للايقاع بخصمه ، فأمر بعض وحدات من جنده بالتراجع أمام العدو على أن تعود وتطبق مع بقية الوحدات الاخرى من جيشه على الاعداء في معركة حاسمة. ولكن معظم قوات (فيصل) كانت من الجنود المتطوعة ، غير المتمرسة بالنظم العسكرية وأساليب القتال الحديثة، فظنوا عند بدء المعركة أن تراجع مقدمة جيشهم انما يعني الهزيمة، فدبت الفوضى في صفوفهم، ولا قسم كبير منهم بالفرار ، ولذا رأى (فيصل) أن يتراجع للرياض، وهناك يعيد تنظيم صفوف جنده، فلما وصلها اخبره عيونه أن اهل

---

(١) Selections from the Records of Bombay Government , Vol . XXIV
Historical sketch about The Uttobee Tribe , p. 385.
انظر ايضا ج. ج. لوريمر ، دليل الخليج ، ج٣ ، ص١٤٣٩.

(٢) I.O.R. Cerrespondence of the persian Gulf , I.O.R. C 248 C Part VI Chap. XLIV, P, 201.

(٣) Selections, Historical sketch about Wahabees , op , Cit , p , 443.
انظر ايضا ابن بشر ، المصدر السابق ، ج١، ص١٥٢.

(٤) J. B. Kelly , op , Cit , p , 290.

الرياض يتآمرون عليه، ويبيتون له الخيانة لذا حمل عائلته وتراجع مع بعض قادته الى الاحساء آخر اقليم في ملكه، وقرر أن يخوض معركته النهائية من تلك القاعدة الصلبة بمساعدة عاملة القوي (عمر بن عفيصان) الذي سانده قبل ذلك بثلاث سنوات حين زحف من الاحساء ليستعيد ملك ابيه الضائع . ولقد استقبله (عمر بن عفيصان) استقبالا حارا شارك فيه أعيان الاقليم وانزله هو وعائلته قلعة الهفوف المسماة (بالكوت) ومن هناك راح (فيصل) يرقب الاحداث الدائرة في نجد والتي تطورت بسرعة لصالحه، اذ بعد استيلاء (اسماعيل باشا) و (خالد بن سعود) على الرياض أعلن (خالد) نفسه اماما بدلا من (فيصل) وراح يطلب من بلدان نجد أن تفد اليه مبايعة ومؤيدة . وفعلا بايعته بعض تلك البلدان، ولكن بعضها الآخر رفض ذلك بحجة أنه يعمل لحساب السلطات المصرية. ومن الذين عارضوه اهل الحوطة والحريق، فكتبوا إليه (... ان كنت تريد البيعة لنفسك ، بايعناك، على شرط أن ترحل العساكر المصرية من جميع بلدان نجد، وان كنت تريدها لغيرك فليس عندنا الا السيف..)[(١)] ولما قرأ اسماعيل باشا ذلك غضب وصمم على حربهم فجرد عليهم حملة يرافقه (خالد بن سعود) ولكنهما هزما وفرا الى الرياض حيث تحصلنا وراحا يطلبان النجدة من الحجاز ومصر . وأما (فيصل) فلقد كانت تلك فرصته، فزحف من الاحساء في عدد من أتباعه، واتجه الى الخرج حيث اجتمع بأهل المنطقة التي قاومت أعدائه، وكون منهم جيشا وزحف بهم الى الرياض وفرض عليها حصارا طال لمدة تربو على الشهرين ولكنه اضطر الى فك ذلك الحصار تحت ضغط القبائل العربية الموالية لأهل الرياض وللقوات المصرية مثل قبائل (سبيع وقحطان) فتراجع فيصل الى بلدة منفوحة التي أراد أن يتخذها مقرا لعملياته في المستقبل ولكن تطور الاحداث اجبره على أن يتراجع الى منطقة الخرج ويتخذ من (دلم) عاصمة ذلك الاقليم مقرا له. فلقد جاءته الانباء تحمل له اخبار تحركات قوات مصرية جديدة من الحجاز بقيادة (خورشيد باشا) قاصدة نجد في اوائل عام ١٨٣٨م [(٢)] .

حملة خورشيد باشا على نجد.
واستسلام فيصل باشا في دلم عام ١٨٣٩:

لقد تحرج موقف (فثصل) كثيرا ولكنه اراد استرضاء قائد الحملة الجديد (خورشيد باشا) فبعث اليه باخيه (جلوى) يحمل اليه رسالة في ١٩ محرم ١٢٥٤هـ الموافق ١٤ ابريل ١٨٣٨م ردا على رسالة من (خورشيد كان قد بعث بها ، يستفسر فيها عن علاقته بكل من (علي اشا) والي بغداد، و (عائض بن مرعي) شيخ عسير، وطلب خورشيد من (فيصل) أن يبعث اليه بالرسائل الواردة اليه منهما، وجاء في رد (فيصل) الى القائد المصري، ما يؤكد اتصاله بوالي العراق ، ولكنه عزا ذلك للخدمات التي قدمها ذلك الوالي له بان كف عنه عشائر (بنـ خالد) والظفير) وغيرهم ممن كانوا يعتدون على حدود بلاده الشمالية ولكنه انكر اتصاله بثوار عسير. وراح فيصل يستلطف (خورشيد) : (. . فنرجو من الله ثم منك ان لا يقدم الاخ العزيز ، ابنكم (جلوى) الينا إلا بالامر الكامل الذي يشملنا به فضلكم وامركم ممتثل.. والسلام . .)[(٣)].

وعلى الرغم مما اظهره (فيصل) من امتثال للاوامر في هذه الرسالة، فلقد كان يأمل حتى هذه اللحظة في مساعدة والي العراق (علي رضا) الذي كان قد ارسل اليه قبل ذلك في ٢٠ نوفمبر ١٨٣٧م يحرضه على مقومة خالد بن سعود والقوات المرافقة له ويمنيه بالمساعدة والنصرة. وجاء في رسالته ما يشعر فيصل بأنه ينتمي الى الدولة العثمانية كأحد اتباعها، وأن السلطات العثمانية في العراق لا ترضى عن التصرفات التي تقوم بها قوات محمد علي وخالد بن سعود ضده. ويشير (علي رضا) في رسالته تلك الى انه على اتم الاستعداد لارسال المعونة الى (فيصل) والعمل لما فيه مصلحته[(٤)] .

---

(١) محمد آل عبد القادر الانصاري ، تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء في القديم والجديد ، ج١، ص١٥٢.
(٢) ابن بشر ، المصدر السابق ، ج٢، ص١١.
(٣) وثائق عابدين ، محفظة ٢٦٤، صورة الوثيقة العربية بتاريخ ١٩ محرم ١٢٥٤هـ / ١٤ ابريل ١٨٣٨.
(٤) وثائق عابدين ، محفظة ٢٦٤، صورة الوثيقة العربية بتاريخ ٢٢ شعبان ١٢٥٣ هـ / ٢٠ نوفمبر ١٨٣٧.

ولكن أمل (فيصل) في (علي رضا) قد خاب، فلقد تقدمت القوات المصرية ولم يتلق من العراق أي مساعدة ، وأخذ يدرك أن الامور تتطور بسرعة وأن عليه أن يعتمد على نفسه وعلى القوى المحلية المناصرة له ، فبعث لقائه (عمر بن عفيصان) والي الاحساء يطلب منه أن يعد جيشه هنالك ويكون على اتم الاستعداد لنصرته في ساعة الخطر ، ولكنه كان ينتظر ايضا عودة اخيه (جلوى) الذي كان قد اوفده الى خورشيد، وان كان (فيصل) قد بدأ يشك في نجاح مهمة اخيه . وفي هذه اللحظات المصيرية الحاسمة، وعلى الرغم من عدم وصول أي مساعدة له من العراق، كان فيصل لا يزال يعول على مساعدة السلطات العثمانية في العراق له، فلم ينفض يده ولم يتلاش امله نهائيا في ذلك ، فراح يكتب الى (تركجة بليمز) (قبطان البصرة) يطلب منه المساعدة ويحذره من مغبة التواني والتقاعس عن نجدته لان القوات المصرية ستزحف الى الاحساء ومنها الى البصرة [١] ولكن كل ما وصله من العراق من امثال (سليمان بن غنام) شيخ عشائر العقيل، ومن (عبد الله الفداغ) احد شيوخ العرب هناك، وكل من كان يعده بالمساعدة ويطلب اليه الثبات في المعركة ، ولم يكن (علي رضا) يعلم بأن (فيصل) لا يستطيع المقاومة لمدة طويلة، ولذا جاءت معارضة السلطات العثمانية في العراق للزحف المصري صوب نجد والاحساء وبلدان الخليج معارضة سياسية غير مباشرة ، ولم تتعداها الى التدخل العسكري السافر ، على الرغم من أن العلاقات الغثمانية المصرية كانت قد ازدادت سواء ابتداء من سنة ١٨٣٧، اذ بلغت الحرب الدبلوماسية بين الطرفين ذروتها ، وأضحت محاولات التسوية موكولة لميدان القتال، ولكن القوات العثمانية في العراق كانت مشغولة في تعزيز الشمال ضد قوات (محمد علي) الزاحفة تحت إمرة ابنه (ابراهيم باشا) من سوريا[٢].

وهكذا ترك فيصل ليواجه مصيره في (دلم) وحيدا وكانت احواله قد ازدادت سواء حينما بدأ (خورشيد باشا) يراسل اعداء الوهابيين التقليديين من شيوخ العشائر العربية، خاصة (آل عريعر) شيوخ الاحساء القدامى، لأن (خورشيد) كان يدرك نقمة هؤلاء على آل سعود من ناحية، واهمية الاحساء (لفيصل) من ناحية اخرـ اذ كانت الاحساء هي الورقة الوحيدة الرابحة والقاعدة الوحيدة المتبقية (لفيصل) والتي منها يستطيع أن يتزود بالامدادات المادية والعسكرية، فراح خورشيد يراسل (محمد بن عريعر) شيخ الاحساء الاسبق الموجودة في العراق والذي سارع الى التوجه الى الاحساء وبدا عمليات عسكرية ضد (عمر بن عفيصان) قائد فيصل الوحيد الذي كان يغطي ظهر قوات الوهابيين. ولقد استطاع (ابن عريعر) السيطرة على الجزء الساحلي من الاحساء في منطقة القطيف واضطر قائد الوهابيين في هذه المنطقة وهو (فهد ابن عفيصان) للفرار الى البحرين وعلى الرغم من أن (عمر بن عفيصان) والي الاحساء حاول تقديم العون لقريبه وقائده في منطقة القطيف، الا انه لم يتمكن من دحر عدوه فارتد عائدا الى مقره في الهفوف وهو يدرك بأن قوات الوهابيين أضحت تعمل على جبهتين وأصبحت محاصرة بين المطرقة والسندان، أي بين (خورشيد) و (محمد بن عريعر) وفي هذه الظروف راح خورشيد بدوره للقاهرة يشرح فيها تطور الوضع في جبهة الاحساء [٣].

وزحف (خورشيد) الى (دلم) حيث حاصر قوات (فيصل) واشتد الحصار، وكانت هناك بارقة امل جديد للواهابيين اذ اسرع (عمر بن عفيصان) بجيش من الاحساء وحاول ان بعمل في الصفوف الخلفية للقوات المصرية الا انه فشل في ذلك، اذ وقع في كمين نصبته له القوات المصرية. وكان انتصار (خورشيد) على (عمر بن عفيصان) هو نقطة التحول في المعركة، اذ ايقن إمام الوهابيين أن استمراره في القتال، اصبح بلا جدوى، وانه بات يحارب معركة خاسرة، فعرض على القائد المصري الاستسلام، على شرط أن يحافظ ذلك القائد على أرواح سكان (دلم) تلك المدينة التي ساعدت إمام الوهابيين وقاست

---

(١) نوار ، تاريخ العراق الحديث ، ص٢١٣ـ ٢١٤.
(٢) نفس المصدر ، ص٢١٤.
(٣) وثائق عابدين ، محفظة ٢٦٤، ترجمة الوثيقة التركية ٦٦حمراء و ٥٠ اصلية بتاريخ ٢٣ رجب ١٢٥٤هـ / من خورشيد باشا الى صاحب الدولة .

معه اهوال محنته، ولما كان هدف خورشيد الأول هو عزل (فيصل) فلقد وافق على ذلك، وأرسل (فيصل) أسيرا الى القاهرة في ديسمبر عام ١٨٣٨م [١].

الاحتلال المصري الثاني للاحساء عام ١٨٣٩:

وبينما كان خورشيد يحاصر (دلم) ادرك قيمة الاحساء بالنسبة لمد جيشه بالحبوب من العراق وفارس بالاضافة الى اهميتها الاستراتيجية، اذ انها ستفتح أمامه ابواب بلدان الخليج، فراح يطلب من السطات المصرية في القاهرة السماح له بالتقدم الى تلك البلاد قبل فوات موسم الشتاء لان الطريق طويل وخال من المياه ويصعب على جنده قطعه في فصل الصيف، ولما كان يخشى عدم الموافقة، لذا أرسل طلبه هذا في اعقاب هزيمة (ابن عفيصان) واستسلام (فيصل) . وقد جاء في رسالته الى الباشمعاون الخديوي :

(. . . ولما كان ادخال هذه الجهات في حوزة الحكومة من شأنه رواج المصلحة فقد عقدنا العزم على أن نقوم بإعداد بعض الجنود بعد عودة المندوب وقبل فوات موسم الشتاء ، لأن الطريق خلو من الماء، وقد لاحظنا أن مرفأ القطيف في مجاورة هذه الجهات ووجود سفينتين مسلحتين (قرصان) هناك مفيد للمصلحة من جهة ومفيد في جلب الذخيرة من جهتي البصرة والكويت، فإذا كان هذا الرأي يوافق عليه الجناب العالي، نرجو استصدار الامر الكريم الى المختصين لإرسال سفينتين صغيرتين من سفن القرصان الموجودة في جدة . . .)[٢] .

وان نظرة فاحصة لما جاء في هذه الوثيقة تؤكد لنا أن خورشيد باشا كان قد عقد العزم على الاستيلاء على الاحساء وانه كان يرى في ضمها لحكومة مصر نصرا كبيرا، وأن أمر التقدم اليها كان قد صمم عليه وبعث مندوبا من قبله ليعرض على سكانها التسليم، اما اذا جاء ردهم بالرفض فانه كان قد عقد العزم على احتلالها بالقوة . وعلى الرغم من تصميمه ذاك راح يستشير حكومة القاهرة ، وجاءه ردها بانها لا تشجع غزو الاحساء في هذه الظروف و قواتها متفرقة، وهي تفضل منح أهل الاحساء الامان والتقدم اليهم سلما، ووافق (عباس باشا) نائب (محمد علي) على ارسال سفينتين الى ميناء القطيف[٣]، ولكنه لم يكن يعلم ما سيسببه ذلك من معارضة السلطات البريطانية في الخليج، التي بدأت تنتظر الى حملة (خورشيد) بعين الشك والحذر منذ اللحضات الاولى لحصار (دلم) اذ راح اللورد (بالمرستون) يبعث الى قنصل بريطانيا في القاهرة في ٢٩ نوفمبر عام ١٨٣٨م يحثه على الاستفسار من (محمد علي) عن وجهة الحملة المصرية بعد (دلم) وعما اذا كانت تنوي التدخل في شؤون بلدان الخليج وخاصة البحرين. ولقد جاء رد (محمد علي) آنذاك نؤكد له عدم تفكيره في السيطرة على بلدان الخليج[٤].

---

(١) Selection from the Records of Bombay Government , Wahabees Op, cit, p . 445.
انظر ايضا ابن بشر ، المصدر السابق ، ج٢، ص٨٣- ٨٤.

(٢) وثائق عابدين ، محفظة ٢٦٤، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٥٨ أصلية و١١ حمراء بتاريخ ٤ شوال ١٢٥٤/ ٢٠ ديسمبر ١٨٣٨.

(٣) وثائق عابدين ، محفظة ٢٦٤ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ١١ افادة من عباس باشا نمرة (١٧) بتاريخ ١٢ ذي القعدة ١٢٥٤/ ٢٦ يناير ١٨٣٩.

(٤) I.O.R. C248 op, Cit , p. 445.

لم يطل أمر مبعوثون (خورشيد) الى اهل الاحساء اذ عاد ومعه وفد من رؤسائها جاءوا ليقدموا فروض الطاعة والولاء، ولم يتغيب منهم الا والي الاحساء الاسبق (عمر بن عفيصان) الذي فر الى البحرين خوفا من خورشيد وراح يطلب من شيخها منحه قلعة الدمام ليتخذها مقرا له يستطيع منها مقاومة الاحتلال المصري، ولكن (عبد الله بن أحمد) كان يخشى سوء العاقبة، فرفض ذلك مدعيا خضوعه لحكومة فارس وانه لا يستطيع أن يبت في الامر بدون اذنها، وهنا طلب (عمر بن عفيصان) منحه حق اللجوء السياسي في البحرين، فوافق الشيخ (عبد الله على ذلك)(١) .

وبخروج ابن عفيصان من الاحساء، دان الاقليم للقوات المصرية، فأرسل (خورشيد) اليه واليا جديدا من قبله هو (محمد بن احمد السديري) وسير معه بعض الجند تحت قيادة (ابو حزام المغربي) ثم عزز تلك القوات بعدد آخر من الفرسان برئاسة رجل يدعى (الفاخري) ولم يمض وقت طويل حتى ارسل نائبا عنه لحكم الاقليم ولسن الضرائب، وترتيب طرق الجباية التي لم تكن معروفة في تلك البلاد، وكان ذلك النائب (الحاكم) هو (محمد افندي رفعت) الذي لعب دورا هاما في تاريخ الاحساء والمنطقة المجاورة ابان هذه الفترة (٢) . ونحن نلاحظ أن عزل السديري وتعيين محمد افندي كان يهدف الى تقوية الحكم المصري المباشر في الاحساء وبلدان الخليج.

عمل (محمد افندي) في البداية على اقرار الامن وضمان خضوع الاقليم لسلطته، لذلك راح يهاجم بعض القلاع التي تحصن فيها بعض الزعماء المحليين من (العماير) كقلعة (عنك) التي استطاع اخضاعها بالقوة، كما أنه رأى في سيطرة مصر على سواحل الاحساء وخاصة أن (مبارك) هذا كان يسيطر من قلعته تلك على سواحل القطيف ، وتدين له بالولاء جماعات من بني خالد (كالعماير) وبعض (بني هاجر) الذين عارضوا تقدم القوات المصرية ، وكان وجودهم في تلك المنطقة يشكل خطرا على استتباب الامن فيها(٣) . لذا رأى (محمد أفندي) وجوب الاستيلاء على هذه المنطقة ولو بالقوة ، ولكنه كان يعلم أن امر الاستيلاء عليها لن يسكت عنه شيخ البحرين لانها تشكل شريطا حيويا ومعبرا للتجارة بين بلاده وداخل الجزيرة العربية ، ولذا راح (محمد أفندي) يفكر في عقد معاهدة صلح بينه وبين شيخ البحرين الذي كان في مأزق كبير بعد تقدم القوات المصرية صوب بلاده ، والذي كانت كل من فارس وبريطانيا تحاول ضم بلاده تحت سيطرتها. وبدأ الحاكم المصري لمنطقة الاحساء بالخطوة الاولى، فزار البحرين وعرض وجهة نظره على شيخ البحرين ، الا وهي ، أن تدخل البحرين في دائرة النفوذ المصري بموجب معاهدة صلح، تقدم البحرين بموجبها الزكاة التي كانت تقدمها للوهابيين سابقا، واستغل وجوده هناك ليقدم لشيخ البحرين طلبا بتسليم (عمر ابن عفيصان) والي الاحساء الاسبق وما حمله معه من الاموال(٤) . ولقد حاول عبد الله ابن احمد استماله واسترضاء محمد أفندي بالمال ولكنه رفض ذلك وترك البحرين عندما رفض (عبد الله بن احمد) وجهة نظر المبعوث المصري، وراح عبد الله بن احمد يكتب الى حاكم (فارس) عارضا عليه وضع بلاده تحت الحماية الفارسية واستعداده لدفع الجزية وكان عبد الله بن احمد قد لجأ الى هذا العمل لانه فشل في الحصول على تأكيدات من (هنل) المقيم السياسي

---

(١) Selections, Historical sketch about Wahabees , op , Cit , p , 445.

(٢) ابن بشر ، المصدر السابق ، ج٢، ص٨٥.

انظر ايضا ، محمد سليم ، ساحل الذهب الاسود ، ص١٨٥.

(٣) وثائق عابدين ، محفظة ٢٦٧، المرفق العربي للوثيقة التركية رقم ١٦٤ حمراء ، المؤرخة في ٢٥ ذي القعدة ١٢٥٤ هـ .

(٤) Kelly , Op . Cit. p. 304.

البريطاني في الخليج قبل شهرين ـ وعندما كانت القوات المصرية تتجه صوب الاحساء[١] ـ بتوفير الحماية له ، وكان جواب هنل أنه بعث الى حكومة بومباي وأن على عبد الله بن احمد أن يتخذ القرار الذي يجده مناسبا مما جعل شيخ البحرين يشعر بأن الحكومة البريطانية قد تخلت عنه[٢].

علاقة المصريين في الاحساء ببعض بلدان الخليج (١٨٣٩ـ ١٨٤٠):

اصبح أمر الاستيلاء على البحرين يشكل ضرورة بالنسبة (لخورشيد) ولقواته في الاحساء فراح يكتب لحكومة القاهرة موضحا مزايا الاستيلاء على البحرين، ووضعها تحت النفوذ المصري، ويشير في رسالته تلك الى أن البحرين والقطيف من توابع الاحساء وانها جميعا كانت تابعة في الماضي لآل سعود[٣] . وفي نفس الآونة وجد عبد الله بن احمد أن عليه مراجعة رأيه لان الفرس لن يستطيعوا حمايته اذا ما فكر المصريون باقتحام جزيرة البحرين من شاطئ الاحساء القريب والمقابل لها باستخدامهم لقوارب صغيرة ، ولذا وجد أن من مصلحته عقد معاهدة مع المصريين مقابل مبلغ قليل من المال[٤]. ولذا راح شيخ البحرين يستفسر من خورشيد باشا في رسالة بعث بها اليه عن قيمة الزكاة التي ستفرض على بلاده واشترط لقبول حماية المصريين أن يقفوا ايضا ضد اطماع سلطان مسقط. وجاء رد خورشيد مؤكدا له أن قيمة الزكاة ليست بذات بال وأن المهم هو الاتفاق والارتباط بالسلطات المصرية خوفا من البحرين اذا ما وافقت الاخيرة على الارتباط بالعجلة المصرية[٥]. وخوفا من ضياع تلك الفرصة وقبل أن يغير (عبد الله بن احمد) رأيه فيرتبط بالانجليز أو بالفرس ، راح (محمد أفندي) يوجه الى ابنه (مبارك) أمير قلعة الدمام رسالة يطلب منه فيها الاسراع في اخبار والده بضرورة تعيين موعد له لكي يلتقي بوالده للتشاور في أمر علاقات السلطات المصرية الموجودة في الاحساء بالبحرين، و جاء في لهجة الرسالة من القسوة والعزم ما جعل (عبد الله بن احمد) يسارع بتجديد موعد لحاكم الاحساء لعقد الاجتماع المطلوب ، وفي نفس الوقت كان محمد أفندي قد بعث برسالة الى خورشيد يخبره: بأنه وجه رسالته تلك الى مبارك بن عبد الله بن احمد، أمير قلعة الدمام والتي اخبره فيها بأنه سيتوجه الى والده للبت في أمر علاقة البحرين بالسلطات المصرية، ولقد استجاب عبد الله بن احمد بسرعة، لذلك الطلب الذي كان يحمل صيغة التهديد، وعين موعدا لمقابلة محمد أفندي في (خوير حسان) أحد بلدان ساحل قطر [٦] .

---

(١) Ibid , p. 303.

(٢) I.O.R. C248 C . Op . Cit . p.202.

(٣) وثائق عابدين محفظة ٢٦٧، وثيقة (٧) اصلية ، ٥٠ حمراء بتاريخ ٢١ محرم ١٢٥٥هـ .

(٤) Kelly, Op. Cit , p. 305.

(٥) وثائق عابدين، محفظة ٢٦٧، صورة المرفق العربي ١٣٧، صورة الجواب المرسل في ٢٠ ذي الحجة سنة ١٢٥٤هـ الى عبد الله بن احمد آل خليفة .

(٦) وثائق عابدين ، محفظة ٢٦٧ ، صورة المرفق العربي للوثيقة ١٣٧، صورة الجرنال المحضر من طرف محمد أدندي ـ البند الاول .

وبناء على ذلك فقد توجه حاكم الاحساء يوم الاثنين (٢مايو ١٨٣٩)[(١)] الى قطر عن طريق العقبر فوصل الى خوير حسان عصر يوم الجمعة، وفي اليوم التالي[(٢)] دارت المفاوضات بين (عبد الله بن احمد) و (محمد رفعت)، وكان عبد الله بن احمد يستفسر عن كل الامور والاوضاع السياسية التي سوف تترتب على عقد مثل هذه المعاهدة ، وراح شيخ البحرين يبين لحاكم الاحساء أن دولة فارس اتصلت به وطلبت منه الانضمام اليها خوفا من تقدم القوات المصرية ، ولقد عرض عليه ثلاث رسائل تؤيد كلامه، جاء في احداهما وهي عبارة عن فرمان من (محمد زادة) وكيل (محمد شاه) حاكم ايالات خرسان، بأن جزيرة البحرين تابعة لفارس، ولما تأكدت السلطات الفارسية بأن (خورشيد باشا) قد احتل الاحساء، فقد ارسلت الى عبد الله ابن احمد تطلب منه تعيين نائبا عنه ليتفاوض مع حاكم (ابو شهر) الذي وكلته السلطات الفارسية للبت في علاقة البحرين مع فارس ، وخولته صلاحية عقد معاهدة مع شيخ البحرين[(٣)] وهنا نلاحظ بوضوح خوف الفرس من احتلال المصريين لمنطقة الاحساء ويجب أن لا يغيب عن أذهاننا أن محمد أفندي ادرك من قراءة تلك الرسالة أن عبد الله بن احمد كان قد اتصل بالفرس عارضا عليهم تبعيته ، كما نمي اليه سابقا، وشك بانه ربما يكون قد اتصل بالانجليز فراح يستفسر منه عن ذلك الامر، وعندما تاكد من ذلك راح يهدد عبد الله بن احمد موضحا له أن (خورشيد باشا) لن يتركه يتصرف على هواه اخبره بأن وضع البحرين كالاحساء ينطبق عليها ما ينطبق على جارتها وأنه طالما استولى على نجد وتوابعها فيجب على البحرين أن تطيع اوامره ، وأكد (محمد أفندي) (لعبد الله بن احمد) قوة (خورشيد) وعدم عجزه عن اخضاع البحرين ، ونصحه باتخاذ الطريق السهل وربط نفسه وبلاده بعجلة السياسة المصرية وقد اتضح ذلك في التقرير الذي رفعه الى خورشيد عقب ذلك اللقاء ، اذ جاء فيه : (. . . ان جزيرة البحرين تابعة لحكومة نجد من السابق، حينئذ افندينا قد استولى على نجد ، وما يتبعها من ثغور مثل القطيف والحسا، وانتم والحسا حال واحد ، فلا يمكن حينئذ ترك البحرين الا بعد العجز عنها)[(٤)] عندها يبدو أن عبد الله بن احمد وافق على عقد المعاهدة ولكن محمد أفندي كان يخشى ان يرجع عبد الله بن احمد عن رأيه، فراح يسأل بصراحة عن أي الجهات يفضل ربط بلاده بها: بريطانيا، فارس ، ام مصر؟ وجاء جواب عبد الله بن احمد أنه كان يخشى الارتباط بالمصريين لما سمعه عن سوء معاملتهم لرعاياهم، ولكنه الآن وقد ثبت له عكس ذلك، فأنه يفضل الارتباط معهم على الارتباط مع الآخرين لاعتبارات دينية ومذهبية ، فقال : (. . . وبسبب معاملتكم معنا بالانصاف ، رأينا أن تبعيتنا لكم مأمونة العاقبة ، ولا سيما أن العجم على مذهب الروافض، والانجليز على غير الملة الاسلامية فحينئذ يجب علينا اتباع سعادة افندينا خورشيد باشا، غير اني اريد منه الرفق معنا)[(٥)] ولقد طلب شيخ البحرين من المبعوث امانا مكتوبا من قبل (خورشيد باشا) وطلب منه يثبت له انه مفوض من قبل (خورشيد) بعقد المعاهدة واستلام الزكاة ، وكان خورشيد قد احتاط لهذا الامر وزود محمد أفندي بهذه الاوراق وبكل ما يعضد مهمته اذا طلب منه ذلك[(٦)] . وقد جاء في الأمان الذي سلمه اليه ما يلي : (. . . اننا اعطيناك أمانا من طرفنا، أمان الله ، وأماننا، وأمان أفندينا محمد علي باشا على اموالك وحالك ورعيتك . . .)[(٧)] واما عن كونه محمد افندي مفوضا من قبل خورشيد فقد جاء في نفس الوثيقة السابقة بانه وكيل مفوض من قبل خورشيد لعقد الاتفاقية مع شيخ ، البحرين، وأن خورشيد موافق على كل النتائج التي يتوصل اليها محمد افندي في مفاوضته معه، وأضاف (وعلى هذا عهد الله وميثاقه والله على مانقول وكيل . . .)[(٨)] .

---

(١) يوم الاثنين الموافق ١٨ صفر عام ١٢٥٥ هـ ـ ٢مايو ١٨٣٩.

(٢) يوم السبت الموافق ٢٤ صفر ١٢٥٥ هـ الموافق ٧ مايو ١٨٣٩.

(٣) المصدر السابق البند الثاني من المرفق العربي للوثيقة ١٣٧.

(٤) نفس المصدر ، البند الثالث من المرفق العربي للوثيقة ١٣٧.

(٥) نفس المصدر ، البند الرابع ، من صورة المرفق العربي للوثيقة ١٣٧.

(٦) وثائق عابدين ، محفظة ٢٦٧، البند الخامس من الوثيقة ١٣٧.

(٧) المصدر السابق ، المرفق العربي للوثيقة ١٣٧، صورة الامان لعبد الله بن احمد .

(٨)المصدر السابق ، صورة المرفق العربي للوثيقة ١٣٧، صورة الامان لعبد الله بن احمد .

بعد ذلك جرى عقد المعاهدة بين الطرفين وقد جاء مضمون تلك المعاهدة في رسالة بعث بها عبد الله بن احمد الى خورشيد عقب الانتهاء من توقيع المعاهدة جاء فيها : (. . . فقد صار الصلح بيننا وبينكم على يد محمد أفندي. . . على أن نحن نعادي من عاداكم ونوالي من والاكم ، وانتم كذالك ، ونؤدي لجنابكم الزكاة)[١].

واذا ما تفحصنا رسالة عبد الله بن احمد هذه ، ادركنا أن صيغة المعاهدة كانت تنص على دخول البحرين في حلف مع القوات المصرية التي باتت ترابط على مقربة منها في الاحساء. وفي الرسالة ايضا نص صريح على تعهد (عبد الله بن احمد) بدفع الزكاة ، وفيها اشارة الى تعهده بالالتزام بخط السياسة المصرية التي يتبعها (خورشيد) في المنطقة، وجاء في الرسالة نص صريح على أن المعاهدة تمت وتبودلت بين الطرفين . ولقد كان (محمد أفندي) حريصا على تنظيم علاقة البحرين بالاحساء وبالسلطات المصرية هناك . وحرصا منه ايضا على نجاح تلك المعاهدة ، والاخذ بها مستقبلا، راح يتبعها ببروتوكول ينظم علاقات الطرفين المتعاهدين ـ ولقد جاء هذا البروتوكول على هيئة شروط[٢] ، استطيع أن اضعها في القالب الآتي :

أولا : على (عبد الله بن احمد) ضمان حسن سلوك قبائل (بني هاجر) ومن تبقى من (العماير) في الاحساء وفي منطقة القطيف بالذات ، الذين كانوا يدينون بالولاء لابنه (مبارك) أمير قلعة الدمام، وأما اذا بدر منهم أي اعتداء، فعليه طردهم من المنطقة.

وفي اعتقادنا أن (محمد افندي) كان يعمل بهذا على انهاء القوى المحلية المعارضة للوجود المصري في الاحساء، والتي ربما تنشط في المستقبل ضده ، لهذا راح يكبل شيخ البحرين ، وابنه، الذين كانا يدعمان وجود (العماير) في تلك الجهات ، بشروط تقتضي، بعدم السماح لهم بالعودة الى المناطق التي كانوا يمارسون فيها نفوذهم، وبتحديد نشاط من تبقى منهم في المنطقة.

ثانيا: على شيخ البحرين ان ينبه على ولده مبارك، بأنه لا يسمح اطلاقا لأي فرد من قبيلة العماير، الذين كانت القوى المصرية قد هدمت قلعتهم في (عنك) (على ساحل الاحساء) وطردتهم الى عمان، بالعودة الى مناطق سكنهم الأولى دون الرجوع أولا للقائد المصري، واخذ موافقته على ذلك.

ثالثا: على (عبد الله بن احمد) أن لا يتدخل في أخذ العوائد الخاصة بصيادي اللؤلؤ من أهل القطيف ، وعلى المصريين عدم التدخل في شؤون صيادي البحرين. وفي اعتقادنا أن حاكم الاحساء هنا كان يضع حدا لسيطرة عبد الله بن احمد عل سواحل الاحساء، ويضع حدا آخر لممارسة نفوذه على سكان تلك السواحل ، التي نراه يعتبرها تابعة لادارته منفصلة عن شيخ البحرين الذي كان يمارس نفوذ على تلك المنطقة منذ عام ١٨٣٤م في اعقاب ثورة العماير في سيهات.

رابعا : اشترط شيخ البحرين على حاكم الاحساء ، السماح له بإلحاق أربع قرى على ساحل قطر بإدارته، وكان سكان هذه القرى يعملون بالصيد، على ان يتخلى للمصريين مقابل ذلك عن زكاة الماشية التي يملكها جميع افراد البدو النازلين على سواحل قطر. وهنا نلاحظ أن عبد الله بن احمد يحاول تعويض عائداته التي فقدها من صيادي اللؤلؤ في القطيف.

---

(١) وثائق عابدين ، محفظة ٢٦٧، صورة المرفق العربي للوثيقة ١٣٧ حمراء ، رسالة من عبد الله بن احمد الى خورشيد باشا بتاريخ ٢٣ صفر ١٢٥٥ هـ .

(٢) وثائق عابدين ، محفظة ٢٦٧، صورة المرفق العربي للوثيقة ١٣٧، صورة الجنرال المحضر من طرف محمد أفندي ـ شروط المعاهدة ـ .

خامسا: اشترط حاكم الاحساء على عبد الله بن احمد ان يرسل احد أبنائه، أو اعوانه الى خورشيد باشا في مقره في نجد للتصديق على المعاهدة السالفة الذكر .

سادسا: طلب (محمد افندي) حاكم الاحساء من شيخ البحرين السماح لوكيل من قبل (خورشيد باشا) بالاقامة في البحرين ، وذلك لتسهيل قضاء حاجيات (خورشيد) فقط. ولقد وافق (عبد الله بن احمد) مبدئيا على ذلك ولكنه أرجأ وصول ذلك الوكيل حتى يمهد لذلك بين أبناء شعبه ، لأنه كان يخشى ثورة السكان، ويكون ذلك مدعاة لتدخل القوى الاجنبية ايضا ووعد بأنه سيتدبر بنفسه امر تعيين ذلك الوكيل.

وفي اعتقادنا أن عبد الله بن احمد كان على درجة عالية من الحذر وكان يعمل كل ما في وسعه لاستتباب الأمن في بلاده، وحاول أن لا يترك أي ثغرة لتدخل القوى المناهضة لتقدم المصريين نحو البحرين. وكان هدفه من وراء ذلك ان يحول دون وقوع بلاده في معترك الصراع بين تلك القوى، والقوات المصرية، وكان بذلك يحمي بلاده من ويلات الحرب والدمار. كما اننا نلاحظ أنه كان يخشى ثورة محلية تطيح به، متخذة من ارتباطه بالمصريين ومن وجود وكيل عن (خورشيد باشا) في البحرين السبب المباشر للاطاحة به.

سابعا: اشترط حاكم الاحساء على شيخ البحرين ان يقدم الاخير ما يستطيع من مساعدة للقوات المصرية، اذا ارادت غزو عمان أو أي جهة اخرى من بلدان الخليج، وخاصة بتقديم المراكب والسفن التي تفتقر اليها القوات المصرية في الخليج . ولقد وافق شيخ البحرين على تقديم السفن والرجال في مثل تلك الظروف سواء كان المقصود بالهجوم مسقط أو غيرها، حتى ولو كانت البصرة ، الا انه استثنى من ذلك الكويت اذ قال : (. . . الا الكويت، فان اميرها الذي هو (جابر بن صباح) فانه ابن عمدتنا، ولا يمكننا أن نمشي عليه بحرب . . .)(١).

وهنا نلاحظ رغبة السلطات المصرية في التوسع في بلدان الخليج، منطلقة من الاحساء، ونلاحظ ايضا وفاء شيخ البحرين لاخوته من عتوب الكويت وعرفانه بأن شيخ الكويت هو ابن عمدة العتوب ولا يمكنه أن يسير عليه بحرب ، وكان هنا يشير الى تحالف العتوب من (آل الصباح) و (آل خليفة) و (الجلاهمة) يوم نزلوا الكويت لأول مرة، وجعلوا آنذاك امرتهم السياسية (لصباح الاول) زعيم (آل صباح).

ثامنا : يوافق الطرفان على تبادل تسليم الفارين من وجه العدالة في كلا البلدين، ولكن (عبد الله بن احمد) اشترط لتنفيذ هذا البند استثناء (عمر بن عفيصان) اللاجئ السياسي الوهابي الى بلاطه والذي كان عملا (لفيصل) على الاحساء وفر من وجه (خورشيد باشا) ورفض الذهاب الى نجد لتقديم فروض الولاء للقائد المنتصر آنذاك في (دلم). ولقد وافق (محمد أفندي) على ذلك لأنه كان قد بحث مشكلة ابن عفيصان في وقت سابق مع (خورشيد باشا) ووافق الاخير على العفو عنه.(٢)

حصل الاتفاق في (خوير حسان) على ساحل قطر وأراد محمد افندي أن يعلم به كل اهل البحرين، لذا اخذ معه بعض اعيان البحرين، وبعض أولاد (عبد الله بن احمد) وتوجهوا الى البحرين، وهناك اعلن للملأ ما حصل بينه وبين شيخهم وكان بذلك يريد أن تأخذ المعاهدة طابع الموافقة الشعبية .

---

(١) المصدر السابق نفس الوثيقة ـ شروط المعاهدة ـ .
(٢) وثائق عابدين ، محفظة ٢٦٧ ، صورة المرفق العربي للوثيقة ١٣٧ ، صورة الجنرال المحضر من طرف محمد أفندي ـ شروط المعاهدة.

ثم ارتحل الى (بوشهر) على الساحل الفارسي للخليج في مهمته لتأمين الغلال اللازمة للجيوش المصرية في الاحساء ونجد، كما انه بعث بمندوب عنه الى الكويت، وعلى الرغم من أن ذاك المندوب كان يحظى برعاية شيخ الكويت ، الا ان السلطات البريطانية كانت تنظر الى مهمته بعين الريبة، واعتبرته احد عيون (خورشيد) في المنطقة، يعمل لاستطلاع الامور السياسية والعسكرية ويراقب النشاط العثماني في جنوب العراق ، لكي يسهل على خورشيد مهمة التقدم بالقوات المصرية من الاحساء الى البصرة(١).

ولقد عرج محمد أفندي في طريقه الى (بوشهر) على جزيرة (خارج) حيث يقيم الكولونيل (هنل) المقيم البريطاني في الخليج وتباحث معه فيما حدث بينه وبين شيخ البحرين، ثم استمر منتقلا في البلاد المجاورة من شواطئ الخليج بحثا عن الحبوب ولكنه فشل في تأمين كل اللازم لجنده ، فعاد الى البحرين وكلف (عبد الله بن مشاري) احد تجارها بشراء الكميات اللازمة من الهند على ظهر سفنه ولحسابه ثم يبيعها بعد عودته للقوات المصرية (٢) . ويبدو ان خطة تكليف (ابن مشاري) بشراء الحبوب لحسابه كانت لابعد شكوك السلطات البريطانية عن تلك السفن.

مقاومة بريطانيا لسياسة محمد على في بلدان الخليج:

لم تكن التحركات النشطة التي قام بها (خورشيد باشا) ونائبه حاكم الاحساء (محمد أفندي) على سواحل الاحساء وفي البحرين واتجاه بعض البلدان الاخرى كالكويت وساحل عمان لتمر دون اعتراض السلطات البريطانية في الخليج التي بدأت منذ مطلع القرن التاسع عشر تعمل على توطيد اقدامها في هذه المنطقة، واستطاعت عام ١٨١٩ أن تضرب القوى العربية البحرية المناهضة لوجودها والمتمثلة في القواسم في راس الخيمة بحجة القضاء على القرصنة ، وراحت تكبل شيوخ الساحل الجنوبي للخليج بالمعاهدة العامة عام ١٨٢٠م ، واطلقت على هذا الساحل اسم (ساحل الصلح أو ساحل المهادن). وكانت بريطانيا ترى في تقدم القوات المصرية خطرا على وجودها هناك ، لأنها كانت تدرك أهداف (محمد علي) التوسعية بعد صلح (كوتاهية) عام ١٨٣٣م فلقد وجد (محمد علي) الفرصة ملائمة لتحقيق اهدافه في اقامة دولة عربية موحدة، تشمل مصر والسودان وسوريا والعراق والجزيرة العربية ، وكان وصوله الى مياه الخليج وسيطرته على هذا الممر المائي الاستراتيجي من أهم الاهداف التي سعى الى تحقيقها لاقامة دولته المنشودة(٣).

والواقع أن موقف السلطات البريطانية في الخليج قد تغير كليا عن موقفها من تقدم القوات المصرية عام ١٨١٨م ، اذ كانت قد عرضت على بريطانيا سيدة الموقف لتحقيق اهدافها المشتركة آنذاك، ولكن الآن ، اصبحت بريطانيا سيدة الموقف لذا رأت في (محمد علي) منافسا خطرا على وجودها في الخليج،

---

(١) I.O.R. C 248 C. Op , Cit , p . 214.

(٢) وثائق عابدين ، محفظة ٢٦٧، المرفق العربي للوثيقة ١٣٧، صورة الجنرال المحضر من طرف محمد افندي ـ البند السادس والسابع ـ .

(٣) جمال زكريا قاسم ، الخليج العربي (١٨٤٠ـ ١٩١٤) ، ص٦٥ـ ٦٦.

اذ كانت سياسته تعمل في اتجاه معاكس تماما لسياستها المعهودة ـ فرق تسد ـ فبينما كانت بريطانيا تكرس الفرقة بين امارات الخليج وتحوله الى كيانات صغيرة مستقلة اسميا تحت نفوذها، كانت خطة (محمد علي) ترمي لتوحيد هذه الامارات في اقليم واحد ضمن دولة الوحدة التي كان يتطلع الى تأسيسها، وليس أدل على ذلك من أن القوات المصرية لم تتجه لنقطة معينة في الخليج، بل نظرت الى بلدانه نظرة (شاملة من الكويت الى عمان)(١) .

وفي هذه الآونة كانت الازمة تتصاعد بين بريطانيا وايران بشأن مشكلة (هيرات) وكانت بريطانيا تخشى تدخل روسيا الى جانب الفرس مما يكون له أسوأ الاثر على مصالح بريطانيا في الهند، ولذا أرادت بريطانيا ان تحد من تقدم القوات المصرية نحو الخليج خوفا من سيطرتها على الخليج العربي بالاضافة الى سيطرتها على البحر الاحمر ، فتكون بذلك قد وضعت الطرق بين مناطق نفوذ بريطانيا والهند تحت رحمة تلك القوات. ولذا نظرت بريطانيا الى تقدم قوات خورشيد باشا نحو الاحساء نظرة معادية لانها كانت تخشى أيضا من سيطرة (خورشيد) على جنوب العراق، فراحت تعزز وجودها في الخليج باحتلالها لجزيرة (خارج) في ١٩ يونيو عام ١٨٣٨م ، وكذلك قامت بريطانيا باحتلال (عدن) في يناير من عام ١٨٣٩، لاغلاق باب المندب امام القوات المصرية في البحر الاحمر ومنعها من الاتصال بقوات مصر المتواجدة على شواطئ الخليج(٢).

كما أن بريطانيا اخذت تشد من ازر الدولة العثمانية العجوز والتي كانت قوات (محمد علي) قد باتت تهددها في عقر دارها عن طريق الجبهة السورية وراحت بريطانيا ايضا تتعاون مع السلطات العثمانية في العراق للوقوف في وجه (خورشيد) باشا ومنعه من تحقيق اهدافه في جبهة الخليج العربي، واخذت تتحين الفرصة المناسبة لاعلان موقفها بصراحة، فلما بدأت القوات المصرية تزحف نحو نجد بقيادة (خورشيد باشا) بدأت تظهر الخطوات الاولى لتلك المعارضة ، ففي اثناء حصار خورشيد باشا (لدلم) بعث (بالمرستون) بتعليماته الى حكومة الهند يحذرها من تقدم القوات المصرية نحو بلدان الخليج، ويطلب منها استعمال كل الطرق لمنع ذلك التقدم ، وانقاذ دول الخليج ـ وبخاصة البحرين ـ من الوقوع تحت سيطرة المصريين، وفي نفس الوقت كان (بالمرستون) قد توجه في ٢٩ نوفمبر عام ١٨٣٨م رسالة الى قنصل بريطانيا في القاهرة الكولونيل (Cambell) توضح وجهة النظر البريطانية من تقدم القوات المصرية صوب الخليج العربي، ولقد اتبعها برسالة اخرى في ٨ ديسمبر من نفس العام، يطلب اليه الاسراع في مقابلة (محمد علي) شخصيا ليقف على رأيه من أمر تقدم قواته نحو بلدان الخليج، وجاء رد (كامبل) على تلك الرسالة يوضح أن محمد علي اكد له بأن ليست لديه ادنى فكرة لتوسيع سلطاته نحو بلدان الخليج(٣) وجاء في رسالة (بالمرستون) الى (كامبل) قوله : (. . الا أن المعلومات التي حصلت عليها حكومة صاحبة الجلالة من بغداد بان القوات المصرية على وشك عبور شبه الجزيرة العربية الى الاحساء والقطيف في طريقها الى الغرض النهائي بقصد السيطرة على جزيرة البحرين . . . وأرى أن اشير عليك بالتوجه الى (محمد علي) وتستفسر منه عن صحة ذلك وتضيف له بان حكومة صاحبة الجلالة ترجو بأن يبتعد، بل ويتخلى عن أية نية لديه في تنصيب نفسه حاكما على بلدان الخليج، مهما كانت الاعتبارات لأن مخططا كهذا. كما يجب أن تكون قد اوضحت لهـ لا يمكن للحكومة البريطانية أن تنظر اليه دون اكتراث . . .)(٤)

مما تقدم نلاحظ عزم (بالمرستون) على مقاومة التوسع المصري في الخليج وخوفه من تقدم (خورشيد) الى الاحساء. ولما وصلت القوات المصرية الى الاحساء واحتلت القطيف واخذ الجنود المصريون يغسلون اقدامهم في مياه الخليج العربي وعلى مقربة من جزر البحرين، بدأت المعارضة

---

(١) المصدر نفسه ، ص٦٥.

(٢) Kelly, Op. Cit. P . 201.

(٣) I. O. R.. C. 248 C. Op . Cit. p. 201.

(٤) Ibid, p. 201.

البريطانية، تأخذ شكلا سافرا، بعثت الحكومة البريطانية بالأدميرال (فريدريك ميكلاند) على وجه السرعة ليقدم المساعدات اللازمة لشيوخ الامارات العربية التي تتعرض لضغط القوات المصرية، ولكن ميكلاند، وجد أن شيخ البحرين كان على وشك توقيع الاتفاق مع المصريين فنصح المقيم البريطاني في الخليج الكولونيل (هنل) بان يتبع الطرق الدبلوماسية في علاج الموقف[١].

وفي الاول من ابريل عام ١٨٣٩م راحت حكومة بومباي تأمر (هنل) بالتوجه الى القائد المصري ليدعوه الى التخلي عن مشروعاته الخاصة بالبحرين ويحذره من أن ما يقوم به يتعارض بشكل مباشر مع التفاهم القائم بين سيده وحكومة بريطانيا، وان عدم اصغائه لاحتجاجنا يمكن أن يؤدي الى خلخلة الصداقة القائمة بين الدولتين[٢].

وفعلا ارسل هنل الى خورشيد رسالى في ٢٦ ابريل عام ١٨٣٩م يرفض فيها تقدم القوات المصرية نحو الخليج ، وفي هذه الفترة وفي ٢ يونيو عام ١٨٣٩م[٣] ، كان محمد افندي قد وصل الى جزيرة (خارج) في اعقاب توقيع الاتفاقية السالفة الذكر واجتمع بالكولونيل (هنل) وتبادل معه وجهات النظر بالنسبة لموقف المصريين في الخليج ، ثم ارتحل محمد افندي الى (بوشهر) وغيرها من موانئ الخليج باحثا عن الحبوب والمؤن اللازمة للقوات المصرية ، وبعد ذلك بيومين فقط من نفس العام وجه هنل احد مساعديه الى عبد الله ابن احمد ليتأكد من صحة الانباء التي حملها (محمد أفندي) الى (هنل) وبعد عودة مساعدة مباشرة راح هنل في شهر يوليو عام ١٨٣٩ يواجه عبد الله بن احمد ويستفسر منه عن المعاهدة المعقود بينه وبين المصريين، ولما تحقق من ذلك ، اخذ (هنل) يوجه اللوم (لعبد الله بن احمد) وأخبره أن عمله هذا مخالف لما كان عبد الله بن احمد نفسه قد عاهد (السركار) الحاكم العام عليه منذ سنين مضت، كما أوضح له ايضا، أن هذه الاتفاقية مخالفة لتأكيدات (محمد علي) لقنصل بريطانيا في القاهرة ، والتي جاءت تؤكد عدم تفكيره وتطلعه للسيطرة على بلدان الخليج[٤] . وراح (هنل) يسلم (عبد الله بن احمد) احتجاجا شديد اللهجة مكتوبا، يرفض فيه تلك المعاهدة بصراحة وقد جاء فيها:

(.. ليعلم الواقفون على هذه الاحرف ، ان الراسم بهذه وهو، باليوز خليج فارس من جهة الدولة العلية الانكليزية ، نظير انه من حقيقة ما بلغه من العلم عن خورشيد باشا ساري عسكر نجد، بمعرفة وكيلة (محمد أفندي) أن البحرين قد طاعت لحكم جناب ذي الشوكة والاجلال (محمد علي باشا) وان حاكمها قد تقبل ان يسلم في كل سنة ثلاثة آلاف ريال فرنسية على سبيل الزكاة . . (ويتابع هنل) ان ذلك مخالف للقرار الكائن بين عبد الله ابن احمد وبين السركار من سنين مضت، وان ذلك مخالف ايضا للجواب الصادر من طرف محمد علي باشا الى أمناء الدولة الانكليزية بأن عساكره لا تتعدى على بلاد العرب المتصلة بخليج فارس[٥].

ولكن الوثائق المصرية تؤكد لنا أن عبد الله بن احمد لم يغير موقفه بل وقف من (هنل) موقفا صلبا واعلن له بصراحة أنه الآن تابع لدولة (محمد علي باشا) وأن ذلك لا يمنع من أن يكون صديقا لبريطانيا، ولكن (هنل) راح يطلب اليه فسخ تلك المعاهدة ويعده بأن بريطانيا ستقدم له الحماية، ولن تاخذ منه الجزية أو اي ضرائب لمدة خمس وعشرين سنة . كما عرض عليه تقديم الجنود اللازمة لحمايتهم في داخل قلعة (الدمني) في البحرين، ولكن تلك التهديدات الممزوجة بالترغيبات ايضا باءت بالفشل، اذ راح عبد الله بن احمد يواجه المقيم البريطاني باصراره على عدم استعداده لفسخ تلك المعاهدة قائلا: (.. أني وإن كنت طلبت منكم قبلا الحماية، ولكن ما قلت لكم أني أكون من جملة رعايا الانجليز ، وثانيا انما كان

---

(١) جمال زكريا قاسم ، المصدر السابق ، ص٦٧.

(٢) I. O. R.. C. 248 C. Op. Cit. p . 202.

(٣) رسالة هنل كانت في ١٣ ربيع الاول ١٢٥٥هـ ، وزيارة محمد افندي كانت في ٢٠ ربيع الاول سنة ١٢٥٥هـ .

(٤) وثائق عابدين ، محفظة ٢٦٧، صورة المرفق العربي للوثيقة ١٣٧، تقرير محمد أفندي لخورشيد عن زيارته لبلدان الخليج .

(٥) المصدر نفسه ، نفس الوثيقة .

طلبي الحماية، خوفي من عسكر محمد علي باشا، أما اليوم فقد تصالحنا والحمد لله مع خورشيد باشا، وربطنا الصلح بشروط ، واننا منذ القدم مشتركين مع اهل نجد جيراننا في التجارة، فلا يمكن ان نفترق عن مالنا وملكنا...)(١)

وهنا نلاحظ ان عبد الله بن احمد يجابه (هنل) بالحقيقة ألا وهي أنه كان خائفا من قوات (محمد علي) اذ راح حينئذاك يطلب الى انجلترا تقديم الحماية والمساعدة له، ولكنها تخلت عنه، وهنا يضيف ايضا أن طلبه للحماية لا يعني أن يكون تابعا للانجليز. ولما كانت بريطانيا قد تركته بلاعون. فقد انهى مخاوفه بالصلح والمعاهدة مع المصريين، فليس للانجليز شأن في تصرفه في شؤون بلاده بعد ذلك، واضاف (عبد الله بن احمد) موضحا (لهنل) أن هناك امرا هاما يربطه بالساحل المقابل من الشواطئ التي تسيطر عليها قوات محمد علي اذ هناك في الدمام ، قلعة ابنه (مبارك) الحصينة، وكذلك هنالك نغصات اللؤلؤ الواقعة بين البحرين والاحساء والتي يعمل فيها اعراب الاحساء لحساب شيخ البحرين وعليها تقوم تجارته وثروته بلاده. اضف الى ذلك أن البحرين تعتمد على ميناءي القطيف والعقير على ساحل الاحساء ـ كل ذلك دعاه الى أن يتشبث بموقفه، ويرفض احتجاج المقيم البريطاني في الخليج، الذي كان يحمل في طياته تهديدا مبطنا، فاعلمه انه اذا لم نعطه نسخه المعاهدة ليمزقها بيده فأنه سيكتب الى الحاكم العام في حكومة الهند وأنه لن يكون مسؤولا عما سيحدث بعد ذلك، ولكن ذلك زاد (عبد الله بن احمد) تمسكا بموقفه وراح يجابه (هنل) قائلا له :

(. . . ان البحرين ملكنا ورثناه من اجدادنا، وليس بيننا شروط لان نكون رعية للسركار (الحاكم العام) . . وليس للسركار أن يتعدى علينا، فاذا كنتم تشرعون في الحرب قوة واقتدار فأننا سنبذل كل وسعنا في سبيل حماية ملكنا وأهلنا وعيالنا وديننا، وليحصل بعد ذلك ما يحصل . . .)(٢).

ان هذا الموقف الصلب قد صورته لنا الوثائق البريطانية بشكل اكثر ليونة، فجعلت من (عبد الله بن احمد) هذا رجلا عجوزا، حاول تفدي الوقوع تحت سيطرة المصريين المباشرة بان خضع لهم اسميا، بدفع مبلغ قليل من المال سنويا، وقد اشار (هنل) على لسان شيخ البحرين أنه وغيره من شيوخ الخليج العربي ينتظرون نتائج الاشتباكات الدائرة بين قوات (محمد علي) والقوات العثمانية في الجبهة السورية، فاذا ما انهزمت القوات المصرية هناك ، فان الجميع في جبهة الخليج العربي سيقفون موقف العداء من حملة (خورشيد). وأضاف هنل في تقريره أن الاسباب التي دعت شيخ البحرين الى توقيع المعاهدة مع المصريين كانت :

أولا : أن شيخ البحرين قد فقد أمله في مساعدة الانجليز له .

ثانيا : ضغط (خورشيد باشا) عليه وتهديده بفتح بلاده بالقوة .

ثالثا : تهديد جارته من قبل (ابو ظبي) ومن (عيس بن طريف) احد اتباعه المنشقين ، الذي كان قد قدم نفسه واتباعه (لخورشيد باشا) وليكونوا عونا له في اللحظة الحاسمة التي يعتزم فيها مهاجمة البحرين .

---

(١) وثائق عابدين ، محفظة ٢٦٧، تقرير خورشيد من ثرمدة في شعبان ١٢٥٥هـ الموافق ١١اكتوبر ١٨٣٩م.

(٢) وثائق عابدين ، محفظة ٢٦٧، تقرير خورشيد باشا عن موقف بريطانيا من حملته بعث به من ثرمدة ٣ شعبان سنة ١٢٥٥هـ .

رابعا: أن شيخ البحرين يرى صعوبة في الدفاع عن بلاده ضد أي قوات تتسلح بالقوارب الصغيرة على شاطئ الاحساء المقابل، فهو يرى أن بإمكان القوات المصرية اقتحام البحرين من عدة أماكن، على ذلك الشاطئ لكثرة المخاضات ذات المياه الضحلة، التي يمكن للقوارب الصغيرة العمل فيها بسهولة، بينما يصعب على السفن الحربية الكبيرة (كالسفن البريطانية) المساعدة في صد مثل ذلك الهجوم(١).

ومن مقارنة للوثائق المصرية والبريطانية، نستنتج أن (عبد الله بن احمد) قد ارتبط بالمصريين خوفا من تهديدهم لبلاده، وحفاظا منه على وحدة تلك البلاد وعلى عرشه، لذا راح يسلم السلطات المصرية الزكاة التي تعود ان يدفعها للوهابيين سابقا. ولكني ارى انه بعد ذلك قد تشبثت بالمعاهدة مع المصريين ورفض فسخها. ولكن (هنل) حاول في تقريره لحكومته أن يجد في التبريرات التي قدمها (عبد الله بن احمد) ركيزة يغطي بها فشله في ثني ذلك الشيخ عن عزمه. فراح يشير في تقريره الى أن الشيخ على استعداد لفسخ المعاهدة اذا ما قدمت له حكومة الهند الحماية، لأن الشيح كان يخشى أن تؤخذ مستمسكا عليه(٢). واذا ما اخذنا بكلام المقيم البريطاني فان ذلك يدل على أن (عبد الله بن احمد) كان على درجة كبيرة من الحذر، وأنه لم يكن على استعداد لفسخ تلك المعاهدة، الا بعد أن يكون قد حصل بالفعل على تأكيدات قوية، أو على معاهدة بديلة مع حكومة الهند لضمان حماية بلاده وهذا الامر كان سيضع مصر وبريطانيا في موقف المواجهة السافرة وذلك كانت تتلافاه الحكومة البريطانية(٣).

وقد جاء في تقرير (هنل) ما يجعلنا نميل الى الاخذ بما جاء في الوثائق المصرية عن موقف (عبد الله بن احمد)ـ اذ بعث (هنل) الى حكومته يقول بأنه رفض تبريرات شيخ البحرين، واخبره بأن دخوله في مثل هذا الحلف يعتبر امرا خطيرا، اذ جعل من اعداء (خورشيد) اعداء له، وان هذا الامر ان عاجلا أو آجلا يضعه في موقف العداء مع الحكومة البريطانية مع العرب المسالمين، والتي نصت على اعتباره احد أعضائها، لذا راح هنل يؤكد له أن حكومته لن تبارك معاهدته مع المصريين وراح يسلمه الاحتجاج الآنف الذكر ضد تلك المعاهدة(٤) .

مما تقدم نستنتج أن شيخ البحرين وقف موقفا متصلبا الى جانب المصريين هادفا من وراء ذلك الى التخلص من الانجليز الذي كانوا على علاقات طيبة مع اعدائه امثال سلطان مسقط وشيخ (أبو ظبي) اللذين كانا يطمعان في البحرين منذ زمن بعيد(٥) . ولذا نراه قد راح يكتب الى (خورشيد) عما حدث بينه وبين المقيم البريطاني في الخليج. ولما عاد (محمد افندي) حاكم الاحساء الى مقر عمله في الهفوف من رحلته في بلدان الخليج كان قد عرج على (عبد الله بن احمد) ونزل في ضيافته فأخبره بدوره عن تطورات الموقف وأكد له ثباته على العهد، وكتب محمد افندي الى خورشيد الذي كتب بدوره الى حكومة القاهرة يشرح فيها موقف بريطانيا من توسع قوات (محمد علي)، ولقد اوضح (خورشيد) في تقريره ان الانجليز يحاولون السيطرة على موانئ الشاطئ العربي من الخليج ولذلك بعد فشلهم في السيطرة على سواحل فارس التي كانت تدعمها روسيا، وأكد في تقريره أن البحرين مهمة جدا لوجودهم على ساحل الاحساء، وان الانجليز اذا سيطروا عليها فإنها ستصبح في فترة وجيزة قاعدة لقواتهم في الخليج العربي

(١) I. O. R.. C. 284 C. P. 208.

(٢) Ibid , p. 208.

(٣) Ibid , p, 204.

(٤) Ibid , p. 208.

(٥) Selection , Uttobee Tribe , Op , Cit,389.

كما هو الحال في (مالطة) قاعدتهم في البحر الابيض المتوسط[١]. الا أن (محمد علي) كان قد اقتنع بضرورة عدم التدخل في شؤون البحرين حتى لاتتخذ بريطانيا من ذلك ذريعة لاحتلالها، فبعث الى خورشيد ارادته رقم (١١) المؤرخة في ١١ يونيو ١٨٣٩ تأمره بعدم التدخل في شؤون البحرين وأن يترك (عبد الله بن احمد) مستقلا بتدبير امورها بنفسه . وبعث محمد علي بنسخة من تلك الارادة الى الحكومة البريطانية التي بعثت بدورها نسخة عنها الى (هنل) الذي ارسلها بدوره مع احد مساعديه الى عبد الله بن احمد حيث قرئت عليه ثم ارسلت الى القطيف حيث تم تسليمها للسلطات المصرية في ٢٥ اغسطس عام ١٨٣٩ لتنقلها بدورها الى خورشيد باشا. وهنا راح هنل يعلن انفصال البحرين عن السلطات المصرية وتبعيتها لبريطانيا مما اغضب (عبد الله بن احمد) وجعله يرسل الى (محمد افندي) والى خورشيد باشا يستفسر عن صحة الامر[٢]. وبعث خورشيد بالشيخ شافعي شيخ قبيلة (بني هاجر) الى البحرين لكي يقف على صحة ادعاءات (هنل) ويتأكد من موقف الشيخ (عبد الله بن احمد) وجاءه الرد سريعا بأن (عبد الله بن احمد) مازال على العهد وان الانجليز يحاولون منذ اكثر من ثلاثين عاما السيطرة على بلاده، ولكنه رفض دائما عروضهم ، وانه لا يستغني عن عرب سواحل الاحساء وطلب من خورشيد عدم منع اهالي تلك الديار من المجئ الى البحرين لأنه يعتمد عليهم في تجارته، فهم الذين يقومون بصيد اللؤلؤ لحسابه . وراح شيخ البحرين يؤكد للشيخ (شافعي) بأنه سيقاوم الانجليز بعنف اذا ما حاولوا السيطرة على بلاده بالقوة قائلا :

(. . . مادمت على قيد الحياة فأني لا استسلم للانجليز وأنهم منذ ثلاثين سنة وهم يحتالون علينا، وسأبذل جميع مالي وقوتي، أنني في الثمانين ، وقد بلغت آخر العمر فلأن نموت جميعا اولى ان نكون رعية للكفار وافضل شيئ وأشرفه لا نرى ذلك اليوم، فارجو من الباشا الا يمنع عرب نجد من المجيء عندنا بل ارجوه يسهل مجيئهم . . .)[٣]

هنا نرى بوضوح أن (عبد الله بن احمد) تأكد من صحة ما اصدره (محمد علي) وان نجحوا في ابعاده عن المصريين، إلا أنه ظل خائفا من أمر استيلاء الانجليز بالقوة على بلاده ، فراح يحزم امره وأخذ يعد جنودا من بدو الاحساء وبادية العراق، استعدادا لما تخبئه الايام له، واما خورشيد فقد رفع اقوال (عبد الله بن احمد) الى سلطات القاهرة في تقرير مطول بعث به من ثرمدة في ١١ اكتوبر ١٨٣٩. كما انه اوضح اهمية جزر البحرين كما اسلفنا وأضاف في النهاية أنه اذا كانت حكومة القاهرة ترى ضرورة التخلي عن تلك الجزر فيجب عليها ان تمنع وقوعها تحت ايدي الانجليز ، وانه يفضل ان تترك مستقلة لشيخها (عبد الله بن احمد آل خليفة)[٤] . الا ان ارادة (محمد علي) رقم (٢١) كانت قد صدرت في العشر من سبتمبر ١٨٣٩ تقضي بتعليق مهمة (خورشيد باشا) وبإغلاق باب المصروفات المفتوح لحملة نجد وتطلب اليه العودة الى القاهرة بعد ان يكون قد اشرف على جمع اعداد من الجمال كافية لنقله هو وجنده، وان يترك أمر نجد والاحساء (لخالد بن سعود) وأن يحاول بكل جهده وبصورة ملائمة وسهلة ان تبقى جزيرة البحرين وغيرها من الجهات التي كانت تخضع لآل سعود سابقا تابعة لخالد بن سعود[٥] .

كان الامر شديدا على نفس (خورشيد) الطموحة ولكنه لم يكن ليستطع أن يعمل شيئا غير تنفيذ الاوامر ، والعودة الى مصر دون تحقيق أمله في السيطرة على منطقة الخليج العربي، وتحويلها الى اقليم واحد متحد سياسيا ضمن دولة (محمد علي) المنشودة ، ولقد عمل من اجل ذلك الهدف ما استطاع فقد ارسل وكيله (محمد افندي) الى البحرين فوقع مع شيخها المعاهدة السالفة الذكر التي جعلت البحرين تابعة بشكل من الاشكال للسطات المصرية وسائرة في ركاب المخطط المصري كما أنه بعث مبعوثية الى كل من الكويت والمحمرة في سبيل الحصول على الغلال اللازمة لجنده ، وقد استطاعوا توطيد علاقاتهم

---

(١) وثائق عابدين ، محفظة ٢٦٧، تقرير خورشيد باشا من ثرمدة بتاريخ ٣ شعبان سنة ١٢٥٥هـ الموافق ١١ اكتوبر ١٨٣٩م .

(٢) المصدر السابق ، محفظة ٢٦٧، صورة المرفق العربي المؤرخ في رجب ١٢٥٥هـ الموافق ١١ اكتوبر ١٨٣٩م .

(٣) المصدر السابق ، تقرير خورشيد من ثرمدة في ٣ شعبان ١٢٥٥هـ / ١١ اكتوبر ١٨٣٩م.

(٤) المصدر السابق ، نفس التقرير .

(٥) وثائق عابدين ، محفظة ٢٦٧، صورة الارادة رقم (٢١) بتاريخ ٢ رجب ١٢٥٥هـ .

بشيوخها، اذ كان المبعوث المصري الى بلاط شيخ الكويت بأن (محمد علي) من اقوى ملوك الارض، وراحت بريطانيا تنتظر الى ذلك المبعوث بعين الريبة والحذر ، فأرسلت مبعوثها، الكابتن (ادموندز) الذي وصف شيخ الكويت بانه واقع تحت تأثير المبعوث المصري، واضاف في تقرير له رفعه الى حكومة الهند بأن مهمة المبعوث المصري هي مراقبة النشاط العثماني في البصرة ، وانه يعمل لخدمة اهداف (خورشيد) العسكرية الرامية للتوسع في جنوب العراق ، واكد ان مهمة جمع الحبوب هذه لا تشكل الا ستارا يختفي ورائه ذلك المبعوث ، كما اضاف في تقريره ان شيخ الكويت لم يستقبله الاستقبال اللائق به كمبعوث لحكومة بريطانيا العضمى، وان بلاده لم ترد على تحية سفينته التي رست على الشاطئ، وطلب من حكومته رفع الحماية عن سفن الكويت في الخليج ، تلك الحماية التي كانت تمارسها السفن البريطانية بوصفها كانت تقوم بدور البوليس البحري في تلك المياه ، ولكن المقيم البريطاني (هنل) رفض ذلك الاقتراح خوفا من تجدد اعمال القرصنة التي عملت بريطانيا طويلا على انهائها (على حد ادعائها). وأني استنتج من تقرير (ادموندز) أنه كان في بعثة سرية لمراقبة النشاط المصري من ناحية، ولدارسة موقع الكويت وامكانيتها وذلك بهدف اتخاذها مقرا للمقيم البريطاني ، إذ ما فكرت حكومته بترك جزيرة (خارج). ولما كان النشاط المصري في الكويت ضئيلا فلم يحدث ذلك الموقف المتعنت الذي وقفته بريطانيا من التوسع المصرية في البحرين ، على الرغم من أن (هنل) و (ادموندز) أوصيا بضرورة عدم وقو هذا الميناء الهام في ايدي السلطات المصرية(١).

ولم تكن البحرين والكويت فقط مجالا للنشاط المصري وللمعارضة البريطانية ، ففي خلال اقامة السلطات المصرية في الاحساء ، قامت تلك السلطات بتعيين (سعد بن مطلق) المطيري محافظا لقلعة الدمام ، ويبدو ان ذلك العمل كان تمهيدا لارساله في حملة الى البريمي وبلدان الساحل المهادن وعمان. وفعلا صدرت اوامر (خورشيد) الى (سعد بن مطلق) بالتحرك في جماعة من الاحساء وتوجه في شهر مارس ١٨٣٩م الى الشارقة في طريق الى البريمي، ومن هناك راح يرسل رسولا الى بني (نعيم) يطلب اليهم تسليم الواحة له، ولكنهم رفضوا ذلك وردوا عليه انهم (. . . يؤثرون أن يدفنوا احياء تحت انقاض بيوتهم على التسليم)(٢). وكان موقفهم الصلب هذا بتحريض من الانجليز ومن (هنل) بالذات الذي زار المنطقة ووعد (بني نعيم) بالحماية وتقديم المساعدة اللازمة لهم في مقاومتهم (لسعد) ولمشاريع مصر التوسعية في المنطقة. ولقد اجرى (هنل) اتصالات مع شيوخ الساحل المهادن وافهمهم رغبة بريطانيا في عدم تقديمهم اي مساعدة (لسعد بن مطلق) وخاصة شيخ الشارقة الشيخ (صقر بن سلطان القاسمي) الذي كان (سعد) ينزل في ضيافته. ولم يكن نشاط (سعد بن مطلق) مقصورا على البريمي، فقد راح يرسل رسائله الى (هلال وثوني) ابني سلطان مسقط ، تلك الرسائل التي كان قد احضرها معه من قبل (خالد بن سعود) وهي توصي بأن على ابناء سلطان مساعدة (سعد بن مطلق) في مهمته في البريمي وساحل عمان وعليهم ابداء الطاعة ودفع الزكاة له. وهنا راح السيد سعيد يكتب الى (محمد علي) يطلب إليه الضغط على خالد بن سعود وعامله (سعد بن مطلق) بعدم استفزاز ابنائه(٣) . وفعلا اصدر (محمد علي) ارادته رقم (٣٥) في ٩ يناير ١٨٤٠ يأمر فيها (خالد بن سعود) بعدم ارسال مثل تلك الرسائل وبعدم الاستمرار في اغضاب إمام مسقط وعليه ان يرسل اعتذارا عما بدر منه(٤) .

ولم يكن سلطان عمان هو المعارض الوحيد لتقدم القوات المصرية نحو بلاده ، اذ كان (هنل) المقيم السياسي البريطاني في الخليج قد احتج على تحركات سعد بن مطلق نحو البريمي في رسالة بعث بها الى خورشيد في ٢٧ اغسطس ١٨٣٩ جاء فيها : (. . . فإن رجع سعد من البر او من البحر ، فنتخذ ذلك

---

(١) I.O.R. C. 248 C. Op .Cit. p, 214.

(٢) ج. ب. كيلي، الحدود الشرقية للجزيرة العربية ، ص١٠٠.

(٣) وثائق عابدين ، محفظة ٢٦٦، وثيقة ١٨١حمراء ، ٤٣ اصلية بدون تاريخ ، رسالة من خالد بن سعود الى ابناء سلطان عمان .

(٤) وثائق عابدين ، محفظة ٢٦٦، وثيقة ١٠٤، بتاريخ ٣ ذي العقدة ١٢٥٥هـ وصورة الارادة رقم (٣٥).

دليلا واضحا ان جنابكم غير راغب في استقامة الصداقة بين الدولتين . . .)(١) وقبل هذه الآونة كان (هنل) قد زار معظم موانئ الخليج واقنع شيوخها بعدم مساعدة المبعوث المصري أو الانقياد له ، واكد على الشيخ (سلطان بن صقر) بالذات ان يسارع في ترحيل سعد من أراضيه، واعدا اياه بتقديم المساعدة اللازمة له من امداده بالمال والسلاح إذا هو تخلى عن (سعد بن مطلق) كما اخذ هنل تعهدات من شيخ (ابو ظبي) وشيخ (دبي) وشيوخ (عجمان والشارقة) بعدم انضمامهم أو تأييدهم للمبعوث المصري(٢).

ورجع (سعد بن مطلق) مرغما عندما فقد أمله في مساعدة اولئك الشيوخ ، ولكنه قبل عودته كان قد أرسل الى خورشيد يطلب منه العون والامدادات الحربية، وكان (خورشيد) قد بعث على الفور الى وكيله ونائبه على الاحساء (محمد افندي) يأمره بتجهيز حملة لمساعدة (سعد بن مطلق)، ولكن عودته المفاجئة، اوقفت تلك الحملة واغضبت (خورشيد) وراح يستدعيه الى نجد لكي يقوم بمحاسبته وعقابه على عدم الالتزام بمهمته ، ورجوعه دون إذن قائده (٣) .

ولكن اوامر القاهرة (لخورشيد) بالانسحاب كانت قد صدرت إليه في هذه الاونة (اكتوبر ١٨٣٩) وفي نفس الفترة قتل (محمد افندي) الساعد الايمن لخورشيد وحاكم الاحساء تلك القاعدة المصرية التي كانت تهدد مصالح بريطانيا في المنطقة، وقبيل وفاته بأيام كان قد اعد حملة من الاحساء الى قطر لتأديب القبائل التي رفضت أن تدفع الزكاة، ولكن تلك الحملة عادت على اثر مقتله، دون أن تحقق اهدافها(٤) .

ويبدو أن مقتل (محمد افندي) كان بدافع سياسي إذ كان شيوخ بني خالد قد تقدموا إليه يطلبون رئاسة الاقليم ، فرفض طلبهم ، وكان (محمد أفندي) قد بطش في الاحساء(٥) ليثبت دعائم حكمه هناك ، فيبدو أن (بني خالد) قد حاولوا التخلص منه ليصفو لهم الجو من بعده او على الاقل ليزيلوه من طريقهم ، وان كنت لا استبعد أن يكون للبرطانيين يد في مصرعه ، لانه كان وراء النشاط المصري في منطقة الخليج اذ كان المنفذ المباشر لذلك النشاط في كثير من الاحيان ، ولقد وقع خبر مقتل (محمد افندي) على مسامع (خورشيد) وقوع الصاعقة، فراح يأمر باعدام شيخ (آل حميد) زعيم بني خالد انتقاما لمقتل نائبه وفعلا تم تنفيذ حكم الاعدام في الشيخ (برغش آل حميد)(٦) على يد القوات المصرية ، وأرسل خورشيد نائبا جديدا عنه الى الاقليم اسمه أيضاً (محمد أفندي) ولكن عهده بالاحساء كان قصيرا جدا، فلم يكد يستقر فيها حتى اصدر خورشيد أمره باسناد ولاية الاحساء الى (احمد ابن مبارك) احد اصهاره النجديين وهو من بلدة حريملاء، وذلك على اثر قراره الانسحاب من نجد في مايو عام ١٨٤٠م(٧).

الاحساء في اعقاب الانسحاب المصري (١٨٤٠ـ ١٨٤٣):

وفي هذه الآونة حاول (علي رضا) ولي العراق العثماني استمالة (خورشيد باشا) ليسند إليه أمر الجزيرة العربية التي ابدى خورشيد مهارة فائقة في السيطرة على قبائله. بالاضافة الى أن خورشيد كان يحظى بتأييد بعض قبائل جنوب العراق (كالمنتفق) الذين بعثوا اليه بعريضة يطلبون فيها انضمامهم إليه، وليس ادل على شعبية (خورشيد) في جنوب العراق آنذاك من التأييد الذي اعلنته احدى الكتائب العثمانية إذ فرت على سفن كويتية والتحقت بقوات (خورشيد باشا) في الاحساء، لقد كان (علي رضا) الذي اسندت إليه ولاية (جدة) بالاضافة الى ولاية العراق، يبحث عن نائب له لعينية لتلك الولاية فرأى في

---

(١) وثائق عابدين ، محفظة ٢٦٧، صورة المرفق العربي المؤرخ في جماد آخر ١٢٥٥هـ رسالى من (هنل) الى (خورشيد) .

(٢) I.O.R. C. 248 C. Op. Cit. p. 211.

(٣) وثائق عابدين ، محفظة ٢٧٠، وثيقة ١٩٤ ، حمراء بتاريخ ١٢ جمادي الآخرة ١٢٥٥ هـ . رسالة من خورشيد الى الباشمعاون.

(٤) ج. ج. لوريمر ، ج٣ ص١٤٤١.

(٥) ابن بشر ، المصر السابق، ج٢ ، ص٨٧.

(٦) ج. ج. لوريمر ، ج٣ ، ص١٤٤١.

(٧) ابن بشر ، المصدر السابق، ج٢، ص٨٩.

انظر ايضا ، فلبي ، ص٢٠٩، ولوريمر ، ج٣، ص١٤٤١.

(خورشيد) خير من يصلح لذلك المنصب، ولكن (خورشيد) رفض العرض الذي قدمه والي العراق واثر الانسحاب متقيدا باوامر سيده مطيعا لشرفه العسكري(١). وعلى الرغم من أن بعض التقارير البريطانية كانت قد عزت انهاء حملة (خورشيد) الى حسد (محمد علي) الذي كان يجيش في صدره للانتصارات التي حققها ذلك القائد في جبهة الخليج(٢) إلا اننا اذا تفحصنا الامر ، وجدنا أن وراء انهاء تلك الحملة عدة اسباب اهمها موقف بريطانيا المتعنت من تقدم تلك القوات صوب الخليج العربي ، اذ كانت السياسة البريطانية تخشى أن تلتقي مصالح (محمد علي) مع مصا ح (فارس) التي كانت تميل الى روسيا آنذاك. وخشي (بالمرستون) أن تتقدم قوات (محمد علي) المنتصرة في معركة (نزيب) في يوليو ١٨٣٩ وتهدد امن الدولة العثمانية في عقر دارها، لذا كان (بالمرستون) يخشى ان تقوم تركيا بدعوة روسيا لمساندتها كما حصل عام ١٨٣٣م ، فيصبح النفوذ الروسي في هذه المنطقة، لذا راح يضغط على شاه ايران طالبامنه أن يقف على الحياد والا يفكر في الانتقام من الدولة العثمانية بأن يتقدم صوب العراق(٣). ولو استطاعا انهاء الوجود العثماني في العراق بسهولة، وقد كسبت السياسة البريطانية الموقف ، وقرر (محمد علي) الانسخاب تحت ضغط بريطانيا من ناحية ، وتأثير النداءات العثمانية باسم المذهب من ناحية اخرى. ولكن ضغط بريطانيا كان له الاثر الاول على اثر الهزيمة التي الحقتها جيوش (محمد علي) بالجيوش التركية في معركة (نزيب) اتفقت بريطانيا على مد يد المساعدة الى تركيا وانهاء الوجود المصري في سوريا، ثم تلت ذلك مفاوضات جرت في الاسكندية بين شهري نوفمبر وديسمبر عام ١٨٤٠م ، اجبر (محمد علي) بموجبها على التخلي عن سوريا وعن توسعه في الجزيرة العربية(٤).

وعلى اثر ذلك الانسحاب اخذ مركز بريطانيا يزداد قوة في علاقاتها مع أمراء الخليج العربي والجزيرة العربية، وقامت بريطانيا بتعزيز قواتها في تلك الجهات، فرأيناها تبعث ببعض سفنها الحربية لمحاصرة ساحل الاحساء في لحظات انسحاب القوات المصرية من ذلك الساحل، وكان ذلك في اعتقادنا يشكل عرضا من عروض القوة قامت به السلطات البريطانية في الخليج، لتثبت للمصريين انها سيدة الموقف في المنطقة، وفعلا بدا واضحا أن نفوذها اخذ يزداد قوة على اثر ذلك الانسحاب ، فلقد تركت القوات المصرية المنسحبة فراغا كبيرا، ولكن الدولة العثمانية التي عادت لها السيطرة الاسمية على المنطقة بأسم والي بغداد، لم تحسن استغلال تلك الفرصة لتقوم بتدعيم سلطانها في تلك الجهات ، وكانت امارات الخليج نفسها ضعيفة فلم تستطع احداها أن تسد ذلك الفراغ ولكن كانت هناك بارقة امل جديد، بدأت مع عودة فيصل بن تركي للحكم، اذ اخذت الدولة السعودية الناشئة تحاول الاستفادة من ذلك الوضع ونجحت الى حد ما ولكن كانت دائما تجابه بالوجود البريطاني الذي كان يصطدم بالسعوديين مباشرة لمحاولة توسعهم في الخليج العربي(٥).

قلنا أنه على اثر انسحاب القوات المصرية من الجزيرة العربية، علمت السلطات العثمانية في العراق على أن ترث الحكم المصري في شبه الجزيرة العربية ـ اذ برزت في اذهان العثمانيين اهمية الجزيرة العربية بعد ذلك التوسع المصري. وبدا العثمانيون يفكرون من جديد في العودة اليها، فراح الباب العالي يصدر فرمانا بإسناد ولاية (جدة) وتوابعها (نجد والاحساء) الى والي العراق (علي رضا)، وعين علي رضا من قبله نائبا عنه ليقوم بامور ولاية جدة، وطلب من السلطات البريطانية ان تحمل نائبه المتجه الى مركز عمله في جدة على ظهر احدى السفن الحربية البريطانية، خوفا من أن تتعرض له القوات

---

(١) نوار، المصدر السابق ، ص٢٢٥ـ ٢٣٠.
(٢) ج. ج. لوريمر ، المصدر السابق ،ج ٣، ص١٤٤١.
(٣) نوار ، المصدر السابق ، ص ٢٧٧ـ ٢٢٩.
(٤) Kelly , Op , Cit , p, 342.
(٥) جمال زكريا قاسم ، الخليج العربي ، ص٧٠.

المصرية ، وربحت السلطات البريطانية في الخليج بذلك ونقلت نائب الوالي العثماني الى مقر عمله على احدا سفنها المتوجهة الى هناك، وكانت الدولة العثمانية بذلك تعود الى حكم الجزيرة العربية ومعها النفوذ البريطاني، ولم يحاول (علي رضا) تغيير الاوضاع المحلية في داخل الجزيرة العربية فترك (خالد بن سعود) اميرا على نجد وترك (احمد بن مبارك) يدير شؤون الاحساء[١].

هكذا انتهت الحملة المصرية على الاحساء ونجد واخذ (خالد بن سعود) يحاول تركيز نفسه في الحكم فاتجه بأنظاره الى الاحساء واقاليم الخليج، وارتحل الى الهفوف، ومن هناك وفي شهر سبتمبر ١٨٤١م كتب (خالد بن سعود) الى (هنل) يعرب فيها عن رغبته في إقامة علاقات طيبة مع الحكومة البريطانية، وبالرغم من ذلك فقد وصلت انباء في نوفمبر تفيد أن خالد بن سعود يفكر في ارسال حملة مسلحة يقودها معد بن مطلق لاحتلال البريمي فراح (هنل) يرسل احد معاونيه وهو اللفتينانت (كيث جوب) (Keith jopp) الى الهفوف في الاحساء ليقبل (خالد) ويحذره من القيام بأية حركة تجاه بلدان الساحل المهادن، سواء من البر او من البحر ، وعلى الرغم من أن (خالد) كان يصر على ان من حقه احتلال البريمي الا انه عدل عن ذلك بعد مقابلة (جوب) وراح يرسل الى (هنل) رسالة يؤكد فيها من جديد تخلية عن مشروع تلك الحملة ورغبته في توطيد العلاقات الطيبة مع بريطانيا[٢] .

وفي هذه الفترة قام (عبد الله بن ثنيان) احد امراء البيت السعودي واطاح بالامير (خالد) واعلن نفسه اماما في نجد، وفي مطلع عام ١٨٤٢م وارسل قائده (عبد الله بن بطال المطيري) الى الاحساء فأخضعها بسرعة فر منها (خالد بن سعود) الى الكويت ثم الى مكة ، وراح ابن ثنيان يعين عليها واليا جديدا هو (عمر بن عفيصان) واليها القديم في عهد فيصل ، وكان هذا الاخير قد عاد من منفاه بعد انسحاب القوات المصرية. وفي حزيران من نفس العام ارسل (عبد الله بن ثنيان) جيشا لاحتلال القطيف التي لم تكن قد خضعت له بعد، واراد بذلك السيطرة على سواحل الاحساء ليتخذ من ذلك الاقليم قاعدة له ينطلق منها نحو بلدان الخليج العربي، ولما تم احتلال القطيف عين (ابن ثنيان) على منطقة القطيف حاكما جديدا هو (احمد السديري) على ان يكون تابعا لامارة الاحساء التي يديرها (ابن عفيصان) من مقره في مدينة الهفوف[٣] .

كانت تلك الحركات السريعة تجري بحرص شديد، لأن (محمد بن خليفة) حفيد الشيخ سليمان بن خليفة، الاخ الاكبر لامير البحرين الشيخ عبد الله بن احمد، كان قد تمرد وثار على عم ابيه وكان يسعى الى اعادة منطقة القطيف لحكم العتوب في اعقاب انصحاب القوات المصرية من هناك، وبتشجيع من سكان تلك المنطقة الذين بعثوا إليه احد زعمائهم يعرض عليه ذلك الامر[٤]. ولما عارض عبد الله بن احمد ذلك ثار عليه (محمد بن خليفة) مما اضطر (عبد الله بن احمد) ان يستدعي قبيلة (آل مرة) من بر الاحساء الموالية له للتدخل لنصرته ، فدخلت البحرين وعاثت في البلاد فسادا. ولما كان الموقف في البحرين قد اخذ بالتدهور رأى (عبد الله بن ثنيان) انتهاز الفرصة لتصفية بعض الجيوب التي مازالت تخضع للعتوب على ساحل الاحساء ، فراح يرسل قواته لاحتلال ميناء (العقير) وهكذا. سيطر ابن ثنيان على الاحساء بأكملها، ولكنه في العام التالي ١٨٤٣م وفي الشهر فبراير بالذات ، راح يواجه تحديا

---

(١) نوار المصدر السابق ، ص ٢٣٣- ٢٣٤.

(٢) Kelly , Op, Cit . p. 342.

انظر ايضا كيلي ، الحدود الشرقية للجزيرة العربية، ص ١٠٤.

(٣) فلبي ، المصدر السابق ، ص٢١٦.

(٤) I.O.R. C. 248 C. Op. Cit. p. 224.

Selection , Vol . XXIV. Utoobees, Op. Cit. p. 390.

خطيرا ، اذا تمكن (فيصل بن تركي) من الافلات من معتقلة في القاهرة وعاد الى نجد، واستطاع ان يخلع ابن ثنيان ويستعيد عرشه مرة ثانية[1] .

وهكذا نستطيع ان نتخلص من عرضنا لهذا الفصل ان الاحساء كانت نافذة تطل منها السلطات التي تسيطر على نجد، على بقية بلدان الخليج ، فالسلطات المصرية حاولت منها التوسع نحو الساحل المهادن والبريمي وعمان ، والبحرين ، وفكر خالد بن سعود ان ينطلق منها نحو بلدان الخليج ، وحاول عبد الله بن ثنيان السيطرة عليها لينطلق منها ايضا متوسعا في الخليج ، ولكن كل تلك المحاولات كانت تجابه بالنفوذ البريطاني في الخليج ، الذي كان يقف بالمرصاد لمثل تلك المحاولات .

---

(١) فلبي المصدر السابق ، ص ٢١٧.

الفصل الثالث
الاحساء ابان الحكم السعودي
المباشر ١٨٤٣ ـ ١٨٧١

ويشمل :
- عودة فيصل واحتلاله للاحساء عام ١٨٤٣.
- محاولات السعوديين لاخضاع قبائل الاحساء.
- علاقة السعوديين في الاحساء بساحل عمان والبريمي ومسقط حتى سنة ١٨٧١.
- علاقة السعوديين في الاحساء بالبحرين ما بين ١٨٤٣- ١٨٧١.
- علاقة السعوديين ببريطانيا نتيجة لاتخاذهم الاحساء قاعدة توسيعية ما بين ١٨٤٣- ١٨٧١.
- الاحساء مسرحا للحرب الاهلية السعودية واثر ذلك على علاقة السعوديين مع كل من عمان ، والبريمي ، والبحرين ١٨٦٥- ١٨٧١.

عودة فيصل للحكم عام ١٨٤٣:

انسحبت القوات المصرية من الاحساء عام ١٨٤٠ ثم تابعت انسحابها من نجد مخلفة وراءها (خالد بن سعود) اميرا، وعلى الرغم من أنه كان لا يملك القوة الكافية لتدعيم حكمه ، الا اننا نراه في اكتوبر عام ١٨٤١م يزحف الى الاحياء في عدد من اتباعه ومن هناك راح يعد حملة لإرسالها الى البريمي لا خضاعها لنفوذه، وقبل أن يخرج مشروعه ذاك الى حيز التنفيذ، واجه معارضة صريحة من السلطات البريطانية في الخليج ، إذ أرسل المقيم البريطاني اليه احد ضباطه (الملازم جوب) ليحذره من القيام بأي عمل ضد بلدان الساحل المرتبطة بمعاهدات مع الحكومة البريطانية، ولقد كان لتلك المعارضة اكبر الاثر في ني (خالد بن سعود) عن مجرد متابعة التفكير بارسال تلك الحملة[١].

وفي ديسمبر من عام ١٨٤١ كان قد اطيح (بخالد بن سعود) من قبل احد امراء البيت السعودي ، وكان ذلك هو (عبد الله بن ثنيان) الذي كان ينقم على خالد ويتهمه بالخضوع للمصريين، ولم يستطع خالد المقاومة بل سارع الى الفرار صوب الاحساء ، واستقر فيها محاولا اتخاذها مقرا لمقاومة (عبد الله) الذي كانت بلدان نجد تسارع في الانضمام إليه مما اسقط في يد خالد، فهرب الى الدمام ومنها الى الكويت ، واخيرا استقر بمكة [٢] .

وقبل أن يتخلى خالد بن سعود نهائيا عن الحكم واثناء إلتجائه للدمام طلب من شيخ قلعة الدمام (مبارك بن عبد الله بن احمد) المساعدة فوعده خيرا وارسله الى والده امير البحرين الذي كان يقيم في خور حسان على الساحل قطر ، ولقد زاره خالد في ابريل عام ١٨٤٢ وعرض عليه الوضع، وطلب منه المساعدة ، فأوعز شيخ البحرين الى ابنه مبارك بالقيام ببعض الغارات على بعض موانئ ساحل (كالعقير) بأسم (خالد بن سعود)[٣] .

وفي اعتقادنا ان شيخ البحرين كان يرى في قضية خالد ورقة رابحة في يده يستطيع بواسطتها السيطرة على بعض سواحل الاحساء الهامة بالنسبة لتدعيم وجود ابنه (مبارك) على ذلك الساحل، للحد من أطماع حفيد أخيه الشيخ (محمد بن خليفة) الذي كان يحاول بتشجيع من بني خالد ومن بريطانيا السيطرة على الساحل الاحسائي وذلك في أعقاب انسحاب القوات المصرية من ذلك الساحل. اذ كان وقد وصل الى البحرين عام ١٨٤٠م احد شيوخ بني خالد يعرض على (محمد بن خليفة) تنصيب نفسه حاكما على تلك المنطقة ، ولقد لاقى ذلك الطلب هوى في نفس (محمد بن خليفة) ولكن شيخ البحرين (عبد الله بن احمد) عارض تلك الفكرة يومها ، مما كان سببا في قيام نزاع عنيف وطويل بين الشيخ وبين محمد بن خليفة الذي استطاع في نهاية المطاف التغلب على عم أبيه وطرده من البحرين عام ١٨٤٣م[٤].

---

(١) لوريمر ، دليل الخليج ، ج٣، ص ١٤٤٢.
(٢) الانصاري ، تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء ، ج ١ ، ص ١٥٥.
(٣) لوريمر ، المصدر السابق، ج٣، ص ١٤٤٢.
(٤) Selection from the Records of Bombay Government , Vol. XXIV

ولكن (عبد الله بن ثنيان) كان اسرع من أن يتيح لأعدائه احتلال سواحل الاحساء اذ سارع الى تعيين (عمر بن عفيصان) واليا على الاحساء ، فاستطاع هذا أن يضبطها وأن يسير جيشا لمقاومة مبارك بن عبد الله امير قلعة الدمام الذي اثر الانسحاب قبل وصول جيش ابن ثنيان(١) .

وقد اخذ ابن ثنيان بمجرد استيلائه على الاحساء في التطلع الى التوسع في بلدان الخليج ، فبدأ على الفور يرسل الكتب الى شيوخ امارات الساحل الغربي للخليج العربي، ويدعوهم الى تأييد ومناصرة القائد الذي سيرسله الى البريمي وبلدان الساحل، وكان قد عقد العزم على ارسال (سعد بن مطلق المطيري) الى تلك الجهات ، ولكن (ابن ثنيان) واجه موقفا صلبا من بريطانيا، اذ ذهب الكولونيل (روبرتسون) المقيم البريطاني في الخليج بنفسه الى تلك الامارات، وزار شيوخها زيارة عاجلة وطلب اليهم أن يطلعوه على الكتب التي وجهها اليهم امير الوهابيين، ولقد اعطوه اياها الا شيخ (ابو ظبي) الذي رفض ذلك الطلب وانكر حق بريطانيا في المطالبة بذلك الكتاب ، وادعى أن من حقه وحدة الاحتفاض به . وراح (روبرتسون) يرسل الى امير الوهابيين رسالة يحتج فيها على مخططاته التوسعية في الخليج وأوضح له بأن بريطانيا لن تقف من تلك المخططات مكتوفة الايدي، ولفت نظرة الى العمل الرادع الذي قامت به ضد القواسم عام ١٨١٩، وأكد له أن عودة هؤلاء الشيوخ الى اعتناق المبادئ الوهابية ، سيشجعهم على العودة الى ممارسة القرصنة وتعكير صفو الامن في الخليج ، وهذا ما لا ترضاه بريطانيا. وكان حكم (ابن ثنيان) قد بدأ يواجه صعوبات في الاحساء بالذات ، لأن سكان منطقة القطيف بدأوا يتذمرون من بعض الاعمال التي يرتكبها ضدهم، ولكن الستار كان قد اسدل سريعا على سياسته التوسعية حين عاد فيصل بن تركي من منفاه في مصر وتسلم الحكم في أوائل عام ١٨٤٣(٢) . وقد اختلف الباحثون في عودة فيصل الى الحكم ، فلقد ذهب بعضهم ـ وعلى راسهم ابن بشر المؤرخ النجدي الوهابي ـ الى ان فيصل تمكن من الهرب من سجنه دون علم سلطات القاهرة ، وراح يصف فراره حتى وصل الى جبل شمر حيث لقي الترحيب والاكرام من صديقه القديم شيخ الجبل (عبد الله بن رشيد) الذي كان فيصل قد عينه اميرا على حائل تقديرا لجهوده التي قدمها لفيصل يوم عاد من الاحساء واسترجع عرش أبيه الضائع سنة ١٨٤٣(٣) . ولقد ايد تلك الرواية (حافظ وهبة) في كتابه جزيرة العرب في القرن العشرين، ولكنه جعل ذلك الفرار بعلم رجالات السلطة في مصر، إذ يقول : (. . . تمكن الامام فيصل بن تركي من الفرار من مصر مرة ثانية ، ويقال انه تمكن من ذلك بمساعدة عباس باشا الاول، فإنه كان معجبا به وبعقله . . .)(٤) ، وهناك من يقول بأن فيصل كان قد اطلق سراحه من مصر ليعود الى حكم نجد

Uttobees , Op. Cit. p. 390 FF.

(١) ابن بشر ، عنوان المجد في تاريخ نجد ، ج٢، ص ٩٧.

(٢) جمال زكريا قاسم ، الخليج العربي (١٨٤٠ـ ١٩١٤) ص ٧٥ـ ٧٦.

(٣) ابن بشر ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٩٩. انظر ايضا ، الانصاري ، تحفة المستفيد ، ج١، ص١٥٦. وعبد الله فلبي ، نجد والدعوة السلفية ، ص٢١٧.

(٤) حافظ وهبة ، جزيرة العرب في القرن العشرين ، ص٢٣٤.

برضى محمد علي وعلمه [١]. وهناك رواية اخرى تقول بأن عودة فيصل للحكم كانت بتأثير من المقيم البريطاني في الخليج الكابتن (هنل) الذي بعث رسالة الى محمد علي يرجوه فيها الافراج عن فيصل خاصة وان حملة (خورشيد باشا) التي وجهت ضده قد انتهت[٢]. وامام هذه الروايات المختلفة يقف الباحث متأملا، يحاول جهده الوصول الى الحقيقة وليس لديه الدليل القاطع فلا يجد امامه الا التحليل عسى أن يوصله نقده وتحليله واجتهاده الى اقرب رواية للحقيقة التاريخية أو إالى استنتاجها بنفسه.

وفي اعتقادنا ان قصة هرب فيصل كما اوردها ابن بشر ، غير مقبولة بحذافيرها اذ كان من الصعب إفلات (فيصل) ورفقائه من سجن محمد علي، ووصولهم الى نجد دون علم السلطات المصرية، ودون محاولتها القاء القبض عليهم، اذ ان هرب اي اسير يكتشف عادة بعد ساعت قليلة ويجري تعقبه، وخاصة اذا كانت الدولة تخشى فراره ، أو اذا كان فراره بدون علمها. واما الرواية الثانية فعلى الرغم من إمكانية حصولها، الا اننا نتسائل لماذا اقدم عباس باشا، ولي عهد مصر على أطلاق سراح (فيصل) ـ هل السبب أنه كان معجبا بعقله؟ كما اورد حافظ وهبة؟ إنني استبعد ذلك، وفي ظني أن وراء تهريبه هدف خاص يتصل بسياسة مصر الخارجية. واما الرواية الثالثة في تخالف الروايتين السابقتين في انها جعلت (محمد علي) يطلق سراح (فيصل) علنا، ليعود الى حكم نجد، على الرغم من إمكانية تصديقها إلا أنه لماذا لم يرسله في موكب رسمي، ولماذا جرى تهريبه بصورة سرية؟ واما عن الرواية الرابعة، والتي تجعل من تدخل المقيم البريطاني سببا في إطلاق سراح فيصل، فنحن نعلم أن الانجليز كانوا لا يرغبون في عبد الله بن ثنيان وربما توسطوا لعودة (فيصل) عسى ان يكون اكثر إعتدالا من ابن ثنيان ذلك الوهابي المتعصب الذي كان يسعى للتوسع في بلدان الخليج المرتبطة بمعاهدات مع بريطانيا. ولكن يبرز لنا هنا سؤال، هل كان محمد علي يوافق على اقتراح (هنل) ذلك المقيم الذي وقف ضد توسع المصرين في الخليج؟

من كل الروايات السابقة نخرج بأن فيصل كان قد عاد الى نجد عن طريق جبل شمر ، وكان قد جرى تهريبه من قبل السلطات المصرية التي كان (عبد الله بن ثنيان) يناصبها العداء ـ فموقفه من بقايا تلك القوات التي كانت مع خالد بن سعود معروف تماما. وربما كان لطلب بريطانيا وقع يوافق ما نفس محمد علي ، ولكنه لم يطلق سراحه علنا خوفا عليه من ابن ثنيان، وخوفا من ان يقف اهل نجد منه موقفا معرضا كما وقفوا من (خالد بن سعود) فيصفوه بالعمالة لمصر ولذا راحت السلطات المصرية تهربه، وربما كان (عباس باشا) هو الذي نفذ تلك العملية بصورة سرية ، ليشاع بين الناس أنه فر من سجنه ، ولكي يتمكن من أداء دورة في حكم نجد هذه المرة ولكن دون معارضة والي، مصر ، أو الدولة العثمانية ، فلقد بعث الى المقيم البريطاني في اكثر من مرة بعد عودته يؤكد تبعيتة للباب العالي، كما ان بلاطه لم يخل من موفدي والي مصر بعد ذلك[٣] .

ومهما يكن من امر فلقد عاد فيصل واستطاع إستقطاب أتباعه في نجد وفي يونيو عام ١٨٤٣كان يزحف نحو الرياض، حيث حاصر (ابن ثنيان) الذي اذعن بعد حصار لم يدم طويلا ، وعندما استقر له الوضع في نجد وخلال ايام كانت انظار (فيصل) تتجه نحو الاحساء، ذلك الاقليم الذي يحتفض له فيصل بذكريات الاعزاز والتقدير ، فمنه إنطلق عام ١٨٤٣ ليستعيد عرس ابيه، وليه التجأ حينما أطبقت عليه قوات (خالد بن سعود) و (اسماعيل آغا) عام ١٨٣٧. كما أن فيصل كان يعلم جيدا مكانة الاحساء

---

(١) امين الريحاني ، نجد وملحقاته ، ص٩٥.

(٢) Kelly, Op. Cit. p . 386 .

(٣) كيلي، الحدود الشرقية لشبه الجزيرة العربية ، ص١٢٣.

الاستراتيجية ، فهي المنطلق الوحيد له نحو عمان وبلاد ساحل الخليج العربي، بالاضافة الى خيراتها العميمة التي يمكن ان تساعده في إرسال قواعد إقتصاد مستقر يستطيع على أساسه بناء دولته الجديدة . قال ابن بشر: . . . ولما سكنت الفتنة، واستقامت الامور . . . أمر (فيصل) على عبد الله بن بتال المطيري في رجال معه ان يركب الى الاحساء اميرا[(١)]. ولقد خلق وجود السعوديين في الاحساء وضعا متميزا مكنهم من توسيع نفوذهم في بلدان الساحل الغربي للخليج العربي من عمان جنوبا الى الكويت شمالا، ولقد اوجد ذلك التوسع علاقات للسعوديين مع كل من تلك البلدان من جهة ومع بريطانيا الدولة العظمى التي كانت تسيطر على مياه الخليج العربي وترتبط مع معظم بلدانه بمعاهدات من جهة اخرى، لذا نرى (فيصل) يبعث الى المقيم البريطاني في الخليج برسالة يعرب فيها عن رغبته في توطيد علاقات بلاده الودية مع بريطانيا كما كانت على عهد أبيه[(٢)] . ولقد اجيب على رسالته تلك اجابة ودية ، وفي نفس الوقت كان فيصل قد أرسل رسولا من قبله الى شيوخ االساحل العماني، والى امام مسقط يعلمهم بأنه قد عقد العزم على تسيير حملة بقيادة (سعد بن مطلق) لارجاع تلك البلدان الى حظيرة الدولة السعودية وخاصة البريمي. وراح الشيوخ يستنجدون بالمقيم البريطاني في الخليج ، ليساعدهم ضد تدخل الامير السعودي في شؤونهم الداخلية، ولكن رد بريطانيا هذه المرة كان مخيبا لآمالهم، اذ أنها اعربت لهم عن أنها لا تستطيع التدخل في شؤون الجزيرة العربية الداخلية ، وان الخطر الداهم عليهم قد انتهى بانسحاب القوات المصرية من المنطقة عام ١٨٤٠[(٣)] .

هكذا بدأ الفيصل ان بإمكانه ان يبدا بارسال حملة الى البريمي فورا، ولكنه تلقى احتجاجا في نوفمبر عام ١٨٤٣ من السلطات البريطانية على مثل ذلك العمل الذي كانت تعتبره بريطانيا عاملا من عوامل بعث القرصنة على سواحل الخليج مما دعا (فيصل) الى تأجيل تلك الحملة بعض الوقت. وابان تلك الفترة راح فيصل يعالج شؤون الاحساء الداخلية، كما انه شغل بعض الوقت بإنهاء وجود العتوب في الدمام لاستكمال سيطرته على سواحل الاحساء[(٤)] . وفي اعتقادنا أنه من الافضل ان نعالج الوضع الداخلي الناشئ عن وجود السعوديين في الاحساء، وما ترتب على ذلك من علاقات مع بلدان ساحل عمان ، والبحرين، وبريطانيا كل على حدة ، ولنبدأ بالوضع الداخلي :

محاولات السعوديين إخضاع قبائل الاحساء :

كان (فيصل) يدرك تماما أن استتباب الامن في ربوع الاحساء هو من العوامل التي يجب ان تتوفر قبل ان يبدأ بأي محولات للتوسع وكانت مدينة (الهفوف) عاصمة الاقليم قد دانت له، الا انه كان يعلم ان بادية الاحساء مازالت تحت سيطرة قبائل البدو الاشداء خاصة العجمان وآل مرة والهواجر، الذين ما عرفوا الخضوع المطلق لنظام مدني. كما أن التزامهم الفعلي باحترام سيادة القانون كان ما زال على موضع شك. لذا نرى فيصل يخرج في اوائل عام ١٨٤٤ الى الاحساء بجيوشه غازيا لقبائلها، فأغار على (المناصير) و (بني هاجر) و (آل مرة) واعمل في تلك القبائل قتلا وسبيا، كما انه جردهم من اموالهم[(٥)].

---

(١) ابن بشر ، المصدر السابق، ج٢، ص١٠٢.

(٢) Selection from the records of Bombay Government , Vol. XXIV, Wahabees , Op, Cit. p. 454.

(٣) Selection from the records of Bombay Government , Historical sketch about Wahabees , Op , Cit , p. 454.

(٤) Ibid, p, 455.

(٥) الانصاري ، المصدر السابق ، ج١، ص١٥٧.

كان هذا العمل في ظني عبارة عن اعلان عن سياسة (فيصل) الحازمة تجاه تلك القبائل ودرسا لمن تسول له نفسه عدم إطاعة قوانين الدولة .

ثم انه انطلق بعد ذلك الى حصن الدمام الذي كان لا يزال تحت سلطة (مبارك) ابن شيخ البحرين الاسبق ، فحاصره الامير السعودي الى ان استسلم من فيه بعد اثني عشر يوما ، فعين فيه حامية مرابطة وقفل عائدا الى (الهفوف) حيث وفد عليه هناك رؤساء القبائل ، وبعض شيوخ ساحل عمان وبايعوه. ورأى (فيصل) ان من الضروري تعيين وال قدير لهذا الاقليم، فعزل ابن بتال وعين (احمد السديري) اميرا على الاقليم قبل عودته الى الرياض[1].

ولكن فيصل ما كان ليستريح من عناء مقارعة قبائل البادية في الاحساء، حتى وصلت اليه اخبار الاحساء، المقلقة من جديد والتي تتلخص في أن (فلاح بن حثيلين) زعيم قبيلة العجمان[2] تعرض لقافلة من الحجاج في صحراء الدهناء وسلبها اموالها وزادها فهلك كثير ممن كان في تلك القافلة من حجاج الاحساء والبحرين وفارس ، فاهتم (فيصل) بالامر كثيرا وتتبع (فلاح) حت ظفر به عام ١٨٤٦م فارسله الى الاحساء مكبلا بالاغلال حيث طيف به في اسواق لهفوف ثم ضربت عنقه[3].

وفي ظني ان قتل زعيم العجمان وان كان قد ارهب زعماء البدو الآخرين وساعد في استقرار الامن الى حين ، إلا انه كان قد احدث جرحا مؤلما في قلوب العجمان ، مما دفعهم الى محاولة الانتقام مرة تلو الاخرى من السعوديين في عهد (فيصل) وفي عهد ابنائه من بعده ، بل جعلهم يلعبون دورا بارزا في إذكاء روح الفتنة بين ابنائه، وذلك إبان الحرب الاهلية السعودية التي نشبت بعد موت فيصل، إذ راح العجمان ينظمون الى (سعود ابن فيصل) الذي خرج على اخيه (عبد الله) ثائرا مما كان له اوخم النتائج على البيت السعودي الذي عانى من تلك الفتنة ردحا من الزمن، وخسر الاحساء، بأكملها يوم قامت الدولة العثمانية تناصر احد الاخوين ضد الآخر عام ١٨٧١م ، فاحتلت الاحساء واستقرت فيها[4] .

لم يكن العجمان وحدهم من اعراب بادية الاحساء، قد شقوا عصا الطاعة على امير الوهابيين ، فهناك (بني مرة) الذين لا يقلون بأسا عن العجمان والذين يمتون الى العجمان بصلة النسب والمصاهرة والجوار ، وكان هؤلاء لا يتورعون بين الفينة والاخرى عن القيام باعمال النهب والتخريب ضد الدولة السعودية ومصالحها مما اضطر (فيصل) الى ان يقوم بجولة لاخضاعهم في عام ١٨٥١. وقد استطاع ان يحقق بعض النجاح في مهمته بل اعتبر (فيصل) اول امير يستطيع اخضاع (آل مرة) الاقوياء المغامرين[5] .

---

(١) الانصاري ، المصدر السابق ، ج١، ص١٥٧.
انظر ايضا ابن بشر ، ج٢، ص١١٠.
(٢) العجمان: ينتسبون الى ماذكر بن يام بن اصبا من همدان وهي بطن من قحطان، ولقبوا بالعجمان نسبة الى احد اجدادهم الذي كان في لسانه عجمة (اي لثغة) ، وقد اطلق عليه ليم (عجيم) فنسبوا اليه، وواحدهم عجمي والجمع عجمان . . . وكانت مساكنهم اول الامر في نجران ، ثم ارتحلوا الى نجد حيث استفحل امرهم عرفوا بشدة البأس والشجاعة، وفي ايام الامام تركي بن عبد الله والد الامام فيصل علت مكانتهم لانهم اصهروا للامام تركي وكانوا اخوال ابنه (جلوي) وقد جمعهم الامام تركي تحت زعامة رئيس واحد هو فلاح بن حثيلين ، بذل لهم العطاء وانزلهم في ديار بني خالد (الاحساء) فصارت لهم بعد ذلك شوكة عظيمة وعلا ارهم واخذت القبائل ترهبهم .
انظر : خزعل ، تاريخ الكويت السياسي ، ج١، ص١٢٢ وقد اخذنا بعض هذه المعلومات ايضا من السيد سعود الجمران العجمي وانظر ايضا ابراهيم بن صالح بن عيسى: عقد الدر ص٢٥.
(٣) خزعل ، نفص المصدر ، ص١٢٢.
انظر ايضا ، الانصاري ، المصدر السابق ، ص١٥٧.
(٤) جمال زكريا قاسم ، المصدر السابق ، ص١٧٨.
(٥) لوريمر، المصدر السابق ، ج٣، ص١٤٤٣.

ولكننا نجده في شتاء العام التالي ١٨٥٢ يغادر نجدا مع ابنه (عبد الله) الى الاحساء لتأديب قبائل (آل مرة) و (مطير) الذين كانوا قد تآمروا على قافلة كانت تعبر اقليم الاحساء بين (الهفوف) و (العقير)، فقسم (فيصل) جيشه الى قسمين، إتجه هو بقسم الى الشمال حيث اغار على قبيلة (مطير)، كما ان ابنه (عبد الله) قد استطاع إلحاق الهزيمة بآل مرة . ولما علم فيصل بان (المناصير) (وبني خالد) (وبني نعيم القطرية) كان لهم ضلع في سلب تلك القافلة فقد امر ابنه (عبد الله) بغزوهم فقام بأداء المهمة وألحق بهم خسائر فادحة في منطقة (سلوى)[١]. وفي اعتقادنا أن فيصل كان يقوم بتلك الغارات ليؤكد لقبائل البادية يقظته وقوته من ناحية ، وليدخل الى نفوس سكان المدن ورجال التجارة والحجاج والمسافرين الامن والطمأنينة من جهة أخرى.

مرت سنوات قليلة كانت الاحساء ابانها تنعم بالسلام ، وكان السعوديون يوجهون جهودهم للتوسع في ساحل عمان ، حينما قام العجمان في مارس ١٨٦٠بإعتداء على إبل العائلة السعودية في مراعيها في اقليم الاحساء مما اثار سخط (فيصل) عليهم من جديد، بعد أن كان قد اقر زعيمهم الجديد (راكان) ابن زعيمهم السابق الذي اعدم في الهفوف قبل سنوات ، وكان (راكان) قد اخذ على نفسه عهدا امام فيصل بان يحافظ على الامن ويحترم القانون . كانت فعلة العجمان تحمل معنى التمرد والثورة ، فجهز امير الوهابيين ابنه (عبد الله) بجيش قوي وامره بأن يهاجمهم ويجبرهم على الطاعة وإلتزام النظام[٢] ، وسارت جيوش السعوديين الى ان لحقت بهم (الوفرة) القريبة من الكويت فهاجمتهم واضطرت الى الانسحاب شمالا، وتتبعتهم حيث وجدت بعض اعرابهم معسكرا قرب آبار (الصبيحية) جنوب الكويت ، فالحقت بهم الهزيمة هناك، وكان (راكان بن فلاح بن حيثلين) زعيمهم يعسكر في جمع من اتباعه في منطقة (ملح) القريبة فلما علم بما جرى لقومه اخذ يعد العدة للانتقام، ولكن جيش الوهابيين عاجلة فدارت معركة حامية الوطيس في (نيسان عام ١٨٦٠) واستبسل الطرفان في سبيل تحقيق النصر ، وكان الغلبة كانت للسعوديين، فاحتل (عبد الله بن فيصل) معسكرا لهم في الجهراء قرب الكويت واخذ يوزع الغنائم والاسلاب بين جنده[٣] . واما العجمان فقد لاذوا بالفرار والتجأ زعيمهم ومن تبقى منهم الى الكويت ، حيث نزلوا في حمى شيخها آنذاك (الشيخ صباح الثاني) بعد ان كانوا قد تكبدوا من الخسائر حوالي (٧٠٠) قتيل. وكان عبد الله يريد القضاء المبرم على العجمان ، فارسل احد رسله الى شيخ الكويت يطلب منه إخراجهم من الكويت، ولقد اساء ذلك الرسول التعبير في اداء رسالته، واعتبر شيخ الكويت ما قاله منافيا للأدب ، ورفض اخراج العجمان الذين نزلوا في بلاده وطلبوا الحماية منه . بل راح شيخ الكويت يعلن للرعايا السعوديين الموجودين في الكويت، أن بامكانهم مغادرة الكويت والالتحاق بالامير عبد الله اذا ارادوا. ولما علم الامير السعودي بذلك اسف لما بدر من رسوله ، وراح يرسل مبعوثا آخر ليعتذر عما بدا من الاول، وتبادل الطرفان بعدها رسل الصداقة والسلام ، وقبل أن يرتحل القائد السعودي من (الجهراء) وصلته الوفود مهنئة بانتصاره من متسلم البصرة ومن رئيس بلدة الزبير [٤].

وفي العام التالي تحالف العجمان مع قبائل المنتفق ، واخذوا يعبثون بالأمن ، ويقطعون طرق القوافل بين نجد والاحساء، فارسل (فيصل) من جديد ابنه (عبد الله) على رأس جيش كبير لقتالهم، واسرع جيش الوهابيين لمحاصرة العجمان في (الجهراء) ودارت هناك رحى معركة قاسية ومريرة، هزم فيها العجمان وأجبرتهم القوات السعودية على التراجع الى شاطئ البحر، الذي كان في حالة جزر، ولما عاد البحر بمده كانت القوات السعودية لازالت تضيق عليهم الخناق فغرق ، منهم عدد كبير يقدر بحوالي (١٥٠٠رجل) وسميت تلك المعركة بوقعة (الطبعة) وعاد عبد الله بن فيصل الى بلاده بعد أن ألحق هزيمة ساحقة بهم [٥] وهكذا كان فيصل قد استطاع ان يقر الامن في ربوع الاحساء بعد ان استطاع كبح جماح (بني مرة) الاشداء ، وغيرهم من عربان بادية الاحساء وخاصة العجمان كما اسلفنا.

---

(١) فلبي، المصدر السابق، ص٢٣٦.

(٢) Palgrave, Central and Eestern Arabia , Vol. II. P. 70.

(٣) فلبي، المصدر السابق ، ص٢٤٢.

(٤) خزعل ، المصدر السابق ، ج١، ص١٢١ـ ١٢٣.

(٥) الانصاري، المصدر السابق، ج١، ص١٦٠.

علاقة السعوديين في الاحساء ببلدان ساحل عمان وسلطنة مسقط :

ابان تلك الفترة لم يكن السعوديون في الاحساء متفرغين فقط لاخضاع القبائل في تلك البادية، بل كانت تشغلهم امور اخرى اكثر اهمية منها اتخاذ الاحساء قاعدة تنطلق منها جيوشهم ، نحو ساحل عمان والبريمي، ولقد بعث السعوديون من الاحساء باكثر من حملة لتأكيد سيادتهم على تلك المنطقة مما جرهم الى علاقات كانت في معظمها غير ودية مع سلطنة مسقط ومع الدولة البريطانية ، فرأيناها تقف ضد محاولة التوسع الذي عزم امير الوهابيين القيام بها عام ١٨٤٣. ولكن في عام ١٨٤٥ وبعد ان حقق بعض الاستقرار في الاحساء، كاخضاع (آل مرة) وغيرهم من عربان البادية، واحتلاله (للدمام) وتصفية العتوب من سواحل الاحساء، راح فيصل يرسل منها (سعد بن مطلق المطيري) في فبراير من ذلك العام على راس قوة تقدر بحوالي (٧٠٠) رجل الى البريمي[١] حيث استطاع استرجاع حصون الوهابيين التي قد استولى عليها (بنو نعيم). وكان الهدف الاول لوجود (سعد بن مطلق) في البريمي هو تحصيل الزكاة من بلدان تلك المنطقة وخاصة سلطنة مسقط، لهذا نجده يوجه رسائله على الفور الى (تويني) ابن (السيد سعيد) سلطان مسقط والذي كان يمارس مهمة الحكم نيابة عن ابيه المتغيب في زنجبار . ولقد طلب عامل الوهابيين مبلغا كبيرا من المال يقدر (بعشرين الف ريال مارياتريزا) وطلب مبلغ (خمسة آلاف ريال) من (عزان بن قيس) حاكم صحار ، وكان الطلب مشفوعا بالتهديد وسرعة الانجاز ، ولما كان السلطان الشرعي متغيبا عن البلاد، لذا ارسل (ثويني) يستشيره وطلب من (سعد بن مطلق) ان يمنحه مهلة لاخبار والده، ووافق المطيري في البداية الا ان صبره قد نفذ، فراح يهاجم ساحل الباطنة ناكثا بعهده. ولقد احتج (ثويني) على تلك الاعمال، ولكن رد القائد الوهابي كان شديد اللهجة، مما اضطر (ثويني) و (عزان بن قيس) الى الخضوع، فآثر السلامة وبادرا الى دفع الزكاة[٢] .

ولكن المقيم البريطاني في الخليج لم يقف موقف المتفرج من تلك الحملة فارسل الى الامير (فيصل) يحذره من نتائج السياسة التي يتبعها عامله على البريمي، وفي نفس الوقت بعث بتحذير مماثل الى (سعد) وطلب اليه ان يتريث وان يكف عن الاستمرار في تنفيذ مخططاته، حتى تصله الاوامر من سيده في الرياض. ولقد نجح المقيم البريطاني في كبح جماح (سعد) اذ ارسل بعض القطع الحربية البريطانية الى ساحل الباطنة لغرض عرض القوة. ولكنه ساعد في التوصل الى الصلح الذي دفعت مسقط وصحار بموجبه الزكاة [٣] .

وكان لسلوك (سعد) الشخصي ومعاملته السيئة لزعماء المنطقة اسوأ الاثر في نفوسهم مما جعلهم يتحدون ضده، وبدأوا عملهم بإثارة نقمة سيده عليه، اذ كان (سعد) قد جمع اموالا طائلة من الاحساء قبل مغادرته اياها ولم يبعث الى (فيصل) بتقرير عن تلك الاموال[٤] كما انه لم يتمكن من ارسال الاموال التي حصل عليها من مسقط، وصحار ، نتيجة لعدم توفر الامن في الطريق بين البريمي والاحساء، ولما علم (سعد) لأن سيدة بدأ يشك في اخلاصه وامانته عزم على مغادرة البريمي، وعين موعدا لرحيله لكي يشرح موقفه لسيده ولكنه فوجئ في ذلك اليوم بوصول وفد سعودي الى البريمي، يحمل اليه كتابا من الامير (فيصل) يثبته في عمله ويطلب اليه الاسراع بارسال اي مبلغ من المال متوفرة لديه، وبادر (سعد) بارسال النقود على الفور بواسطة الشيخ (صقر بن سلطان) شيخ القواسم الذي وضع سفينته تحت تصرفه لنقل الاموال الى الاحساء[٥] في نهاية عام ١٨٤٦م .

---

(١) منطقة البريمي: واحة تتألف من تسع قرى ، تقع في منطقة الظاهرة ويطلق هذا الاسم ايضا على اكبر القرى في الواحة. وتقع البريمي على بعد نحو ستين ميلا الى الجنوب الشرقي من مدينة ابو ظبي على ساحل الصلح البحري. عند الطرف الشمالي لجبل حفيت .
عمان والساحل الجنوبي للخليج الفارسي، ص١٩٩.

(٢) كيلي، المصدر السابق، ص١٠٦، ١٠٧.

(٣) Selection from the records of Bombay Government , Vol. XXIV Wahabbes,op. Cit . p. 457.

(٤) لوريمر ، المصدر السابق ، ج٣، ص١٦٥٩- ١٦٦٠.

(٥) Selection , Wahabees, Op , Cit . p. 458.

وفي اعتقادي ان فيصل كان يمر بأزمة مالية، خاصة ان آل خليفة في البحرين كانوا قد امتنعوا في هذه الفترة عن أداء زكاة بلادهم للأمير السعودي، وكان ذلك سببا دعا فيصل لتثبيت (ابن مطلق) في ولايته للبريمي حتى يتمكن فيصل من تدبير شؤون بلاده المالية. ولكن الامر لم يطل لسعد هناك اذ استدعي ليقدم تقريرا عن الفترة التي كان (ابن مطلق) يحكم فيها هناك نيابة عنهم، وعند مغامرة (سعد بن مطلق) البريمي ترك (محمد بن سيف العجاجي) نائبا عنه يتولى شؤون البريمي والمناطق المجاورة التي يمارس الوهابيون فيها نفوذهم. ولكن فيصل سارع بارسال حملة جديدة من الاحساء لتعزيز وجود الوهابيين هناك، وجعل على رأس تلك الحملة (عبد الله بن بطال المطيري) واخذ هذا القائد معه قاضي البريمي المعين من قبل فيصل (ناصر علي العريني) ولكن ظروف الاحساء الامنية كانت تتطلب وجود (عبدالله بن بطال) في ربوعها، فلم يطل به المقام هناك، اذ اصدر اليه فيصل اوامره، بالتوجه الى الاحساء ليتسلم قيادة جيوشها تحت امرة (احمد السديري) امير الاقليم(١).

عاد (ابن بطال) واصبح من الضروري تقوية وجود السعوديين في البريمي، فارسل فيصل حملة جديدة من الاحساء ايضا عام ١٨٤٨م بقيادة احد ابناء قرية منفوخة واسمه (عبد الرحمن بن ابراهيم) الذي غادر الاحساء برا الى البريمي، وكاد يهلك عطشا هو واتباعه لقلة الماء في الصحراء، مما اضطره الى ان يستنجد بشيخ البحرين الذي ارسل بعض سفنه فنقلتهم الى اقرب نقطة ساحلية الى البريمي، ولكن القائد الجديد لم يستطع أن يصلح الوضع المتردي في البريمي، الذي خلفه (سعد بن مطلق) وراءه، فلقد بدأ السكان يشعرون بضرورة الثورة على الوهابيين(٢).

وهنا يبدو لنا ان حملة (عبد الرحمن بن ابراهيم) هي اول حملة تخرج من الاحساء عن طريق البر، اذ كانت بريطانيا بلا شك تحاول التضييق على السعوديين في البريمي لأنهم كانوا يضغطون على حليفتها (سلطنة مسقط). وعلى الرغم من أن السلطات البريطانية لم تقف موقف العداء السافر من تحركات الوهابيين الا انها اعلنت في اكثر من مرة وفي رسائلها لفيصل انها لا تسمح له بالتدخل في شؤون بلدان الساحل الشرقي للجزيرة العربية المرتبطة معها بمعاهدات صداقة (٣) ولذا فان بريطانيا اخذت تراقب تحركات الوهابيين وتمنعهم من استعمال البحر، لان ذلك في عرفها سيبعث القرصنة من جديد، ولذلك نرى فيصل يوجه لتلك السلطات احتجاجاته على الحصار الذي تفرضه على اتباعه في البريمي، ونراه يطلب منها ان تسمح له بارسال الطعام والذخيرة لهم عبر البحر، ولكن بريطانيا، ترفض ذلك(٤) مما اضطر السعوديين في الاحساء لتسيير حملة عبر الصحراء وكادت تلك الحملة ان تهلك لولا مساعدة شيخ البحرين لها. وكان السبب الأول لعدم امكانية الاتصال بين الاحساء والبريمي عن طريق البر ليس الصحراء فقط بل كان عداء (بني ياس) سكان أبو ظبي للوهابيين وعدم مساعدتهم لهم هو من أهم الاسباب التي وقفت امام الوهابيين والاتصال بالبريمي برا(٥).

ولكن الامير الوهابي اراد ان يؤكد امكانية الغلب على الظروف التي تعوق انطلاق قواته من الاحساء عبر منطقة (الضفرة) الصحراوية الى البريمي وفي اكتوبر عام ١٨٤٨ غادرت الاحساء حملة جديدة الى البريمي عبر الصحراء وكان عدد افرادها يقدر بحوالي ألف وستمائة رجل تحت قيادة (سعد بن مطلق) ولكن (سعيد بن طحنون) أمير أبو ظبي كان يرصد تحركات تلك الحملة منذ اللحظة التي فيها الاحساء، وراح ينصب لها كمينا ويعد الترتيبات اللازمة للقضاء عليها. وهنا سارع الشيخ مكتوم شيخ (دبي) والشيخ (سلطان بن صقر) شيخ الشارقة وهما من اعوان الوهابيين الى ارسال رسول من قبلهما لتحذير ابن مطلق، ولكن ذلك المبعوث كان قد ضل طريقه، ووقعت القوات السعودية فريسة لقوات شيخ أبو ظبي، فتشتتت جموعها في الصحراء، وخسر السعوديون عددا كبيرا من رجالهم، كما أن من نجا منهم كان فريسة للعطش القاتل في الصحراء. وكانت تلك المعركة قد وقعت في منطقة (العاتكة) الواقعة غرب

---

(١) فلبي، نجد والدعوة السلفية ، ص٢٢٦.
(٢) كيلي ، المصدر السابق ، ص١٠٩.
(٣) كيلي، المصدر السابق، ص١١٥.
(٤) نفس المصدر ، ص١١٢.
(٥) المصدر نفسه ، ص١١٠.

البريمي، وسميت باسمها، واستطاع (سعد ابن مطلق) مع عدد من اتباعه الافلات من قوات بن طحنون، وراح يلتجئ الى (دبي) حيث لقي المساعدة والترحيب من شيخها، وغدرها الى الشاقة فرحب به وبأتباعه الشيخ (سلطان بن صقر) ، وقدم مساعداته ايضا، ومن هناك غادر الشارقة حاصر حصون البريمي[١] ولم تتمكن القوات الوهابية من السيطرة على البريمي والمناطق المجاورة مما اضطر الامير السعودي (فيصل بن تركي) الى الاستنجاد بشريف مكة (محمد بن عون) الذي كان يمثل رأس السلطة الروحية في الجزيرة العربية، والذي كان يمثل الدولة العثمانية من جهة، وعلى علاقات ودية مع السلطات المصرية من جهة ثانية. ولما كان فيصل يدفع لشريف مكة مبلغا من المال سنويا، ويعتمد على ما يحصله من زكاة البريمي، وعمان والبلدان المجاورة في دفع ما يترتب عليه للشريف، لذا اهتم شريف مكة بالموضوع، فارسل الى المقيم البريطاني في الخليج رسالة يطلب فيها مساعدة الوهابيين على تسلم حصون البريمي من (ابن طحنون)، وأرسل الشريف في نفس الوقت اخاه عليا الى (ابن طحنون) ليشرح له وجهة نظر الشريف، وعرج الشريف (علي) قبل عودته على (بوشهر) وسلم المقيم البريطاني رسالة بهذا الخصوص من اخيه (محمد بن عون) ولقد استطاع شريف مكة بمساعيه السلمية ان يعيد البريمي الى حظيرة الوهابيين[٢] ولكن عهد (سعد بن مطلق) هناك لم يدم طويلا، اذا استدعى في ربيع عام ١٨٥٠م ليؤدي حسابا عن الهزيمة التي لحقت به في (العاتكة) وفي الرياض اعفي من منصبه ، بل ان بعض الباحثين يقولون بأنه عذب حتى مات[٣] ولكن (ابن بطال) الذي خلفه سعد الى البريمي لم يستطع الثبات امام قوات (سعيد بن طحنون) الذي راح يحاصر حصون البريمي استسلم عندما تخلى (سلطان بن صقر) شيخ الشارقة عن مساعدته انضم الى (ابن طحنون)[٤].

وهكذا انتهت مرحلة من صارع السعوديين مع شيوخ وقبائل ساحل عمان وخاصة (سعيد بن طحنون) على واحة البريمي، لقد استعمل السعوديون كل قوتهم في سبيل الاحتفاظ بذلك المركز المتقدم لهم في اقليم عمان، وسيروا اليه حملات عدة، وكانت الاحساء هي القاعدة الوهابية التي تتحرك منها تلك الجيوش التي اثبتت ولو الى حين قدرة الوهابيين على الاحتفاظ بالسيادة على الساحل الشرقي للجزيرة العربية، ولو اسميا في بعض الاحيان، اذ كان الساحل من القطيف الى عمان بصورة أو بأخرى تابعا لهم[٥].

وكان فقدان البريمي يشكل خطرا على مشاريع فيصل التوسعية في بلدان الخليج مما دعاه الى ان يتحرك على رأس قوة وصل بها الى قطر حيث أدت بعض قبائلها، ولكن يبدوانه لم يعد الحملة لاخضاع بلدان ساحل عمان، فعاد واخذ يهدد باحتلال البحرين، التي سارعت الى طلب المساعدة من كل من (سعيد بن طحنون) ومن بريطانيا. وكان ابن طحنون قد سارع لنجدة العتوب الا انه وقف على مدى قوة جيوش فيصل المرابطة في الاحساء فراح يعرض على الامير السعودي الوساطة الانهاء مشكلتة مع البحرين. ولكن فيصل لم ينس ما فعله (ابن طحنون) بجيشه في معركة (العاتكة) وطلب منه ان ياتي بنفسه ليقدم الاعتذار أولا. ولقد كان (شيخ أبو ظبي) يخشى من ذلك الاجتماع ، الا انه قدم الى الاحساء

---

(١) Winder, R.B. : Saudi Arabia in Nineteenth Century , p. 179-F.
انظر ايضا ابن بشر ، ج٢ ، ص١١٨.
انظر ايضا : Selection from the records of Bombay Gov.
Vol. XXIV , Wahabees, Op, Cit . p. 459.

(٢) Winder , Op , Cit, p, 197-F.
انظر ايضا كيلي المصدر السابق ، ص١١٣.

(٣) Winder , op. Cit . p . 199.
انظر ايضا، كيلي، المصدر السابق ، ص١١٤.

(٤) كيلي، الحدود الشرقية لشبه الجزيرة العربية ، ص١١٤.

(٥) فلبي، المصدر السابق ، ص٢٢٦ .

بعد أن ضمن (احمد السديري) امير الاحساء ، حياته، وتوصل الطرفان الى صلح تعهد العتوب بموجبه بالعودة الى اداة الزكاة المترتبة عليهم[١] .

وكانت هناك احداث تشغل امير السعوديين عن محاولة استرجاع البريمي، واهم تلك الاحداث الثورة الداخلية التي حدثت في (القصيم) بزعامة عبد العزيز بن محمد، الذي كان يحظى بتأييد أشراف مكة، بالاضافة الى تمرد بعض عربان البادية، وكذلك امتناع آل خليفة عن اداء بلادهم الذي أشرنا اليه آنفا. ولكن في العام التالي ١٨٥١ كانت الامور قد هدأت ، وتم الصلح مع البحرين ، وسويت مشكلة القصيم واخضعت قبائل الاحساء ، ولذلك راح الامير السعودي في شهر يناير عام ١٨٥١ يرسل ابنه عبد الله على رأس قوة كبيرة باتجاه الجنوب من الاحساء ، ولقد وصل الى البريمي في الشهر التالي، وفور وصوله راح يوجه دعوة الى شيوخ الساحل للاجتماع به. وفي نفس الوقت كان قد وجه طلبه الى سلطنة مسقط بأن تبادر الى دفع الزكاة المتأخرة عليها، وطلب ايضا استسلام منطقة صحار الفورى للقوات الوهابية. ولكن بعد وساطة (سعيد بن طحنون) وافق (عبد الله) على الاكتفاء بأخذ زكاة سنوية تقدر باثني عشر الف ريال، وتعهد السيد (ثويني) ابن سلطان مسقط بدفع مبلغ اضافي يقدر بحوالي (٦٠) الف ريال مرة واحدة ، مقابل ان يضمن الامير الوهابي سلامة ارض السلطان. وربما كان للتحرك السريع الذي قام به المقيم البريطاني في الخليج الكولونيل (كمبول) اكبر الاثر في انهاء تهديد الوهابيين لاستقلال مسقط ووحدة اراضيها، اذ كان (كمبول) قد سارع بارسال بعض قطع الاسطول البريطاني للقيام بمظاهرة استعراض للقوى على ساحل الباطنة ، كما انه اسرع للحضور شخصيا الى الساحل، واستدعى الشيوخ ووقع معهم في عام ١٨٥٣ معاهدة السلم البحري الدائم التي خولت بريطانيا بموجبها الاشراف على ضمان استمرار السلام في المنطقة [٢].

وفي الفترة ما بين عودة الوهابيين للبريمي في عام ١٨٥١ وبين تمكنهم من تقوية نفوذهم هناك عام ١٨٥٤، كانت الأزمة قد تفجرت من جديد بين العتوب والوهابيين على سواحل الاحساء. ولما كان السعوديون قد اصبحوا يملكون قوة بحرية لا بأس بهافي تلك المياه، لذا راحوا يهددون باحتلال البحرين، ولكن بريطانيا وقفت موقفا صلبا من ذلك الامر ، فأومأت لفيصل بأنها لن تسمح له بالتوسع في بلدا عمان او في البحرين مهما كانت الاسباب التي تدعوه لذالك [٣] ولم يكن فيصل بجاهل لنوايا بريطانيا ومخططاتها الرامية الى حصر وجوده على ساحل الخليج في الاحساء فقط، لذا راح بستفسر منه في سبتمبر عام ١٨٥٤ عن اسباب تدخلها في شؤونه الخاصة والحيلولة بينه وبين ممارسته للسيطرة على بلدان سالح الخليج العربي التي يتمتع بها آباؤه من قبل. ولقد تأكد (فيصل) من موقف بريطانيا حينما رد عليه المقيم البريطاني بوجود أية سلطة تفصل بينها وبين شيوخ الدول التي اعتبرتهم دائما مستقلين، والذين لها معهم ارتباطات ومعاهدات ترجع الى اكثر من ثلاثين عاما[٤] .

وحاول فيصل بعد ذلك ـ بمساعدة عاملة على البريمي (احمد السديري) ان يثبت ان بامكانه فرض سلطته على جميع بلدان الساحل، ولكنه اصطدم ثانية بالسلطات البريطانية التي فوتت عليه الفرصة عام ١٨٥٥م . وقبيل وفاته في ديسمبر عام ١٨٦٥ كان عامله على البريمي (تركي السديري) ابن احمد السديري، يقوم بحملة على مدينة صور على الساحل في سلطنة مسقط مؤيدا بقبيلة (الجنبة) التي اعلنت الثورة على (ثويني) سلطان مسقط، وراح الموحدون (الوهابيون) يهاجمون المدينة في سبتمبر عام ١٨٦٥ مما اثار سخط الانكليز وخاصة ان احد الرعايا البريطانيين من سكان تلك المدينة كان قد قتل اثناء الغارة، فراح الانجليز يرسلون الى (فيصل) يطلبون دفع تعويضات عن الاضرار التي لحقت بأهل (صور). وكان المقيم البريطاني (لويس بيلي) قد بعث الى الامير السعودي بأنه سيقوم بضرب معقل الوهابيين في الاحساء اذا تأخر السعوديون عن دفع تلك التعويضات . ولكن ذلك التحذير وصل في وقت غير مناسب ، اذ كان (فيصل) على فراش المرض، ثم مات بعدها فتأخر رد السعوديين عليه. وابان تلك

---

(١) ابن بشر، المصدر السابق، ج٢، ص١٣٢.

(٢) سيد نوفل، الخليج العربي، او الحدود الشرقية للوطن العربي ، ص٤٤١- ٤١٢.

(٣) جمال زكريا قاسم ، المصدر السابق ، ص٦٧- ٧٧.

(٤) كيلي، المصدر السابق، ص١٢٤.

الفترة كانت مدافع الانجليز تضرب بلا هوادة القواعد التي اعتبرها الانجليز منطلقا للسعوديين في منطقة الخليج، اذ قام المركب البريطاني (هايفلاير) (Highflyer) بضرب (الدمام) و (القطيف) على سواحل الاحساء في الفترة ما بين يناير وفبراير من عام ١٨٦٦(١) . وفي ابان الفترة نفسها كان السلطان (ثويني) قد قتل على يد ابنه (سالم) الذي اتهم بأنه قام بذلك العمل بتحريض من عامل الوهابيين على البريمي تركي السديري، مما حدا بأحد افراد بيت البوسعيد وهو (عزان بن قيس) حاكم صحار الى ان يقوم بثورة ويستخلص الحكم في سلطنة مسقط، على الرغم من أن الموحدين حاولوا جهدهم مساعدة (سالم) لاستعادة عرشه الا انهم انشغلوا في الفتنة التي قادت الى الحرب الاهلية السعودية خسر الوهابيين مركزهم في البريمي، وحاول امامهم الجديد (عبد الله بن فيصل) ان يعد العدة في الاحساء لاسترجاع البريمي، الا ان اقليم الاحساء الذي كان يعول عليه كقاعدة لانطلاق صوب عمان ، كان قد سقط في يد اخيه (سعود) عام ١٨٧٠. وهكذا اضاع ابناء الامير السعودي جهود ابيهم المتواصلة للاحتفاظ بالبريمي كمركز لانطلاق الوهابيين نحو عمان(٢).

وفي اعتقادنا ان هناك عدة اسباب مكنت الامام (فيصل) من تثبيت اقدامه في منطقة الخليج اهمها سيطرته المطلقة على منطقة الاحساء وتغلبه على قبائلها ولو بالقوة ، ثم موت معظم منافسيه في ابان هذه الفترة. ففي عام ١٨٥٥ مات كل من (سعيد بن طحنون) و (محمد بن عون) شريف مكة ، وفي العام التالي مات السيد (سعيد) سلطان مسقط، مما ادى الى انقسام سلطنته بين مسقط وزنجبار وكان هذا بلا شك من أهم العوامل التي اضعفت عمان فقوي بذلك مركز الوهابيين في البريمي(٣).

وهكذا نكون قد عرضنا لعلاقة الوهابيين مع بلدان ساحل عمان وسلطنة مسقط، بناء على انطلاق السعوديين من اقليم الاحساء للتوسع في تلك المنطقة . كما ألمحنا الى موقف بريطانيا من ذلك التوسع معارضتها له. ولكن وجود الوهابيين في الاحساء لم يجرهم الى توسيع نفوذهم في اقليم عمان فقط بل كانت لهم علاقات مع جيرانهم العتوب الذين تربطهم بالاحساء علاقات الجوار وعلاقات النزاع على بعض الاجزاء من ساحل الاحساء كمنطقة الدمام بالذات ، وبعض المدن والموانئ التي كان العتوب يسيطرون عليها احيانا كالقطيف والعقير ولذا نجد انفسنا مضطرين لتوضيح تلك العلاقات في الفترة التي كان السعوديون فيها اسياد الاحساء من عام ١٨٤٣ـ ١٨٧١.

علاقة السعوديين في الاحساء بالبحرين (١٨٤٣ـ ١٨٧١)
ومقاومة بريطانيا لمحاولة السعوديين التوسع نحو البحرين:

عاد (فيصل بن تركي) من منفاه في مصر في فبراير عام ١٨٤٣، وفي تلك الفترة راح يؤكد سلطانه على اقليم الاحساء كما تقدم ، ولم يمض شهر على عودة فيصل لحكم الاحساء حتى كان (عبد الله بن احمد) شيخ البحرين قد طرد من الحكم أبعد عن البحرين الى الاحساء، حيث كان ابنه (مبارك) يمتلك قلعة الدمام منذ زمن بعيد في أعقاب استيلاء العتوب عليها من (بشر ابن رحمة بن جابر) حوالي عام ١٨٣٣. وكان طر د شيخ البحرين بزعامة حفيد أخيه الشيخ (محمد بن خليفة) الذي كان يطمع في اقامة نفسه حاكما لاقليم الاحساء في أعقاب انسحاب القوات المصرية منه عام ١٨٤٠. ولقد تلقى دعوة من بني خالد بهذا الخصوص، ولكن شيخ البحرين آنذاك (عبد الله بن احمد) رفض ذلك، مما اثار نقمة الشيخ (محمد) الذي استطاع ان يحصل على تأييد بريطانيا له ضد شيخ البحرين الذي كان على علاقات سيئة مع الحكومة البريطانية بسبب خضوعه للقوات المصرية، فراحت حينها اللجنة السرية لمديري شركة

---

(١) عمان والساحل الجنوبي للخليج الفارسي، ص٣٤.
انظر ايضا لوريمر ، ج٣، ص١٦٦٢.
(٢) عمان والساحل الجنوبي للخليج الفارسي ، ص٢٠٤.
(٣) كيلي، المصدر السابق، ص١٢٦.

الهند الشرقية تبحث في امكانية استبداله بشيخ آخر ، ولذلك وجدت في (محمد بن خليفة) خير من تولى ذلك المنصب ، ولكن الشيخ (عبد الله) كان قد استطاع ايقاع الهزيمة بقوات حفيد اخيه الذي حاول القيام بانقلاب عليه في يونيو عام ١٨٤٢ ، وهرب (محمد بن خليفة) على اثر تلك المحاولة الى الاحساء ومنها الى الرياض، وهنا قام شيخ البحرين بمحاصرة سواحل الاحساء مما اضطر الوهابيين الى التحالف مع (محمد بن خليفة) الذي استطاع استمالة (عيسى بن طريف) الطامع في حكم البحرين (وبشر بن رحمة بن جابر) الذي لازال يحلم بإستعادة الدمام الى جانبه، مما كان له اكبر الاثر القضاء على مقاومة عمه الذي اضطر الى الاتجاء الى ابنه (مبارك) في الدمام، ومن هناك راح عبد الله بن احمد يدير الصراع ضد مغتصب امارته . ولما كان (فيصل) يحاول جاهدا اقرار النظام في اقليم الاحساء بعد عودته من مصر ، واستطاع ان يحقق بعض النجاح في التغلب على بعض قبائل الاحساء امثال العجمان، آل مرة ، وبني هاجر ، لذلك اراد ان يصف وجود العتوب من الدمام وبعض المناطق التي يسيطرون عليها على ذلك الساحل، واستغل الخلافات بين زعماء العتوب وراح يدعي ان له الحق في التدخل لانهاء تلك الخلافات التي تؤثر على سياسة بلاده ، وخاصة ان (محمد بن خليفة) كان يحاصر قلعة الدمام ويمنع مراكب أبناء الشيخ السابق من اداء مهماتها خارج ذلك الميناء. ولما كان انضمام الامير السعودي الى اي من الطرفين امرا مرغوبا فيه من قبل الطرفين ، لذا بدأ (فيصل) يمارس نفوذا قويا في جزر البحرين وملحقاتها على ساحل قطر .

ويبدو أن هدف الامير قد اصبح بعد ذلك استعادة البحرين وضمها الى الاحساء كما كانت زمن اجداده عام ١٨١٠، او على تقدير استعادة الزكاة التي كانت تدفعها في عهد ابيه تركي[١].

ولما رفض شيخ البحرين الاسبق تدخل (فيصل) في شؤون العتوب وراح يغادر الدمام الى الساحل الايراني يحاول تكوين حلف مع حكامها لاستعادة عرشه الضائع، وجد (فيصل) الفرصة مؤاتية لتحقيق هدفه الاول، فراح يطبق على الدمام في حصار قوي في مارس ١٨٤٤ استمر اسبوعين، استسلمت الدمام بعده دون قيد أو شرط، وغنم السعوديين منها غنائم جمة وبعد ذلك حصنها الامير السعودي، ورتب فيها حامية من مائة رجل ليكونوا على اهبة الاستعداد تحسبا لأي محاولة من آل خليفة لاسترجاعها[٢] . ولم تكن تخوفات (فيصل) في غير محلها، اذ كان (عبد الله بن احمد) قد اسرع اثناء حصار الدمام وغادر (بوشهر) متجها الى الدمام وحاول ارسال بعض المؤن للقوات المحاصرة في احد القوارب، ولكن ذلك القارب وقع في ايدي السعوديين، وجرى على الفور تعقب للشيخ (عبد الله) الذي استطاع الفرار ووجد ملجأ له في الكويت ولكنه كان قد غادر الى القطيف في العام التالي، بعد أن أرسل احد أبنائه في مهمة ودية للامير الوهابي [٣] . وكان الدافع وراء تلك المهمة ان الامور بدأت تسير في طريق وعر بين شيخ البحرين الجديد وبين الوهابيين لان (محمد بن خليفة) بدأ يعرض ازدياد نفوذهم في بلاده، كما انه ادرك ان مساعدتهم له كانت لتحقيق هدفين لصالحهم اولهما، استعادة الدمام ، وثانيهما الحصول على الزكاة [٤] . ولذا راح (محمد بن خليفة) يعد العدة لمنع وقوع بلاده تحت سيطرة الوهابيين من ناحية ، ورفض دفع الزكاة المتفق عليها من ناحية ، اخرى ، وكان (محمد بن خليفة) قد اعتمد على

---

(١) Selections from the records of Bombay Government , Vol . XXIV
Sketch about the " Uttobee tribe " p. 400.

(٢) فلبي المصدر السابق ، ص٢٢٤.

(٣) Selections from the records of Bombay Government , Vol . XXIV .
Uttobees , Op, Cit. p. 406.

(٤) لوريمر، ج٣، ص١٣٣٠.
انظر ايضا. Selections, Wahabees, Op Cit., p. 455.

احد القراصنة وهو احد شيوخ بني خالد من العماير ويسمى (حمود بن مجزل) . وفعلا قام هذا باعتداء على سفينة تابعة لاحد انصار (عبد الله بن احمد) شيخ البحرين الاسبق، واستطاع ان يأسر السفينة في ميناء القطيف ويأخذها الى جزيرة (غونا) (gunna)، وبعد ان قام بسلب

السفينة افرج عن بحارتها، ولكن بريطانيا التي كانت تدرك خطورة مثل هذا العمل سارعت الى ارسال مساعد المقيم البريطاني في الخليج الكابتن (كمبول) الذي استطاع ان يفرج عن السفينة وان يجبر (ابن مجذل) على الاستلام في مايو عام ١٨٤٥[١].

وفي اكتوبر من العام نفسه بعث (عبد الله بن احمد) الى المقيم البريطاني يخبره بانه سيغادر مقره على ساحل الخليج للانضمام الى الحاكم الوهابي للقطيف للرد على الاعمال التي كان يقوم بها (حمود بن مجزل) وخشي (محمد ابن خليفة) ان يكون (عبد الله بن سعيد) الحاكم الوهابي للقطيف والذي عرف عنه بأنه كان يخطط سرا لاحتلال البحرين، ان يكون قد اتصل فعلا بالشيخ (عبد الله بن احمد) للقيام بأعمال عدوانية ضده. لذلك راح يحاصر سواحل الاحساء، كما انه عين (حمود بن مجزل) مساعدا له، وكان هذا اجراء غير حكيم، اذ أثار الوهابيين ضده وبدأوا فعلا يعملون على انهاء حكمه[٢].

استمر حصار العتوب لموانئ القطيف العقير يرسل الى المعتمد البريطاني برسالة يخبره فيها بانه اذا لم يدخل الاجراءات الكفيلة بالحد من تعديات (حمود بن مجزل) فانه سيتدخل في شؤون البحرين، بل انه طلب في رسالته من المقيم البريطاني ايضا ان يعمل جهده لاقناع (محمد بن خليفة) بطرد شيخ العماير من مركزه كمساعدة له، وان يرجع السفينة والقوارب التي كان قد استولى عليها، وهدد حاكم القطيف اذا لم يتم ذلك فانه سيترك الحرية لقبائل الاحساء وخاصة بني هاجر لمهاجمة البحرين وارتكاب القرصنة في المنطقة ضد مصالحها. وكان لهذا التهديد صداه، فأجابت السلطات البريطانية الحاكم الوهابي اجابة ودية وهدأت من غضبه، وتم رفع الحصار مؤقتا عن سواحل الاحساء ولكن (محمد بن خليفة) عاد وفرضه مرة اخرى عندما علم بأن عمه الكبير عاد الى منطقة الدمام. وحاولت السلطات البريطانية السيطرة على الموقف ومنع انفجاره ، الا ان حربا عنيفة نشبت، تخلى خلالها (حمود بن مجزل) تحالفه مع (محمد بن خليفة) ، وانضم مع قبيلته من بني خالد الى الوهابيين[٣] .

ولكن نتائج تلك الحرب لم تكن حاسمة اذ تبادل النصر فيها كل من العتوب والوهابيين[٤] . ولما ادرك (محمد بن خليفة) تفوق الوهابيين وافق على ان يدفع لهم زكاة مقدارها اربعة آلاف ريال. وهكذا انتهى صراع طويل ومرير بين البحرين والوهابيين في الاحساء ووافق فيصل على عدم مساعدة (عبد الله ابن احمد) في محاولاته العمل ضد البحرين، ولكنه لم يتخل عن توفير الحماية له ، وقدم له ملجأ في الاحساء، وقد حاول الشيخ المطرود تكوين حلف من بعض الناقمين على (محمد بن خليفة) امثال (عيسى بن طريف) ولكن أعماله لم تكلل بالنجاح، كما ان الوهابيين لم يقدموا المساعدة له في تلك الاعمال[٥].

---

(١) Selections, Uttobees, p. 441.

(٢) Ibid , p. 412.

(٣) Ibid, P. 414-F.

(٤) لوريمر، المصدر السابق ، ج٣، ص١٣٣١.

(٥) Selections , Uttobees, Op. Cit . p. 416.

وساد الامن والسلام منطقة الاحساء حتى سنة ١٨٥٠ حين فكر محمد ابن خليفة في الامتناع عن أداء الزكاة ، مما جعل فيصل يعد العدة لاخضاع آل خليفة فرحل الى الاحساء وعسكر في مكان يسمى (حليوين) حيث تكثر المياه في المنطقة بين الاحساء والقطيف وطلب من اتباعه ان يفدوا عليه ، فاجتمعت عساكر الاحساء بقيادة (احمد السديري) وجاءت جموع بني مرة ، وبني هاجر والعجمان، وأقام فيصل في ذلك الموضع شهرا، ولقد حاول محمد بن خليفة استرضاء فيصل ولكنه رفض ذلك مما دعا شيخ البحرين الى الاسراع بالاستنجاد (بسعيد بن طحنون) شيخ ابو ظبي، وقام باخطار المقيم البريطاني في الخليج بما يعزم عليه الوهابيون ، ولكن قوات السعوديين كانت قد زحفت من ذلك المكان الى قطر حيث اخضعت تلك المنطقة واحتلت احد الحصون التابعة للبحرين واسمه (قصر البدع) الذي كان ينزل به عادة الشيخ (علي بن خليفة) شقيق حاكم البحرين. وقام السعوديون بالاستيلاء على السفن التابعة لأهل قطر، ويقدر عددها بحوالي ثلاثمائة سفينة ، وأمر (فيصل) بتجهيزها بالمقاتلين وادوات الحرب استعدادا لغزو البحرين واستعان في ذلك بأبناء شيخ البحرين الاسبق الحادقين على (محمد بن خليفة). ولقد اخافت تلك الاستعدادات (سعيد بن طحنون) الذي كان في طريقه الى ارض المعركة لنجده اهل البحرين، ولكنه تخلى عن مهمته ، وراح يعرض وساطته لعقد صلح بين الطرفين، ورفض (فيصل) ذلك قبل ان يأتي شيخ (أبو ظبي) ويقدم اعتذاراته عن اعماله السابقة ضد الوهابيين في (العاتكة) ولكنه حضر عندما كفل امير الاحساء احمد السديري حياته ، وتم الصلح ، وعادت البحرين تدفع الزكاة[١]. ولقد اجبرت الظروف (فيصل) على قبول ذلك الصلح وكان اهمها ثورة القصيم وعدم استتباب الامن في نجد[٢] .
ولكن ذلك السلام الذي توصل اليه الطرفان صيف عام ١٨٥١ ، اصبح مهددا في السنة التالية بسبب المسلك الذي اتبعه الشيخ (محمد بن خليفة) والذي وصف بعدم الصبر والحلم، اذ اخذ يظهر تبرمه، بل ويهاجم بعنف الامير (فيصل) على مساعدته لأبناء الشيخ السابق، بل راح يبعث الى الامير الوهابي مهددا بعدم دفع فلس واحد من الزكاة طالما ظل أولئك النفر المعادي له في الدمام القريبة من البحرين والتي تشكل خطرا على امنها. وكاد الوضع يتفجر من جديد لولا مساعي الكابتن (كمتول) مساعد المقيم البريطاني في الخليج الذي استطاع عن طريق الشيخ (علي بن خليفة) شقيق شيخ البحرين اقناع ذلك الشيخ بدفع جزء من تلك الزكاة [٣] . ولكن ذلك لم يزل الخوف من قلب (محمد بن خليفة) الذي اكد لمساعدة المقيم البريطاني الذي كان يقوم بزيارة للبحرين في ٣١ مارس سنة ١٨٥٢ بان الوهابيين في الاحساء ما زالوا يقدمون المساعدات لابناء عمه المقيمين هناك لتجديد هجماتهم ضد بلاده في المستقبل وعلى الرغم من تأكيداته بأن بامكانه القضاء على اقاربه المعادين له ، الا ان مخاوفه في الدرجة الاولى كانت من قوة الوهابيين المتركزة في اقليم الاحساء المجاورة لبلاده ، بل انه بين (لكمبول) انه يخشى من نشاط (فيصل) في عمان وبلدان الساحل، فلو تمكن الامير الوهابي من التحالف مع (ابن طحنون) او مع سلطان مسقط ووضع قواتمها تحت تصرفه وخاصة البحرية منها ، فان ذلك سيشكل خطرا جسيما على

---

(١) ابن بشر ، المصدر السابق ، ج٢، ص١٣٠- ١٣١.
(٢) فلبي، المصدر السابق ، ص٢٢٩- ٢٣٥.
(٣) Selections from the Records of Government ,
Vol. XXIV, Uttoobees Op. Cit. p. 242.

وجود البحرين ، ولكن مساعد المقيم البريطاني راح يبدد مخاوف شيخ البحرين ويطلب اليه الاعتماد على نفسه في تحصين بلاده ومقاومة أعدائه . ولما استفسر منه (محمد بن خليفة) عن امكانية المساعدات التي يمكن ان تقدمها بريطانيا له ضد الوهابيين وضد اقاربه الموجودين في الاحساء، اكد له (كمبول) مقدرة بريطانيا على المساعدة ولكنه لم يشعر بوجود حماية مطلقة وملزمة لبريطانيا اتجاهه ، وراح يلومه لسلوكه العدائي تجاه الوهابيين وعدم تعلقه في الاسراع ، بالاعلان عن عدم دفع الجزية ، وحذره من ان بامكان الوهابيين تجنيد (بني هاجر) وسكان ساحل قطر ضده . ولكن ذلك المقيم راح يؤكد في تقريره الذي رفعته لحكومته بعد مقابلته لشيخ البحرين ، انه تنفيذا لتعليمات الحكومة البريطانية بهذا الصدد فانه سيعارض وبكل قوة يملكها اي غزو للبحرين من قبل الوهابيين وحلفائهم ، وراح يطلب تعزيز قواته في الخليج ليتمكن من تنفيذ مهماته بسهولة (١) . ولقد اضطر الانجليز الى التدخل في شؤون الاحساء في عام ١٨٥٤ عندما هاجموا (حميد بن مجزل) الذي كان يقوم بأعمال النهب والسلب ويحتمي بالسلطات الوهابية وبالعلم التركي، ولكن بعض قطع الاسطول البريطاني هاجمته بالقرب من قرية (عنك) على ساحل الاحساء حيث دارت مذبحة خسر فيها (ابن مجزل) العديد من اتباعه(٢) .

وفي ظني ان ذلك العمل بالاضافة الى انه تأكيد لسياسة بريطانيا في المنطقة ألا وهي المحافظة على السلام ومنع الفوضى ، الا انه كان انذارا للوهابيين بعدم التفكير في المضي في محاولة تهديد استقلال البحرين خاصة وان الوهابيين كانوا قد سمحوا لأبناء شيخ البحرين الاسبق بالاستقرار من جديد في الدمام كما اسلفنا، فأخذ (محمد بن عبد الله) احد ابناء ذلك الشيخ على عاتقه مقاومة شيخ البحرين وساعده في ذلك حاكم القطيف الوهابي وحينما حاول (محمد بن عبد الله) غزو البحرين احبطت محاولته بظهور قطع الاسطول البريطاني على سواحل الاحساء بقيادة القائد (بفلور)(٣) .

ولذا نرى المقيم البريطاني في الخليج (فلكس جونز) يوجه رسالة الى الامير (فيصل) بتاريخ ١٦ سبتمبر ١٨٥٩ ، يطلب فيها منع اتباعه من تعكير السلام في مياه الخليج ، مما اثار سخط الامير السعودي فرد عليه برسالة مؤرخة في ٧ ربيع ثاني ١٢٧٦هـ / ٣ نومبر ١٨٥٩م ، واكد له فيها ان رسالته الدنيوية تملي عليه توفير الهدوء وحماية التجارة والمسافرين وكذلك واجبة الديني يدفعه الى ذلك، وأنه اتخذ كل الترتيبات اللازمة من أجل القضاء على الفوضى وتوفير الامن في الطرق الرئيسية ، ولكن فيصل اكد في رسالته للمقيم البريطاني ان (محمد ابن خليفة) وأخاه (علي) واتباعهم اضطهدوا بعض للرعايا التابعين (لفيصل) في ساحل قطر ، بل انهم نقلوا الجماعات المسؤولة عن ذلك العمل الى البحرين ولذلك يكونوا، قد قادوا الارهاب، وآووا الارهابيين ، وخلقوا شعورا بعدم استتباب الامن. وكما ان فيصل اضاف في رسالته ان شيخ البحرين سد الطرق على (محمد بن عبد الله) رئيس الدمام ، ولما حاول رئيس الدمام جمع بعض اتباعه للمحافظة على سلامته ، تعرض لاعتداء العتوب ، وقامت القوى البريطانية باستعمال قوتها ضده استطرد فيصل في رسالته معربا عن تبعية البحرين لبلاده ، وان دفعها للزكاة دليل

---

(١) IOR: R/15/1/0/124. (PT.I). Office No. 75 of 1852, A letter from Caption A B. Kemball, Acting Resident in the Persian Gulf , to A. Malet, Chief Secretary to Government of Bombay, dated 3rd April 1852.

(٢) لوريمر ، ج٣، ص١٤٤٨- ١٤٥٠.

(٣) Kamball to S. Anderson , the Secretary of Government Bombay , dated 21St August 1854.

أكيد على ذلك ، كما استهجن الامير فيصل تدخل القوات البريطانية بينه وبين رعيته، واختتم رسالته قائلا: (. . . اني آمل نتيجة للصداقة التي تكنها لي ان تمتنع عن التدخل في شؤون اتباعي، وارجوا ان تكون محاولاتنا موجهة للحفاظ على الأمن واخضاع الخارجين على القانون . . .)(١)

ولقد رد المقيم عليه برسالة في ٢٩ نوفمبر ١٨٥٩ ، واكد فيها ان الفوضى الناتجة عن تدخل (محمد بن عبد الله) واتباعه في شؤون البحرين قد ألحق الاذى بالتجارة الخاصة بالبحرين والموانئ المجاورة، ان الاستمرار في تاييد تلك الاعمال معناه تشجيع الدمار والخراب مما لا توافق عليه الحكومة البريطانية لأن ذلك معارض لسياستها التي اعلنتها من قبل. ولما كانت بعض الاطراف لا تحترم تلك السياسة فان الحكومة البريطانية ستدافع عنها بالقوة، اذا لم يكن دفعها عن استقلال البحرين فقط بل وعن التجارة والمصالح الاخرى التي هددها اضطراب الامن في البحر. وكان المقيم يشير الى اعمال اتباع فيصل على سواحل الاحساء، بل صرح نفس الرسالة بأن العمليات التي تمت من قبل تابعي سموكم في الدمام والقطيف كانت عدائية بينما، بينما أكد للامير الوهابي ان السلطات البريطانية في الخليج كانت ترعى موانئ الاحساء من أي خطر يتهددها قبل (محمد بن خليفة) واتباعه، واختتم رسالته بالتأكيد للامير فيصل بأن بريطانيا مصممة على صون استقلال البحرين ولو ادى ذلك الى استعمال القوة (٢).

وفعلا نفذت السلطات البريطانية تهديداتها فقامت بطرد (محمد بن عبد الله) من الدمام بالقوة، وقصفت موانئ الساحل الاحسائي بنيران مدافعها في نوفمبر سنة ١٨٦١. ولقد اثارت تلك الاعمال احتجاج السلطات العثمانية في العراق على اساس ان الدمام تابعة للامير (فيصل) الذي كانت تعتبره (قائمقام نجد) وتابعا من اتباع الباب العالي، وارضه جزء من املاك السلطان الموروثة. ولكن المقيم البريطاني ، رد على ذلك الاحتجاج باستنكار زعم تركيا ان لها حقوقا في تلك المنطقة وراح يؤكد ان بريطانيا تتعامل مباشرة مع (فيصل) كأمير لدولة السعوديين المستقلة(٣).

وفي السنة التالية ١٨٦٢ كانت فرنسا قد بعثت (وليم بلجريف) الى نجد وخشيت السلطات البريطانية بعد ان تعقد الامور بينها وبين (فيصل) الى تسفر زيارة (بلجريف) عن ارتباطات بين الوهابيين وفرنسا، وفي ذلك اكبر الخطر على وجودها في الخليج ، لذلك اسرعت بإرسال المقيم البريطاني في الخليج الى الرياض عن طريق الكويت عام ١٨٦٤م ، ويقول فلبي بأن زيارة (لويس بلي) هذه ادت الى اتفاقية

---

(١) IOR:R/15/1/0/173.
رسالة من سمو الامير فيصل حاكم نجد الى الكابتن فلكس جونز المقيم السياسي في الخليج بتاريخ ٧ ربيع ثاني ١٢٧٦/ ٣ نوفمبر ١٨٥٩.

From His Highness Ameer Fysul , Ruler of Nijed . To Captain Fulix Jonce Political Resident Persian Gulf , dated 3rd . Nov . 1859.

(٢) From Jonce to Ameer Faysul , IOR: R-15/1/0/17,29-Nov-1859.
رسالة من فلكس جونز المقيم البريطاني في الخليج الى الامير فيصل بتاريخ ٤ جمادي الاولى ١٢٧٦/ ٢٩ نوفمبر ١٨٥٩.

(٣) لوريمر ، المصدر السابق ، ج٣، ص١٤٥٠.

عربية انكليزية، لم يعثر على نصوصها في سجلات الرياض[١] . وفي أوائل ديسمبر عام ١٨٦٥م ، مات (فيصل بن تركي) بعد أن كان عهده فترة عمل دائب ، كرسه لبناء الدولة السعودية الثانية، وكانت الاحساء عهده اهم اقاليم دولته، فعلى رمالها قارع قبائل الاحساء المتمردة واخضاعها، ومن مدنها وموانئها انطلق يوسع رقعة نفوذه في اقليم عمان ، ومن شواطئها هاجم البحرين وحاول اخضاعها، كما ان مدنها الساحلية كالقطيف والدمام والعقير ، تعرضت لضربات بريطانيا، ولحصار شيخ البحرين ، لان اعداء السعوديين كانوا يدركون ان تلك الموانئ هي نافذة فيصل التي يطل منها على الخليج، ولولاها لظل قابعا في داخل الجزيرة العربية[٢]. ولذا وبعد وفاته بايام قلائل تعرضت تلك الموانئ لقصف مدفعي مركز من قبل القوات البريطانية في ٢ فبراير عام ١٨٦٦ احتجاج على سياسة (فيصل) التوسعية في عمان كما اسلفنا[٣].

ولقد شكلت الاحساء بعد وفاته مسرحا من مسارح الحرب الاهلية السعودية بين ابنية، (عبد الله) و (سعود)، تلك الحرب التي ادت الى زوال الدولة السعودية الثانية، والى فقدان الاحساء من يد السعوديين، وذلك عندما سيطر عليها الاتراك العثمانيون عام ١٨٧١.

الاحساء في عهد عبد الله بن فيصل وعلاقته ببريطانيا:

مات (فيصل) مخلفا وراءه اربعة اولاد ، هم (عبد الله) ، (سعود) (محمد)، و (عبد الرحمن). وكان (عبد الله) اكبرهم سنا واقربهم الى قلب والده، لانه كان يعتمد عليه في تصريف شؤون دولته، فانتدبه لقيادة جيوشه في عدة مناسبات، فكان له اثر بالغ في تدعيم وجود السعوديين في الاحساء وذلك بإلحاق الهزائم المتكررة بقبائلها الثائرة، وقام بدور ملحوظ في توسيع نفوذ الوهابيين في اقليم عمان، وعلى عاتقه قامت مهمات اجهاض ثورة القصيم، واقرار الامن في ربوع نجد، وعرف عنه انه كان وهابيا صميما. ولما احس (فيصل) بضعفه في حزيران عام ١٨٦٥ كان قد عين ابنه (عبد الله) وارثا للعرش بشكل رسمي، فأخذ هذا يسير امور الدولة منذ تلك اللحظة[٤].

ولقد تسلم (عبد الله) وهو الى جانبه ابيه الذي كان على فراش الموت، انذارا من السلطات البريطانية في الخليج، يحمل الوهابيين نتيجة الثورة التي قامت بها إحدى القبائل ضد سلطنة مسقط، فاحتاجت مدينة (صور) وقتلت سكانها، وكان بين القتلى احد الهنود من الرعايا البريطانيين هناك . وكان ذلك الانذار الذي وجهة (لويس بلي) (ewis Pelly) المقيم البريطاني في الخليج عنيفا ، ويطلب فيه من امير الوهابيين دفع تعويضات عن الاضرار التي لحقت بالمواطنين في (صور) وتقديم الاعتذار، والضمانات الكفيلة بعدم تكرار مثل ذلك العمل. ولك (عبد الله) شغل بموت ابيه، ولم يرد بسرعة على ذلك الانذار الذي حدد مدة سبعة عشر يوما، كمهلة للرد عليه، ولما تأكد (بلي) من عدم الرد على الانذار امر قواته في ٣٠ يناير عام ١٨٦٦ بالاستعداد لقصف موانئ الوهابيين في القطيف والدمام. وفعلا دخلت تلك

---

(١) فلبي ، المصدر السابق ، ص٢٤٨.
انظر ايضا، رجب حراز، الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب، ص ١٣٩.
(٢) جمال زكريا قاسم ، المصدر السابق ، ص٧٦-٧٧.
(٣) عمان والساحل الجنوبي للخليج الفارسي ، ص٣٤.
(٤) فلبي ، المصدر السابق ، ص٢٥٠ .

القوات يوم ٢ فبراير عام ١٨٦٦ الى ميناء القطيف، بقوارب بحرية مسلحة بقيادة الملازم (Fellowes) وحطمت بقنابلها برج الميناء ، وفي اليوم التالي كانت قوة اخرى تهاجم قلعة الدمام بقيادة الملازم (يونج) الذي فشل نفي الاستيلاء على القلعة لاستمالة السعوديين في الدفاع عنها ، ولكنه عاد يوم ٤ فبراير وهاجمها بقوة اكبر وعلى الرغم من انه الحق بها اضرارا كبيرة الا ان السعوديين لم يتخلوا عنها وخسر البريطانيون في ذلك العدوان عددا من القتلى والجرحى من ضباط وجنود البحرية البريطانية [١] .

وفي اعتقادي أن بريطانيا قد اوضحت للسعوديين بما لا يدع مجالا للشك، انها تقف من سياستهم التوسعية في الخليج، موقفا معاديا، وانها على استعداد لتنفيذ معارضتها تلك بالقوة اذا لزم الامر ، ولذا ادرك (عبد الله) ان عليه الاسراع لاسترضاء بريطانيا وخاصة حينما فشل في جلب مساعدة من قبل الدولة العثمانية التي ارسل الى واليها في بغداد آنذاك (نامق باشا) يطلب منه المساعدة ضد اعتداء الانجليز على سواحل بلاده التي يعتبرها جزءا من املاك الدولة العثمانية . ولم تتعد مساعدة العثمانيين الاحتجاج لدى قنصل الدولة البريطانية في بغداد على تلك الاعمال[٢] . لذا راح (عبد الله) يرسل احد اتباعه (محمد بن عبد الله بن مانع) الى المقيم العام في (بوشهر) لتقديم الغرامة والاعتذار، كما انه اعلن عن رغبته في صداقة بريطانيا وتعهد باحترام مصالحها في المنطقة[٣] .

وقد وضع ذلك الاعلان وتم التوقيع عليه في ٢١ ابريل ١٨٦٦ وهذا نصه : (. . . اقر أنا محمد بن عبد الله بن مانع بالنقاط التالية وأؤكدها :

١ـ خولني الامام (عبد الله بن فيصل) أن اطلب الى الصاحب المقيم في الخليج ليكون وسيط الصداقة، بين الامير عبد الله بن فيصل والحكومة البريطانية.

٢ـ أؤكد للمقيم في الخليج، نيابة عن الامام عبد الله بن فيصل، أنه لن يلحق الاذى أو الضرر بالرعايا البريطانيين المقيمين في الاراضي الواقعة تحت سيطرة عبد الله بن فيصل.

٣ـ أؤكد للمقيم في الخليج نيابة عن الامام عبد الله بن فيصل، ان الامام لن يهاجم أو يلحق الاذى باراضي القبائل المتحالفة مع الحكومة البريطانية ولا سيما تلك المقيمة في مملكة مسقط، وذلك باستثناء تلقي الزكاة المألوفة منذ امد بعيد[٤].

ولقد لوحظ انه بعد هذا الاعلان ، قد خفت هجمات السعوديين على الأمارات العربية الواقعة على ساحل الخليج واكتفى السعوديون بتحصيل الزكاة المقدرة لهم. ولقد كان لذلك الموقف الذي وقفته بريطانيا ضد توسع السعوديين اكبر الاثر في نفوس اعدائهم المتطلعين لانهاء ذلك التوسع لذا قام السيد (ثويني) سلطان مسقط بمساعدة بريطانيا والقبائل (الهناوية) في بلاده بمحاولة لانهاء وجود السعوديين في اقليم عمان والبريمي، ولكنه لاقى حتفه على يد ابنه (سالم) الذي اتهم بأنه تآمر على ابيه بتحريض من

---

(١) لوريمر ، المصدر السابق ، ص١٤٥١ .

(٢) X-1 2482 FO/78/1911
Letter No. 261 dated April 18th 1866 From A. Kemboll to Lord Lyonis .

(٣) العقاد ، التيارات السياسية في الخليج العربي ص١٥١.
انظر ايضا: G.N. Curzon . Persia and the Persian Gulf , P. 460

(٤) كيلي ، المصدر السابق ، ص ١٣١ـ ١٣٢.

السعوديين الذين ثبت اشتراك بعض رجالهم هناك في المؤامرة(١). فلقد كان (تركي السديري) العامل السعودي على البريمي، على صلة قوية (بسالم)، ولكن تلك المؤامرة اثارت بعض الناقمين على (سالم) فقام (عزان بن قيس) امير صحار ، واستولى على السلطة واسرع الى توجيه ضربة قاصمة للوهابيين الذين كانوا يفقدون مع خصمه (سالم)، واستطاع ابن قيس في يونيو ١٨٦٩ أن يستعيد البريمي بمساعدة قبيلة (بني نعيم) وهكذا خسر السعوديون، وجودهم هناك، لان (عبد الله) كان مشغولا باخماد الفتنة التي ادت الى الحرب الاهلية بينه وبين اخيه (سعود) الذي اعلن التمرد عليه بعد وفاة والدهما بسنة تقريبا(٢).

الحرب الاهلية السعودية وضياع الاحساء :

كان (سعود) يحسد اخاه (عبد الله) على المكانة التي حصل عليها عند ابيه ، فقامت بين الاخوين جفوة منذ الصغر ، اختلف الباحثون في اسبابها، فبينما ترجع الوثائق البريطانية ذلك للتربية الاولى لكلا الاخوين ، اذ كانا غير شقيقين ، فأم (عبد الله) كانت إحدى بنات البيت السعودي الحاكم ، ولذا علمت على تربية ابنها تربية وهابية صميمة منذ طفولته، ولذا فقد شب منذ الصغر على التمسك بالمبادئ الوهابية، بينما كانت أم سعود فتاة بدوية من قبيلة (بني خالد) فشب بدويا صميما، يكره التزمت والتعصب، ويحب الحرية، وكان يفضل الملابس الزاهية، المزرشكة والمطرزة بالحرير ، فكان بذلك محبا للمظهرية ، كل تلك الصفات كانت مكروهة لدى الوهابيين، مما كان مدعاة لقيام نفور بين الاخوين في حياة ابيهما الذي لم يستطع انهاء ذلك الخلاف، فراح يوكل الى (سعود) إدارة منطقة (الحريق واليمامة) بعيدا عن مقر الحكم بينما ظل (عبد الله) الى جانب ابيه يساعد في إدارة منطقة (الحريق واليمامة) بعيدا عن مقر الحكم بينما ظل (عبد الله) إلى جانب أبيه يساعده في إدارة شؤون الدولة.

بينما ارجع فلبي سبب الخلاف الى الاناة التي اتصف بها عبد الله، ولشجاعته التي جعلته يقوم بدور فعال في اقرار الامن في ارجاء دولة ابيه، وفي تلك اللحظات كان (سعود) منصرفا لسياسته وظرفه الذي لا يعرف الحدود. مما جعل والدهما يقرب (عبد الله) منه بيكون ساعده الايمن ومن ثم واليا لعهده تلك الامور التي احقدت اخاه عليه(٣). ولكن (الانصاري) يجعل من خروج (سعود) على طاعة اخيه بسبب خلافهما على بعض المخصصات التي طلبها سعود اولا، ورفضها عبد الله ، ولكن (عبد الله) عاد وطلب من اخيه ان يلتزم بطاعته ويعود الى الرياض بعد أن كان قد غادرها الى (عسير) طالبا مساعدة شيوخها من (آل عائض) الذين رفضوا ذلك احتراما للعلاقات الودية التي تربطهم مع السعوديين من جهة، وخوفا من غضب عبد الله عليهم من جهة اخرى ، خاصة وانه بعث يحذر من مغبة التورط في مساعدة اخيه عليه(٤).

وفي ظني انه لا يمكن ان نجزم بسبب واحد لتلك الخلافات وان كنت اميل الى الاعتقاد بأن (فيصل) كان قد ادرك ببصيرته ان ابنه الاكبر (عبد الله) جدير بتحمل المسؤولية كقيادة الجيوش ، والمساعدة في

---

(١) جمال زكريا قاسم ، المصدر السابق ، ص٩٦ـ ٩٧.

(٢) عمان والساحل الجنوبي للخليج الفارسي ، ص٤٢ـ ٤٤.

(٣) فلبي، المصدر السابق ، ص٢٥١.

(٤) الانصاري ، المصدر السابق ، ص١٦٧.

انظر فلبي ، المصدر السابق ، ص٢٥١ .

إدارة شؤون البلاد، مما جعله يقربه منه، الامر الذي زاد في نقمة اخيه عليه. وعندما تولى (عبد الله) عرش الدولة، يبدو ان سعودا قد طلب الى اخيه ان يقطعه احدى المقاطعات ليقوم بادارتها لوحده، ولكن (عبد الله) رفض ذلك مما جعل سعود يكون جماعة تدين له بالولاء وراح يضايق اخاه ، مما اضطر الاخير الى اتخاذ الاحتياطات اللازمة فجرده من الصلاحيات التي يخشى على نفسه منها، مما جهل سعودا، يفر الى عسير طالبا المساعدة في سبيل الاطاحة بأخيه(١) . واذا ما علمنا ان بعض المصادر ترجع اسباب تلك الخلافات الى كون أم (سعود) من العجمان، وليست من بني خالد كما اسلفنا، ونحن نعلم مافعله (عبد الله) بالعجمان في معاركه العديدة من قتل ونهب وتشتيت لادركنا ان سعودا كان يحقد على اخيه بسبب التنكيل الذي انزله بأخواله ، وربما كان لتربية امه اثر في نفسيته(٢). ولقد اختلف الباحثون ايضا في صفات الاخوين، فنرى الوثائق البريطانية تصف (عبد الله) بأنه، قصير، قوي، وشجاع، ذو مهارة عسكرية فائقة ، متعطش للدماء ، ومخادع وقاسي ، بينما تجعل من سعود طويلا جميلا، شجاعا، كريما، روحه مرحة وقلبه طيب مما جعل له اتباعا وجعل شعبيته عالية بين صفوف الشعب وخاصة البدو منهم(٣). واعتقد ان في ذلك تحاملا على (عبد الله) ومحاباة لاخيه.

بينما قارن فلبي بينها قائلا : (. . . فاناة عبد الله وفضائله الراسخة لم تكن لتقارن بسياسة اخيه المطالب بالعرش لا ظرفه الذي لا يعرف الحدود)(٤) . ولكن (بلجريف) الذي زار الرياض قبيل وفاة (فيصل) عام ١٨٦٢م كان قد وصف الاخوين، فقال عن (عبد الله) بانه قصير القامة، كبير الرأس تخين الرقبة، يبدو ضخما في مظهره ، بينما كان (سعود) طويلا ، نحيفا جميلا ، متأثرا الى حد كبير بالتأثيرات البدوية في تكوين شخصيته. محبا للفروسية ، مما اكسبه حب الطبقة العمة من الشعب ، ويضيف (بلجريف) أن الاخوين على الرغم من تقاربهما في العمر ، إلا انهما لم يكونا يتكلمان مع بعضهما بحب وسلام(٥).

وهكذا نستطيع مما تقدم ان ندرك ان الخلاف بينهما كان قد وصل الى ذروته، وتدخلت فيه اسباب عديدة ، ربما كانت خارجة عن ارادتهما في الصغر ، كعوامل التربية ، والمظهر ، والظروف المحيطة بهما ، والنسب الى آخر موكلة اليهما. ولكن الذي حدث عكس ذلك ، اذ سرعان ما خرج سعود على اخيه كما اسلفنا، ولما لم يجد مساعدة من آل عائض، اتجه صوب (نجران)، وهناك وقد عليه العجمان مبايعين والف منهم جيشا مع بعض القبائل الأخرى وزحف الى نجد فبعث (عبد الله) باخيه (محمد بن فيصل) لملاقاة (سعود) وجرت بين الاخوين معركة قرب قرية (المعتلا) في جنوب نجد، خسر فيها الطرفان العديد من القتلى، وكانت الهزيمة فيها لجيش سعود، الذي جرح في المعركة ففر الى بادية الاحساء، حيث لجأ الى (بني مرة) الذين ضمدوا جراحة واخفوه الى حين بينهم، ثم ارتحل الى البريمي، محاولا ايجاد حليف له هناك(٦) .

وفي السنة التالية شهدت الاحساء موجة من الاعتقادات حينما انصب غضب (عبد الله) على العجمان لمساعدته لأخيه في المعركة الاخيرة ، وكان (عبد الله) قد ارسل عام ١٨٦٧ عمه (عبد الله بن تركي) بسرية الى الاحساء وبعث الى (محمد بن السديري) امير الاحساء يطلب إليه أن يساعد عمه في أداء

---

(١) FO. 78/2174 – Letter No. 6, Op. Cit.

(٢) فلبي، المصدر السابق ، ص٢٥١.

انظر ايضا ، فؤاد حمزة ، قلب جزيرة العرب ، ص٣٤٥.

(٣) Fo. 78/ 2174 – Letter No. 6, Op. Cit . 20th Jan . 1871.

(٤) فلبي ، المصدر السابق ، ص٢٥٠.

(٥) Palgrave, Op, Cit . P. 74.

(٦) الريحاني ، المصدر السابق ، ص٩٨.

مهمته التأديبية للعجمان وقام السديري بإلقاء القبض على زعمائهم، والقى بهم في السجون، ولكن (عبد الله بن فيصل) لم يلبث ان عزله عن منصبه من امارة الاحساء وعين (ناصر بن جبر الخالدي) بدلا منه[١]. ويبدو ان هذا العزل كان بسبب المساعدة التي تلقاها (سعود) في البريمي من عامل الوهابيين هناك (تركي السديري) اخو الامير المعزول ولم يلبث (تركي) ان لاقى حتفه في الشارقة عام ١٨٦٩، مما اضطر سعود الى ان يلجأ الى (عزان بن قيس) عدو الوهابيين الذي طردهم من البريمي فقدم له بعض المساعدة ، وشجعه على المضي في قتال اخيه ، لأنه كان يخشى ان يبعث (عبد الله) بجيش من الاحساء لاستعادة البريمي، وفعلا كانت الاحساء في تلك الايام تشهد استعدادات ضخمة من قبل (عبد الله) لاسترجاع البريمي ، وربما لملاحقة اخيه الفار ، ولكن قلة الامطار في ذلك العام اخرت ارسال تلك الحملة ، لأن الطريق صحراوي خلو من الماء ، ولابد من الاعتماد على فصل ممطر لاجتيازها. اضف الى ذلك خوف (عبد الله) من ان ينتهز انصار اخيه الفرصة فينقضوا على قواته في نجد ويستولوا على الحكم في غيابه[٢] .

غادر سعود البريمي الى البحرين وهناك لقي مساعدة من آل خليفة إذ امر (عيسى بن علي آل خليفة) شيخ البحرين بمحاصرة سواحل الاحساء، ولكن (عبد الله) اخذ يستعد للرد على ذلك العمل، وبدأ يجهز جيشا في الاحساء لفتح البحرين، واخبر (بلي) بذلك وطلب اليه سحب الرعايا البريطانيين من الجزيرة ، حتى تستغل حكومته تعرض بعضهم للأذى فتنتقم من الوهابيين كما حدث في السابق عام ١٨٦٦، وقد اقنع (بلي) شيخ البحرين بفك الحصار ، ويبدو ان الخلاف بين الوهابيين والبحرين لم يكن لمجرد مساعدة سعود، بل كانت هناك اسباب اقتصادية اخرى، ولكن شيخ البحرين استغل وجود (سعود) عنده وراح يشجعه على العمل ضد اخيه ، ولقد تغاضى (بلي) عن المساعدات التي تقدم لسعود، وتمكن سعود من الاتصال ببعض قبائل الاحساء (كالعجمان) و (آل مرة) و (بني خالد) وغيرهم وبدأ يهيء قبائل الجو للاستيلاء على الاحساء وكنه اثناء ذلك كان قد علم بان اخاه (عبد الله) قد ارسل لقتاله سرية تحت قيادة (مساعد الظفيري) ووصلت تلك القوة الى قطر ، وهناك دارت معركة بينها وبين قوات (سعود) قتل فيها قائد قوات (سعود) وهو ابن عمه في نفس الوقت (محمد بن عبد الله بن ثنيان) ولكن (سعود) ما كانت لتثني عزمه معركة صغيرة، فرجع الى البحرين وتابع استعداداته واتصالاته بقبائل الاحساء[٣] ، وخيرا نزل مع اتباعه الى الساحل الاحسائي وكان نزوله يشكل خطرا كبيرا على مركز (عبد الله) لعدة اسباب اهمها:

اولا : ان الاحساء كانت من المناطق التي قاومت منذ البداية الدعوة الوهابية وظلت على الرغم من محاولات الوهابيين المتكررة لتعزيز وجودهم فيها، ظلت اقل الاقاليم ميلا لتلك التعاليم ، ولذلك كانت اكثر ميلا الى سعود الذي عرف بكراهيته للتعصب المذهبي.

ثانيا : معظم قبائل الاحساء وعلى الاخص (العجمان) و (آل مرة) كانوا يتوقعون لقتال (عبد الله) الذي انزل بهم الضربات العنيفة خلال الاعوام الماضية[٤].

---

(١) الانصاري ، المصدر السابق ، ص١٦٧.
(٢) عمان والساحل الجنوبي للخليج الفارسي ، ص٥٠- ٥١.
(٣) عبد العزيز نوار ، المصدر السابق ، ص٤٠٨- ٤٠٩.
انظر : الانصاري ، المصدر السبق ، ١٦٨.
(٤) عبد العزيز نوار ، المصدر السابق، ص٤١١.

وعلى اية حال كان سعود خلال ثلاثة اسابيع قد استطاع ان يصل الى بر الاحساء زاحفا نحو عاصمتها الهفوف بقوات تقدر بين الفين الى خمسة آلاف رجل ، معظمهم من قبائل الاحساء، ولقد احاط بالمدينة ولكنه فوجئ بقوات اخيه تهاجمه وبعد معركة عنيفة ، اضطر سعود ان يفك حصاره عن الهفوف واتجه بسرعة لملاقاة قوات اخيه الذي ارسلها من نجد بقيادة اخيه الثاني (محمد) واستطاع سعود ان يستولي على آبار المياه المسماة بآبار (جودة) قبل وصول جيش الرياض، وهكذا استطاع (سعود) ان يحقق عاملا من عوامل النصر في المعركة قبل ان تبدأ ، وذلك بحرمان جيش اخيه من الماء الذي يعتبره من اهم ضروريات الحياة. ودارت المعركة بين الطرفين في ٢٧ رمضان ١٢٨٧هـ ٢٠ ديسمبر ١٨٧٠م ، وكانت حامية الوطيس، وابانها استطاع (راكان بن حثيلين) زعيم العجمان وعدو (عبد الله) القديم ان يؤثر على زعيم قبائل سبيع التي كانت تعمل في جيش (محمد بن فيصل) فتراجعت سبيع وانسحبت من المعركة وكان النصر الساحق (لسعود) الذي كبد جيش اخيه حوالي اربعمائة قتيل، وجرح قائد الجيش ووقع في يد اخيه. ولقد عامله سعود معاملة حسنة، وطلب ان يعتني بجراحة ولكنه وضعه تحت الاقامة الجبرية في إحدى خيام معسكره، ثم نقله الى سجن القطيف ، ومن هناك زحف ثانية الى الهفوف، فاستولى عليها بعد ان كان زعماؤها قد جاؤوا الى آبار (جودة) مبايعين، وهكذا اصبح سعود سيد الجزء الشرقي من الجزيرة العربية بإستيلائه على الاحساء(١).

وهنا لابد لنا ان نشير بوضوح الى ان دور بريطانيا كان واضحا في مساعدة سعود ضد اخيه، وكانت بذلك تخالف سياستها المعهودة والتي تقضي بالمحافظة على الامن في الخليج، وعدم الاعتداء من قبل اي طرف ضد الآخر ، ولقد ثبت ان الانجليز كانوا يشجعونه على القيام بهذا العمل أو على الاقل لم يقفوا في طريقه في سبيل تحقيق اهدافه، فلقد افاد احد اتباع سعود الى قنصل دولة الانجليز في بغداد بأن سعود كان يكرر دائما قوله: بأنه لن ينسى العطف الذي لقيه من قبل المسؤولين البريطانيين اثناء اقامته في البحرين(٢).

وفي السنة التالية ١٨٧١ وبعد ان استقر سعود في الاحساء ورتب اموره فيها زحف الى الرياض فرحل (عبد الله) قبل وصول قوات اخيه. ولا شك ان سيطرة (سعود) على الاحساء كان لها أكبر الاثر في خنق نجد اقتصاديا خاصة ان تلك السنة كانت سنة جدب ، فلم تنزل الامطار ولم تنبت الارض، وجاء (سعود) يغلق على سكان نجد اتصالهم بساحل الخليج ويمنعهم من خيرات الاحساء، ولكن (عبد الله) الذي ترك عاصمته لقمة سائغة لأخيه ومنافسه على العرش عاد مسرعا الى الرياض، ليثبط من همة اخيه ، فيمنعه من الزحف نحو عاصمته، واكتفى بان بعث برسول الى والي العراق آنذاك (مدحت باشا) يستنصره ضد اخيه، ويعلن تبعيته للباب العالي. ولكن سعود الذي زحف في ابريل عام ١٨٧١ وصل الى الرياض، التي كان عبد الله قد فر منها ثانية الى بادية قحطان، فستولى (سعود) عليها بسهولة (٣).

---

(١) FO. 78/ 2174 – Letter No. 6, Op, Cit. 20th . Jan . 1871.
انظر ايضا الانصاري ، المصدر السابق ، ص١٦٩.

(٢) FO. 78, 2174 , Letter No. 6. Op. Cit. 20th Jan , 1871.

(٣) رجب حراز ، المصدر السابق ، ص١٤٠- ١٤١.

وراح يكتب الى رؤساء البلدان في نجد، طالبا اليهم الاسراع في تقديم الولاء، فوفدوا اليه مبايعين، فأصبح بذلك سيد نجد والاحساء، ولكن الوزير العثماني ووالي بغداد آنذاك (مدحت باشا) الذي عرف عنه انه كان مهتما بمحاولة اعادة هيبة الدولة العثمانية الى اطرافها البعيدة، راح يلبي طلب (عبد الله بن فيصل) ولم يفوت عليه الفرصة، كما فعل (نامق باشا) الذي سبقه ، والذي كان (عبد الله) قد استنجد به عام ١٨٦٦، لذا راح مدحت يعد حملة مكونة من خمسة افواج من الفيلق السادس العثماني، ووضع على راس تلك الحملة القائد الفريق (نافذ باشا) الذي رحف معززا ، بشيخ عشائر المنتفق، ونقيب الاشراف في البصرة، كما التحق بالحملة شيخ الكويت (الشيخ عبد الله الصباح) الذي رافق الحملة بحرا الى راس تنورة، وقاد اخوه الشيخ (مبارك) قوات كويتية تطوعت في الحملة برا الى الاحساء واستطاعت تلك الحملة، ان تحتل القطيف وتطلق سراح (محمد بن فيصل) وتزحف الى الاحساء، فتحتل القطيف وتطلق سراح (محمد بن فيصل)، وتزحف الى الاحساء ، فتحتل الهفوف دون مقاومة تذكر[١]. وبعد احتلال العثمانيين للاحساء بدأوا يراوغون في تسليمها (لعبد الله) مما اضطره ان يهرب من معسكرهم خوفا على حياته لانه ادرك ان العثمانيين كانوا يريدون الاحتفاظ بالاحساء تحت سلطتهم المباشرة. ولقد استمرت بعد ذلك الخلافات بين الاخوين، ودامت المعارك بينهما من جهة، وبينهما وبين العثمانيين من جهة اخرى. وهكذا كانت النتيجة الاولى للحرب الاهلية السعودية هي ضياع الاحساء من جهة اخرى.

وهكذا كانت النتيجة الاولى للحرب الاهلية السعودية هي ضياع الاحساء من آل سعود ، إذ بقيت تحت سيطرة العثمانيين حتى عام ١٩١٣[٢] .

---

(١) عباس العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ص٢٥٦.
(٢) الانصاري ، المصدر السابق ، ص١٧٣.
انظر ايضا ، فلبي المصدر السابق ، ص٢٥٦.

الفصل الرابع
الحملة العثمانية
على الاحساء عام ١٨٧١

ويشمل :
- علاقة العثمايين بالاحساء قبل عام ١٨٧١.
- اسباب الحملة العثمانية على الاحساء .
- معارضة الانجليز للحملة .
- سير الحملة ، واحتلالها للاحساء .
- مقاومة السعوديين للحملة .
- محاولة العثمانيين التوسع في قطر والبحرين .
- مقاومة الانجليز لمحاولة التوسع العثماني في الخليج .
- تنائج الحملة واهميتها .

علاقة العثمانيين بالاحساء قبل حملة مدحت عام ١٨٧١:

ترجع علاقة العثمانيين بالاحساء الى عهد السلطان (سليمان القانوني) الذي كان قد اسل الى الخليج العربي حملة بحرية بقيادة (محمد باشا فروخ) الذي استطاع انتزاع اقليم الخليج العربي من ايدي البرتغاليين، فاحتلت قواته القطيف عام ١٥٥٠م ، ثم زحفت بعد ذلك الى الهفوف عاصمة الاحساء فاحتلتها وعين ذلك القائد حاكما للاحساء فبنى في عاصمتها مسجدا عام (٩٦٣هـ - ١٥٥٥م) عرف فيما بعد باسم مسجد الدبس[١] وتلاه في حكم الاحساء عدد من الحكام الاتراك كان آخرهم عمر باشا الذي اطاحت به ثورة محلية قادها (براك بن غرير) زعيم بني خالد عام ١٦٧٠م ، الذي قام بطرد العثمانيين من الاحساء واسس اسرة حكمت البلاد حتى عام ١٧٩٥ حين تمكن السعوديين من القضاء عليها، وادخال الاحساء ضمن اقاليم دولتهم الاولى[٢] واتخذوا منها قاعدة للتوسع في بلدان الخليج وجنوب العراق، مما اثار حفيظة الدولة العثمانية، فحاولت استرجاعها من السعوديين اكثر من مرة ولكنها فشلت في ذلك[٣] . واخيرا لجأت الى عاملها على مصر آنذاك (محمد علي باشا) الذي استطاع القضاء على السعوديين، فاحتل عاصمتهم الدرعية عام ١٨١٨ ، ثم زحفت قوات ابنه ابراهيم باشا الى الاحساء فادخلتها في دائرة النفوذ المصري، ولكن تلك القوات اضطرت في العام التالي ١٨١٩ الى مغادرة الاحساء تحت ضغط الدولة العثمانية، وبتأثير مباشر من واليها على العراق الذي كان يعطف على شيوخ بني خالد، ويحاول ارجاعهم الى حكم الاحساء نوابا عن الباب العالي ولقد تم له ذلك ، الا ان الاقليم شهد بعد ذلك صراعا عنيفا بين القوى المحلية حتى عام ١٨٣٨م حين عادت القوات المصرية بقيادة (خورشيد باشا) فاحتلت الاقليم ثانية وحاولت ان تتخذ منه قاعدة للتوسع في بلدان الخليج، ولكنها اضطرت ايضا الى الانسحاب من الاحساء تحت ضغط بريطانيا التي رات في الوجود المصري تهديدا للنفوذ البريطاني في المنطقة. ولقد ساعدت الدولة العثمانية في الضغط على (محمد علي) لكي ينسحب من الاحساء لانها كانت تشعر بأن وجود القوات المصرية فيها يشكل خطرا جسيما على وجودها في العراق [٤].

وعلى اثر انسحاب القوات المصرية، حاول العثمانيون جهدهم ان يحلوا محل الحكم المصري في شبه الجزيرة العربية وخاصة اقليم الخليج العربي، ولكن بعد عزل والي العراق العثماني آنذاك (علي رضا) سنة ١٨٤١م الذي كان يعطي ذلك الموضوع اهتماما خاصة، قل اهتمام العثمانيين بأمور الخليج العربي، فتركوا بذلك الباب مفتوحا لتدخل الطامعين في شؤون هذا الاقليم من امثال بريطانيا وفارس[٥]، ولقد بدا ذلك واضحا عام ١٨٤٧ حينما اصدرت الدولة العثمانية (فرمانا سلطانيا) يسمح بتفتيش السفن التركية

---

(١) لقد وجد نص منقوش على احد حجارة هذا المسجد يدل على من قام بأعماره وتاريخ ذلك جاء فيه (. . . بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين ، قد بنى وعمر هذا المقام في زمن السلطان العالد سليمان بن السلطان سليم ، حضرة الحاكم الاجل ، قدوة الحكام ، كهف الانام ، صاحب السيف والقلم ، والي بلد الاحساء ، محمد باشا ، في سنة ثلاث وستين وتسعمائة هجرية) .
انظر : الانصاري ، تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء في القديم والجديد ، ج١ ص١٢١ـ ١٢٢.

(٢) ابو حاكمة ، تاريخ شرقي الجزيرة العربية ، ص٦٠ـ ٦١.

(٣) لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب ، ص١٢٦ـ ١٣٣.
انظر ايضا مذكرات مدحت باشا ، ص١٧٥.

(٤) انظر الفصل الثاني من هذه الرسالة ، ص٤٦ـ ٨٨.

(٥) نوار ، تاريخ العراق الحديث ، ص٣٩٥.

التي يشتبه بانها تعمل في القرصنة. وكانت الدولة العثمانية قد اصدرت في حينه ايضا تعليماتها على والي العراق، لكي يعمل ما في وسعه لقمع مثل تلك الاعمال، وكان ذلك ينذر بأن العثمانيين ربما ارسلوا الى مياه الخليج اسطولا لكي يشارك في الاشراف على التفتيش البحري عن القراصنة، مما دعا (هنل) المقيم البريطاني في الخليج الى ان يحتج على ذلك زاعما ان الدولة العثمانية تهدف من وراء ذلك الى تقوية نفوذها على سواحل الخليج. وجاءت معرضة بريطانيا هذه لتكشف لنا تراجع الدولة العثمانية عن الاهتمام بأمور بلدان الخليج ، اذ لم تقابل ذلك الاحتجاج بتنفيذ سياستها التي اعلنت عنها، بل تركت لبريطانيا القيام بدور البوليس البحري وشرطي المرور في مياه الخليج العربي(١) .

وفي نهاية حرب القوم سنة ١٨٥٦، اعد العثمانيون بناء جيوشهم على اسس حديثة، وزودها باسلحة متطورة، وذلك بفضل المساعدات المالية التي قدمتها بريطانيا لهم، فوجد السلطان (عبد العزيز) نفسه يملك قوة لم يسبق لها مثيل من قبل، فقرر أولا : اخضاع المناطق النائية من الامبراطورية، وثانيا: اخضاع القبائل على حدود بلاده في تلك المناطق. ولقد اغراه بذلك فتح قناة السويس سنة ١٨٦٩، ورأى بنفسه اهتمام الدول الاوروبية ببلدان الشرق العربي على اثر ذلك ، فاجتمعت كل الاسباب التي تدعو العثمانيين لاعادة فرض سيطرتهم على تلك البلاد، خاصة ان السلطان كان يعتبر نفسه وارثا للخلافة العربية الاسلامية، الامر الذي بنى عليه ملكيته لشبه الجزيرة العربية، لذا نجده يضاعف حامياته في الحجاز ، ويجرد حملة على اليمن، ويعين (مدحت باشا) * واليا على العراق ، ويطلق يده في بسط نفوذ السلطان باي بأتجاه يراه مناسبا(٢) .

اسباب ارسال الحملة :

كان اهتمام العثمانيين بالخليج العربي قد اثار مخاوف الانجليز قبيل تعيين مدحت على العراق ، وتجلى ذلك بوضوح عندما قصفت مدافعهم في فبراير عام ١٨٦٦ قلعة الدمام على الساحل الاحسائي ، احتجاجا على سياسة الوهابيين في عمان . ويومها ارسل امام السعوديين الجديد (عبد الله بن فيصل) في ٢٩ مارس سنة ١٨٦٦ رسولا اسمه (عبد العزيز بن سويلم) الى والي العراق آنذاك (نامق باشا) يطلب منه العون لصد الاعتداءات المتكررة التي تتعرض لها سواحل بلاده من قبل السلطات البريطانية ، فارسل والي العراق احتجاجا الى قنصل دولة الانجليز في بغداد (كمبول) على تلك الاعمال وطلب اليه ان ينقل احتجاجه الى حكومة الهند ويطلب منه عدم تكرار الاعتداء على الاراضي العثمانية (٣)

---

(١) جمال زكريا قاسم ، الخليج العربي (١٨٤٠ـ ١٩١٤) ص١٧١.

* ولد مدحت عام ١٨٢٢ ، وتنقل في عدة مناصب في الدولة العثمانية ، فشغل منصب الوالي في عدد من مناطق الحدود مثل (نيش) والشام ، وبغداد وعلى الرغم من قلة ايام حكمه في العراق ، الا انه تمكن اقرار النظام، واجرى بعض الاصلاحات التي لا يزال يذكرها له العراقيون بالخير ، حاول تأكيد سيطرة العثمانيين على الخليج العربي بارساله حملة الاحساء ، لكنه اصطدم بموقف بريطانيا ، ضعف مركزه في العراق بعد موت صديقه الصدر الاعظم عالي باشا فعزل سنة ١٨٧٢ ، وصل الى منصب الصدر الاعظم واخيرا اتهم بالتآمر في مقتل السلطان عبد العزيز ، فنفي الى الطائف ، ومات هناك في حادث عنف سنة ١٨٨٤ ، ومن المآخذ عليه انه كان عثمانيا صميما ولم يشرك العرب والاكراد في العراق وشراكا فعليا في ادارة البلاد.

انظر : عباس العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ص٢٦٩ـ ٢٧١.

انظر ايضا : عبد العزيز نوار ، تاريخ العراق الحديث، ص٤٤٠ـ ٤٤١.

وانظر ايضا : لونجرك ، ص٣٥٨ـ ٣٥٩.

(٢) ديكسون ، الكويت وجاراتها ، ج١، ص١١٧ـ ١١٨.

(٣) FO. 195, 803A. Letter No. 15 of 1866 from British Consul General Baghdad . To Lord Lynos H. B. M. s Ambassador in

ولكن بريطانيا رفضت الاحتجاج ، كما كانت قد رفضت احتجاجا مشابها عام ١٨٥٩م وادعت انها تتعامل مع الامراء السعوديين على انهم امراء مستقلون ، لا كأتباع للدولة العثمانية (١) ولقد نقل (كمبول) وجهة نظر والي العراق الى سفير بريطانيا في القسطنطينية (اللورد ليونز) (Lord Lyons) واخبره بأن الموفد السعودي الى العراقة ، سيواصل سفره الى القسطنطينية ليشرح وجهة نطره للباب العالي ، وحذر (كمبول) في رسالته تلك من أن (نامق باشا) يعتزم البدء بتنفيذ سياسة جديدة تتعلق بالكويت وبعض الموايئ الاخرى على الساحل الغربي للخليج، هدفها تقوية الرابطة بين هذه الموانئ والدولة العثمانية (٢) .

ولما كان كمبول يراقب بحذر نشاط العثمانيين في الخليج، فلقد بعث في ٢٣ يناير عام ١٨٦٧م رسالة الى وزير الدولة في حكومة الهند، يخبره فيها بأن (نامق باشا) قد مد سلطته لتشمل الكويت والزبير، (واضاف بأن الكويت تعتمد في ازدهارها التجاري على ميناء الحر وتجارة النقل التي تمارسها سفنها، وان الحكم الابوي الذي يمارسه شيوخها، ساعد في ابعاد شعبها عن امتهان القرصنة التي كانت تتميز بها المجتمعات البحرية الاخرى في الخليج ، واوضح (كمبول) ان مطالب العثمانيين لا تتعدى طلب زكاة اسمية ضئيلة ولكن اذا حاولوا استخدام اي شكل من اشكال الادارة في الامارة ، فربما يؤدي ذلك الى مقاومة سلبية يقوم بها سكان الامارة، واذا ما خشي شيوخها ان يطبق الاتراك ذلك بالقوة ، فمن المحتمل ان يطلب سكانها الحماية بلجوئهم الى اماكن افضل(٣).

وفي رأيي ان (كمبول) كان يلمح لحكومة الهند لكي تبذل جهدا اكبر للاهتمام بشؤون الكويت لكي لا تقع تحت النفوذ العثماني المباشر وحتى لا ينطلق العثمانيون منها الى امارات الخليج العربي الاخرى، لذا نجده يضيف في رسالته تلك انه سيراقب نشاط (نامق باشا) واذا ما سنحت له الفرصة لمقابلته فإنه سيؤكد له ان حكومة صاحب الجلالة لن تنظر بدون اكتراث لتلك النوايا التي تعتزم زعزعة العلاقات بين بريطانيا والامارات العربية المستقلة التي تربطها بها معاهدات تمتد لاكثر من خمسين سنة (٤) .

وهنا يبدو واضحا ان السلطات البريطانية كانت قلقة جدا من محاولات الدولة العثمانية تجديد نشاطها ومد نفوذها الى اطراف امبراطوريتها العجوز . ولذا كان تعيين مدحت باشا واليا على العراق ـ وهو الرجل الذي عرف بمحاولاته المتكررة لاصلاح نظام الدولة ودستورها، وغيرته على تجديد نشاطها ـ حدثا هاما بالنسبة للعلاقات العثمانية البريطانية في الخليج . وقد حرص (مدحت باشا) بالفعل منذ توليه

Constintinople, dated 18th April 1866.

(١) جمال زكريا ، المصدر السابق ، ص١٧١.

(٢) FO. 159,803. A. Letter No. 15. Op. Cit .

(٣) FO. 195,803. A. Letter No. 2 of 1867. From Kemball to the Secretary of the Government of India , dated 23rd . Jan . 1867.

(٤) Ibid

ولاية بغداد على تبني فكرة رجال الاصلاح العثمانيين الذين كانوا يدعون الى التوجه بأنظارهم الى الاقطار الآسيوية من الامبراطوريات لكي يعوضوا ما خسرته الدولة في البلقان . لقد اخذ مدحت على عاتقه ، مد سيطرة الدولة العثمانية على بلدان الخليج ، لتشمل الكويت وقطر والبحرين ولكي يحل النفوذ العثماني المباشر محل السعوديين في حكم الاحساء ونجد(١) . وهكذا قدم الصراع على السلطة في نجد بين (عبد الله بن فيصل) واخيه سعود فرصة سانحة لمدحت باشا لكي يحقق اهدافه وذلك عندما تمكن (سعود) من اقصاء اخيه عن العرش ، فراح الاخير يستنجد بوالي بغداد الذي بدأ على الفور بالاستعداد لارسال حملة عسكرية الى الاحساء ونجد، هدفها الظاهري اعادة (عبد الله) للحكم ، لان الدولة العثمانية اعتبرته حاكما شرعيا معينا من قبلها كقائمقام لنجد وتوابعها (٢) .

هنا يحسن ان نتوقف قليلا ونتساءل هل كان (عبد الله) معينا بفرمان سلطاني منذ توليه السلطة عام ١٨٦٥م ؟ ام ان ظروف الصراع مع اخيه قد دفعته للاستنجاد بالعثمانيين فاستصدروا فرمانا بتعيينه قائمقاما لنجد لكي يتاح لهم التدخل لصالحه؟

ان الاجابة الشافية على هذه التساؤلات يجب ان تعتمد على الوثائق العثمانية، ومع هذا فبامكاننا ان نجيب على تلك التساؤلات اعتمادا على الوثائق الانجليزية المتعلقة بالموضوع . ففي رسالة من (احمد توفيق باشا) والي بغداد عام ١٨٦١ موجهة الى (كمبول) القنصل البريطاني في بغداد، نجده يحتج على سياسة المقيم السياسي البريطاني (فلكس جونز) الذي كان قد هاجم الدمام التابعة لفيصل بن تركي ، ولقد صرح والي بغداد في احتجاجه بأن (فيصل بك) قائمقام عثماني وان الدمام ارض عثمانية لا يحق للبريطانيين مهاجمتها (٣) وكان (كمبول) قد ارسل نسخا من تلك الرسالة مع تعليقه عليها الى كل ممن السفير البريطاني في القسطنطينية والي حاكم الهند، وقد اكد في رسالته انه لا يستطيع إنكار ان الامير السعودي تابع للدولة العثمانية وان منطقة الدمام تابعة له(٤) .

ومما تقدم نستنتج ان (فيصل بن تركي) كان يعتبر قائمقاما عثمانيا وان السلطات البريطانية لم تستطع انكار ذلك ، وهكذا يمكن اعتبار ابنه (عبد الله) ووريثه في الحكم ، تابعا للدولة العثمانية بالوراثة كقائمقام من وجهة النظر العثمانية ، كما يؤكد لنا ذلك ، ان (فيصل) كان يدفع مبلغا من المال لشريف مكة الذي كان بدوره تابعا رسميا للدولة العثمانية . ولما جاء عبد الله للحكم راح يستنجد بوالي العراق العثماني آنذاك (نامق باشا) ويعترف بتبعيته للدولة العثمانية لتساعده ضد تدخل الانجليز في بلاده، ولكن السلطات العثمانية آثرت عدم التورط بالدخول في صراع مع البرطيانيين آنذاك(٥) لأن عبد الله لم يقترح ان يخضع للباب العالي كلية ويتخلى عن سيادته على نجد والارجح ان كلا من نجد والاحساء كانت تعتبر تابعة للدولة العثمانية في السابق. واما عن تعيين (عبد الله) كقائمقام عثماني بفرمان رسمي فاني ارجح

---

(١) جمال زكريا قاسم ، الخليج العربي (١٨٤٠- ١٩١٤) ص١٧٤.

(٢) Kelly , Britain and the Persian Gulf , p. 718.

(٣) IOR. / R/ 1/ 0/ 161. From Ahmed Tawfik Pasha . Governor General of Baghdad to Colonel A.B. Kemball , dated 25th Jamadelawal 1278.

(٤) IOR-R-15/1/0/161
From Kemball to the Secretary to Government of India dated 4th December 1861.

(٥) Fo. 195/803 A. Letter No. 15 of 1866.
From Herbert to Lord Lyonen , dated April 18th 1866.

انه تم بعد مراسلته لمدحت باشا، وذلك لكي يبرر مدحت تدخله في نجد والاحساء لانقاذ عامل من عمال الدولة استنجد به [١].

٢. معارضة الانجليز للحملة :

كانت استعدادات مدحت تجري بتكتم شديد وبسرعة فائقة على غير عادة الولاة العثمانيين ، اذ حذر مدحت اتباعه من وصول المعلومات للانجليز فلم يعلم بها قنصل الانجليز في بغداد ، وكانت السلطات البريطانية قد علمت بها في اواخر ديسمبر عام ١٨٧٠من خديو مصر آنذاك (اسماعيل باشا) الذي كان (عبد الله بن فيصل) قد ارسل اليه يتوسل اليه فيها ان يتوسط له لدى الباب العالي لكي يساعده في اعادته للحكم ، ولقد اتهم (عبد الله بن فيصل) في رسالته تلك السلطات البريطانية في الخليج بأنها تطمع في الاستيلاء على احد المراكز الهامة على ساحل الاحساء، كالدمام او القطيف، وان (بلي) قد عرض عليه ذلك وعندما رفض ، اخذ المقيم البريطاني يقدم المساعدة لأخيه سعود حتى تمكن الاخير من طرده من عرش بلاده[٢] . ولقد اثبتت هذه الرسالة ايضا اعتراف (عبد الله بن فيصل) بتبعيته للباب العالي، وان الاراضي التي كان يملكها تعود ملكيتها للدولة العثمانية[٣] . وعندما علمت السلطات البريطانية بانباء تلك الاستعدادات سارعت تستفسر وتتقصى اخبارها، فأرسل اللورد (جرانفيل (Cranville)) وزير الخارجية البريطانية آنذاك الى السير (هـ . اليوت) السفير البريطاني في القسطنطينية مستفسرا عن ذلك. كما أنه أبرق الى القنصل البريطاني في بغداد (هربرت) لنفس الهدف ، وأكد كلاهما في يناير عام ١٨٧١م أن لا اساس من الصحة لتلك الشائعات [٤] وفي ٢٢ فبراير سنة ١٨٧١ بعث (اليوت) برسالة اخرى الى وزير الخارجية يخبره فيها بأنه بناء على الرسالة التي تلقاها من (هربرت) في بغداد قام بنفسه يتقصى الحقيقة من المصدر الاعظم (عالي باشا) الذي اكد له ان ليست هناك اية نية في احتلال اي مركز في الخليج او القيام باي حملة عسكرية ، وعندما استفسر (اليوت) منه عن تعزيز الوجود العثماني في مياه الخليج اكد (عالي باشا) ان السلطات العثمانية رأت انه من الافضل بعد انتهاء حملة اليمن الابقاء على مركبتين حربيتين في مياه الخليج ، وان ليس لذلك اي علاقة بما يشاع عن وجود حملة تعد في بغداد لارسالها الى الاحساء[٥] ولكن السلطات البريطانية لم تأخذ تلك التأكيدات أمرا مسلما به ، بل ظلت

---

(١) IOR. L/P-S/18.Vols.: 91- 160. Paragraph (10) p.7&8.
انظر لوريمر ، المصدر السابق ، ج٣، ص١٦٨٠.

(٢) عبد العزيز نوار ، المصدر السابق ، ص٤١٣، ٤١٧.

(٣) جاء في نص رسالة عبد الله بن فيصل الى اسماعيل باشا خديوي مصر ما يلي (. . . وصل الى طرفنا بنجد (بلي pelly) قنصلوص الانجليز بخليج فارس ومعه هدية ، وقد فهمنا ان مراد نعطيه مركزا في ساحل البحر ، اما البحرين او الدمام او بعض القطع غيرها (فاعتذرنا له) وارجعنا هديته ، حيث ان هذه الاماكن التي في يدنا من الممالك المحروسة الراجعة الى خليفة رسول الله السلطان . . . ورجع عنا يائسا . . . وكان سعود قد استجلبه القنصولوص اليه فأفسده وأغراه . . . وامده بما (يقضي) له من الذخيرة والمهمات . . . والنقود بواسطة البحرين ، ولما رأينا الامر بهذه الصورة ، انتصرنا بالله ، ثم بدولتنا وعرضنا الحال على والي بغداد .)
نقلا عن عبد العزيز نوار ، المصدر السابق ص٤١٣.

(٤) J.B. Kelly , Op. Cit . P.718.

(٥) Fo.78/2173.Letter No.98
From H. Elliotto Lord Granville , dated 22nd . February, 1871.

تساورها الشكوك في اقوال المسؤولين العثمانيين، ولقد كانت تلك الشكوك في محلها اذ تبين لسفير بريطانيا في القسطنطينية في اواخر شهر مارس سنة ١٨٧١ صحة الاشاعات الدائرة حول اعتزام الباب العالي ارسال حملة الى نجد لأعادة (عبد الله) الى الحكم، ففي مقابلة للسفير مع الصدر الاعظم ، اكد له الاخير ان (عبد الله) كان قائمقام لنجد، ولا يمكن ان ينظر الباب العالي دون اكتراث للعدوان الذي يواجهه أناس يمارسون السلطة بأسم السلطان، ولقد فهم (اليوت) من ذلك ان الدولة العثمانية قررت مساعدة عبد الله ضد اخيه سعود ، لذا أبرق (اليوت) الى (هربت) في الفاتح من ابريل عام ١٨٧١ يخبره بذلك ، وبعد ذلك بيومين ارسل (اليوت) برقية الى الخارجية البريطانية يعلمها فيها بانه قد تأكد بشكل قاطع، موافقة الباب العالي على طلب المساعدة الذي كان قد تقدم به عبد الله بن فيصل. ولكن (اليوت) اكد في نفس الوقت انه حصل من الصدر الاعظم على تأكيدات جديدة بأن العثمانيين لا ينوون القيام بعمليات بحرية في الخليج ، ولكن نظرا لصعوبة ارسالة الحملة عبر الصحراء، لذا فإن القوات العثمانية ستنقل بحرا الى وجهتاها(١) .

كان (مدحت) وراء الاصرار على ان تنقل المعدات مع قسم من رجال الحملة بواسطة السفن بحرا، لكي يضمن سلامة وصولها، خوفا من ان تتعرض لغارات اعراب البادية يناصرون (سعود) والذين لا يستبعد ان يكونوا قد اقاموا الكمائن لها على طول الطريق الصحراوي، وهكذا اثبت (مدحت) بعد نظره في هذه الناحية فلم ينس الدرس القاسي الذي تلقته القوات العثمانية التي زحفت من العراق الى الاحساء زمن والي العراق العثماني سليمان الكبير، الذي كان قد ارسل حملة لاستعادة الاحساء من قبضة الوهابيين ولكن البدو كانوا قد نهبوا معظم معداتهم وارزاقها فعادت بخفي حنين(٢) . ولقد اثبت مدحت بعد نظرة ايضا حينما ارسل الى الاحساء بعض عيونه ، واشترى لهم سلعا، فذهبوا الى هناك على هيئة تجار ، حيث اقاموا هناك شهرين، رصدوا خلالها تحركات قوات (سعود بن فيصل) ووقفوا على اخبار موقعها، وقلاعها وتحصيناتها، وعادوا الى مدحت باشا يقدمون نتائج رحلتهم تلك ليكون على علم تام بإتجاه قواته في سيرها، والاماكن التي سترسو فيها سفن الحملة ، والقلاع التي ستهاجمها ، والطرق التي ستسلكها، وكان بذلك يضمن انه لا يرسل تلك الحملة الى المجهول، ويتركها فريسة لغارات البدو ، ومجاهل الصحراء، وكمائن قوات (سعود بن فيصل)(٣) .

هكذا كانت الامور قد افلتت من ايدي السلطات البريطانية التي حاولت جهدها ان تمنع ارسال تلك الحملة ، ولكنها عندما تأكدت ان لا مفر من ذلك راحت تستفسر في هذه المرة عن وجهة الحملة وقد انتاب السلطات البريطانية قلق شديد ، لأنها كانت قد تلقت في مارس من العام الماضي ١٨٧٠ تصريحا خطيرا لمدحت باشا ، اعتبر فيه ان البحرين تابعة لنجد ، وانها بدورها تابعة للدولة العثمانية (٤) ولذا اصبحت مهمة السلطات البريطانية ان تعرف قبل كل شيء اذا كانت الحملة ستتعرض للبحرين ام لا ؟ ففي ٢٢ ابريل وهندما بدأت قبل يومين سفن تلك الحملة بالابحار من البصرة صوب ساحل الاحساء ، ابرق (هربرت) الى (اليوت) قائلا : (. . . أنه يقال لو نجحت حملة نجد، فأنها ستسير لاحتلال البحرين

FO. 78/2174.Telegram No.141.
(١) From Sir H. Elliot to Lord Granville , dated April 3rd . 1871.
(٢) مذكرات مدحت باشا ، ص١٧٥.
(٣) نفس المصدر السابق ، ص١٧٤ـ ١٧٥.
(٤) IOR.L/p-S/18. Vols.91-160.
Nejed Expedition Precies (Paragraph 10) P. 6.

ومسقط وساحل الجزيرة العربية . . .)(١) ، وبعد ان اتصل (اليوت) بالمسؤولين العثمانيين عاد من جديد يتصل ب(هربرت) وبوزير الخارجية البريطانية بأن الباب العالي اكد له انه لا يعتزم التعرض لتلك البلدان (٢) . وفي ١٢ مايو ١٨٧١ قام (المستر بيساني) السكرتير الاول بسفارة الانجليز في العاصمة العثمانية بمقابلة الصدر الاعظم (عالي باشا) وقدم له مذكرة اخبره فيها بأن المعلومات الواردة اليه من بغداد تفيد بأن مدحت باشا يحاول ان يجلب انتباه الباب العالي الى ما يحدث في نجد وما وراءها من الاقاليم، ويرغب في بسط نفوذه الحقيقي على البحرين ومسقط ، والقبائل العربية المستقلة . وهذه الرغبة هي التي جعلته يقنع الباب العالي بالقيام بمثل هذه المغامرة الكبرى ، تحت ستار المساعدة التي سيقدمها (لعبد الله بن فيصل) الذي يعتبره قائمقاما لنجد، ولقد اضاعت تلك المذكرة ان العامل الاساسي وراء تلك الحملة هو الحسد المتزايد من قبل مدحت باشا للنفوذ البريطاني في الخليج (٣) .

وفي ظني ان مدحت باشا كان يعتقد جازما بأن السلطات البريطانية تقدم المساعدات (لسعود بن فيصل) لتركيز اقدامه في الاحساء ونجد، ولكي يكون لها النفوذ الكامل في مياه الخليج خاصة بعد ان عقدت مع قطر معاهدة سنة ١٨٦٨ وبذلك اصبحت الامارات الواقعة على الساحل الغربي للخليج من مسقط جنوبا الى البحرين شمالا ترتبط بمعاهدات مع الدولة البريطانية، ولم يبق الا سواحل الاحساء وامارة الكويت ، حيث كانت هذه الاجزاء غير مرتبطة بالانجليز وبأمكانه ان ينطلق منها لتوسيع نفوذ بلاده في الخليج. وكان مدحت باشا قد اعلن صراحة في ابريل عام ١٨٧١ ان السيادة العثمانية اصبحت ممتدة لتشمل نجدا، وان حملة ستزحف لتثبيت (عبد الله بن فيصل) كقائمقام عثماني، واكد مدحت ان الهدف من الحملة، ليس الاستيلاء على نجد بل لتوثيق الروابط القائمة بينهما وبين الدولة العثمانية، وكبح جماح (سعود بن فيصل) وانهاء اعماله العدوانية (٤) . وفي ١٧ مايو كانت الانباء الواردة من القسطنطينية الى (هربت) تؤكد من جديد ان (عالي باشا) قد أكد للسيد بيساني ان الحملة لن تتدخل في الشؤون الداخلية لأية امارة مستقلة في الخليج ، دون ان ينسى التأكيد بأن نجد جزء لا يتجزأ من ممتلكات السلطان وان (عبد الله بن فيصل) لا يحكمها حكما مطلقا ، وانما يمارس عمله كموظف عثماني (قائمقام) بناء على فرمان سلطاني كان قد صدر سابقا، واضاف الصدر الاعظم بشيء من الامتعاض والتأفف لذلك الاهتمام المتزايد من جانب المسؤولين البريطانيين بشأن هذه الحملة، واكد للسيد بيساني ان ينقل لحكومة جلالتها انه ليست هناك اي نوايا لمد السيطرة العثمانية على البحرين او مسقط ، او على القبائل العربية المستقلة في جنوب الخليج وانه لا يعتزم مهاجمتها او اخضاعها، واضاف مؤيدا تصريح مدحت بأن هدف الحملة هو مصالحة الاخوين (عبد الله وسعود) ومنع الشغب واستعادة الهدوء والطمأنينة في تلك النواحي(٥) وعندما وصلت هذه التأكيدات ، اسرع هربرت لمقابلة (مدحت باشا) واخبره عن رضى الحكومة البريطانية وحكومة الهند عما تلقته من الباب العالي ، وعاد (مدحت) يطمئن هربرت من جديد ويؤكد له ايضا ماصرح به الصدر الاعظم للموظفين في السفارة البريطانية في القسطنطينية (٦) . وعلى اثر ذلك سارعت الحكومة البريطانية بنقل تلك التأكيدات لمقيمها في الخليج (لويس بلي) الذي راح يطمئن

---

(١) Ibid . P. 6.

(٢) Fo.78/2174. Telg . No.171.
From S. H. Elliot to Lord Granville , dated , 26th April 1871.

(٣) IOR. /L/p-S/18.Vols .: 91- 160. Paragraph 10.
Nejed Expedition precies , p. 7&8.

(٤) جمال زكريا قاسم ، المصدر السابق ، ص١٨١.

(٥) IOR/L/p-S/18. Vols.:91-160.
Nejed Expedition précis paragraph 10. p.6.
انظر ايضا : Kelly . Op. Cit. p.723.

(٦) IOR/L/P-S/18. Op. Cit. Parapraph (11) p.8.

شيوخ الامارات المتعاهدة مع بريطانيا بأن الحملة لن تتعرض لهم، وراح يطلب منهم بناء على اوامر حكومته ان يزودوه بالعقود المبرمة بينهم وبين بريطانيا، لكي يطلع عليها الباب العالي ومدحت باشا، اذ كان (مدحت) خاصة ينكر استقلال تلك الامارات ، ويعتبر بلدان الخليج عثمانية ليس لبريطانيا الحق في السيطرة عليها(١) .

وفي ٢٥ مايو قدم الكولونيل (بلي) تقريرا يفيد بأن فئة التجار متخوفة من خسارة اللؤلؤ بسبب الحملة ، كما انه استفسر في تقريره ذلك عما اذا كان بأمكان القبائل المستقلة والموقعة على معاهدة السلم البحري ان تمارس اعمالا حربية لصالح اي من الطرفين المتنازعين، ولقد ردت عليه حكومة الهند في ٣٠ مايو ١٨٧١ وطلبت اليه ان يخبر رؤساء القبائل المستقلة في الخليج بأن الحكومة التركية لا تعتزم مهاجمتهم، وكلف (بلي) ايضا بأن يطمئن المهتمين بالغوص وتجارة اللؤلؤ بان مصالحهم ستكون في أمان وان السلطات البرطيانية ستقوم بحماية تلك المصالح. وطلبت الحكومة البريطانية من (بلي) ان يسارع الى البحرين على ظهر السفينة (Hugh Rose) وبصحبته كل من السفينتين (Magpe) و(Bullfinch) وعليه ان يؤكد هناك لشيخ البحرين ان بريطانيا ستفي بتعهداتها بحماية البحرين ، ما دام شيخها مراعيا لمواد معاهدة ١٨٦١ (٢) .

وفي ٢٦ مايو طلبت حكومة الهند من (هربرت) ان يستفسر من مدحت عما اذا كانت قد صدرت منه اوامر للحملة بالتدخل في شؤون القبائل القاطنة على سواحل الخليج العربي ، وهل سوف تدعو السلطات العثمانية شيوخ تلك القبائل لمشاركتهم في عمليات الحملة ، وكان رد (مدحت) غامضا نسبيا ، اذ عاد فأكد ان هدف الحملة هو استخلاص الاحساء من (سعود) واعدتها (لعبد الله) واما البحرين فليست الآن موضوع بحث ، وعلق مدحت على الاوامر التي وصلت (بلي) من حكومة الهند بأنه مخول لحماية مصالح صيادي اللؤلؤ، فقال بأن ذلك ايضا من واجبات حملته على الاحساء ، واذا ما قام (بلي) بواجبه في هذا المجال فأنه يستحق الشكر على ذلك(٣) وبعثت حكومة الهند تستفسر من جديد عن القبائل المشتركة في الحملة ، واجاب (هربرت) بأن مدحت أكد له عدم اشتراك اي قبيلة غير الكويت التي تطوع شيخها بمرافقة الحملة وبمدها بأسطول من السفن والقوارب التي ساعدت في نقل المعدات والجنود ، وأما عن القبائل الاخرى فلم تجر السلطات العثمانية اي تصال معها(٤) ، وأما عن الجهة التي ستتوقف عندها الحملة فقد افاد (هربرت) بأن الانزال ربما يكون في القطيف او العقير ، وان مدحت باشا لا يرى ضرورة لاصدار اوامر جديدة بمنع نزول قوات الحملة في غير الموانئ التي حددها لها اولا، ذلك لانه كان قد اصدر اوامر صارمة للقائد العثماني لتلك الحملة مبينا له الاماكن التي سيستعملها لرسو سفنه (٥) . وهكذا عندما علم (سعود) بأن الكويت تشترك في الحملة طلب من (بلي) السماح له باستخدام البحر للعمل ضد السفن الكويتية، ولما كانت الكويت والدولة العثمانية لم يسبق لهما التوقيع على معاهدات السلم

---

(١) محمود علي الداود ، الخليج العربي والعلاقات الدولية ، ج١، ص٢٣.

(٢) IOR/L/P-S/18. Vols.: 91- 160.
Nejed Expedition Precise . Paragraph 14. P. 9.

(٣) FO/78/2176. From Medhat to Herbert , dated 1st June 1871.

(٤) IOR/L/P-S/18 Vols: 91-160.
Nejed Expedition Paragraph 16. p.10.

(٥) Ibid , Paragraph 19. P. 11.

البحري لذلك اقترح بلي على حكومة الهند ان توافق على طلب سعود، ولقد وافقت بالفعل ولكنها ادركت ان ذلك سيعرض الامن في الخليج للخطر ، فراحت ترفض طلب (سعود) مع علمها بأن ذلك ضد مصالحه ولكنها كانت تخشى ان يعمل (سعود) على تجميع القبائل الموقعة على معاهدات السلم البحري ويكون منها حلفا لمقاومة الحملة في عرض البحر وبذلك يكون ما عملت من أجله بريطانيا طويلا قد انتهى وتمردت كل قبيلة وعادت الفوضى واضطرب الامن [١] . ولذلك عندما كانت الحملة قد اقتربت من سواحل الاحساء في ٦ يونيو سنة ١٨٧١ كانت حكومة الهند قد بعثت الى (بلي) تطلب اليه ان يأمر جميع رؤساء القبائل في الخليج والذين تشملهم معاهدة السلم البحري بالامتناع عن الانضمام الى اي من الفريقين المتصارعين . وقد نقلت تلك الانباء للصدر الاعظم العثماني، الذي عبر عن شكره لذلك واوضح بطريقة لا تحتمل التأويل ان الباب العالي لا يفكر في القيام بعمليات بحرية وليست النية لتقديم اي مساعدة لاي من الحكام الذين تشملهم المعاهدة البحرية. وفي نفس الوقت ، اعلن الصدر الاعظم ان الباب العالي الذي لا يعترف بتلك المعاهدة غير ملزم بما جاء فيها ويمكن ان لا يتردد في قبول خدمات اي حاكم من حكام الخليج يعرض نفسه على العثمانيين[٢] . ولذلك سارعت وزارة الخارجية البريطانية بتزويد سفيرها في الاستانة بنسخ من الاتفاقيات المبرمة مع شيوخ الخليج وطلبت اليه ان يطلع الباب العالي عليها ليكون على علم بها، وطلبت اليه ايضا اخبار الباب العالي بأن الحكومة البريطانية تنوي ان تلزم الشيوخ بتعهداتهم [٣] . ولم يكن الانجليز وحدهم هم المتهمون بحملة الاحساء فلقد اثارت اخبار تلك الحملة مخاوف الفرس فارسل الشاه الى وزير الخارجية البريطانية في ١٤ مايو ١٨٧١ مستفسرا عن طبيعة الحملة ، ولقد اجابت الحكومة البريطانية سفيرها في طهران السيد (Alison) أن بأمكان الشاه الاعتماد على ماصرح به الصدر الاعظم ، من الباب العالي لاينوي بسط السيادة العثمانية على البحرين ومسقط [٤] .

سير الحملة :

هكذا لم تجد الاعتراضات البريطانية نفعا ، ومهما نشطت السلطات البريطانية الا ان الحملة قد سارت حسب الخطة المرسومة لها والتي كان مدحت باشا هو العقل المدبر والمنظم لها، فغادرت الحملة البصرة يوم ٢٠ ابريل وزحفت جموعها المكونة من خمسة طوابير من المشاة مع فرقة الفرسان وعدد من رجال

---

(١) عبد العزيز نوار ، تاريخ العراق الحيدث ، ص٤٢٠- ٤٢١.
انظر ايضا : Kelly .Op .Cit . P. 727.
(٢) FO. 78/2175. Letter No. 225
From Elliot to Herbert . dated 8th June 1871.
(٣) IOR/ L/ P-S/18-Vols.: 91-160.
Nejed Expedition Precies .Paragraph 17. p.11.
(٤) Ibid, Paragraph 20, P. 12.

المدفعية تحت امرة الفريق (نافذ باشا) الذي اصطحب معه شيخ المنتفق وفرقة من فرسان عشيرته تقدر بالف فارس كانوا قد تطوعوا في الحملة ، كما إنضمت للحملة أعداد من مجندي القبائل الاخرى في العراق كانوا قد اجتمعوا في بلدة (الزبير) ورافق القائد في حملته (محمد سعيد افندي) ابن نقيب الاشراف في البصرة ، وكذلك (الشيخ عبد الله الصباح) حاكم الكويت آنذاك ، واخوه الشيخ مبارك الذي قاد متطوعي الكويت في الحملة ، وهكذا نرى ان العثمانيين اصطحبوا معهم عددا من فرسان وجنود العرب الذين خبروا المنطقة جيدا وعلموا مجاهلها، بالاضافة الى استعانتهم بسفن الكويت وقواربها التي شاركت في نقل معدات الحملة وفي عمليات الاحتلال للساحل الاحسائي . وكانت سفن الكويت المشتركة تقدر بحوالي ثمانيين قاربا وسفينة. وكانت السفن العثمانية الرئيسية في الحملة هي (السفينة بروسة) وكانت مسحة بـ ٢٣ مدفعا، والسفينة (نينوى) التي كانت مسلحة تسليحا حديثا وعلى ظهرها اربع مدافع كبيرة ، وسفينة الحراسة (خوجة بك) (Khoja Bey) وعليها ١٨ مدفعا، وكانت هناك ثلاثة سفن اخرى رافقت الحملة وتسليحها مكون من ٤، ٦، ١٢ مدفعا على التوالي .

ابحرت تلك القوات بصحبة الفريق نافذ باشا وشيخ الكويت (عبد الله ابن صباح) وسار فرق المشاة برا وكان على رأس المجموعة الكويتية الشيخ (مبارك ابن صباح) ورافقته قطاعات من الجيش العثماني ومتطوعي المنتفق [١] وقد وصلت الحملة في ١٣ مايو ١٨٧١ الى اول محطة انزال حسب مخططها، وكانت تلك المحطة هي (رأس تنورا) وبدأت عمليات الانزال في اليوم التالي ، وعلى الفور بدأت القوات تزحف نحو القطيف لكي تلتقي مع الجيش الزاحف برا ، ووصلت تلك القوات الى القطيف يوم ٢٦ مايو ١٨٧١ ، وكانت القوات الزاحفة برا قد لاقت بعض المقاومة وشعر جنودها بأن السكان يضمرون لهم العداوة ولكن مدحت كان قد بعث بإعلان لشرح اهداف الحملة للسكان، ولما تفهموا ما جاء فيه، اعربوا عن رضاهم وإرتياحهم[٢] . بدأت الحملة اعمالها العسكرية ضد مدينة القطيف التي امتنع قائد حاميتها السعودي عن الاستسلام وأكد ذلك القائد بأن (سعود بن فيصل) قد اولاه ثقته ولا يمكنه ان يخونها، وانه مصر على الدفاع عن القلعة حتى اخر لحظة ، وتعزيزا لخطته في الدفاع عن قلعة المدينة راح القائد السعودي يهدم كل المباني المحيطة بالقلعة لكي يعيق محاولة تقدم القوات العثمانية المحاصرة للمدينة ، ولما وجد العثمانيون ان لا جدوى من محاولاتهم إقناع ذلك القائد بالاستسلام ، بدات قواتهم تطبق على المدينة من جميع جهاتها، اذ حاصرتها القوات البرية من الجهات الثلاث ، وبدأت بقصفها بالمدفعية ، واما الجهة الرابعة المطلة على البحر فقد تعرضت لقصف مدفعي مركز من قطع الاسطول العثماني والقوارب الكويتية. وبعد ثلاث ساعات من القصف المتواصل تمكن العثمانيون من إحتلال المدينة بعد ان كان قائد حاميتها السعودي قد فر باتجاه الدمام بعد أن حاول جهده الدفاع عن المدينة [٣] ولكنه ادرك ان القوات العثمانية تفوقه عددا وعدة، لذا إنسحب الى الدمام وترك المدينة تستسلم للقائد العثماني الذي ما ان

---

(١) Kelly , Op. Cit. P. 720-726.
انظر ايضا مذكرات مدحت باشا ، ص١٧٦.
انظر ايضا جمال زكريا قاسم ، المصدر السابق ، ١٨٢.

(٢) FO.78/ 2167 Letter No. 28.
From Herbert to the Secretary to the Government of India ,
Dated 21st , June 1871.

(٣) FO.78/ 2167 Letter No. 28.
From Herbert to the Secretary to the Government of Bombay
Dated 21st , June 1871.

فرغ من الاستيلاء على المدينة ومخازن العتاد والذخيرة فيها حتى راح يقرأ على سكانها الاعلانا موجها اليهم من الباب العالي واهم ما جاء فيه ما يلي:

اولا : تعتبر نجد وملحقاتها جزءا من الامبراطورية العثمانية ، تماما كما هو الحال في العراق، واليمن ، ومصر .

ثانيا : ان سبب هذه الحملة هو تمرد (سعود) على اخيه (عبد الله) المعين قائمقام عثمانيا للبلاد، وان هدف هذه الحملة اعادته للسلطة .

ثالثا : سيصدر عفو عام عن (سعود) واتباعه اذا استسلم واعتذر عما بدر منه سوؤ تصرف .

رابعا : اذا رفض (سعود) الاستسلام فستقوم القوات العثمانية بتدميره مع اتباعه وكل من يقدم له المساعدة (١) .

وبعد ذلك تابعت القوات العثمانية زحفها نحو الدمام ، وفي طريقها استولت على قلعة (عنك) التي كانت تتحصن بها بعض القوات السعودية ، وبعد ان تم لها الاستيلاء على عنك تابعت تقدمها فوصلت الى الدمام وضربت عليها حصارا ولكن المدينة سقطت دون مقاومة تذكر يوم ٥ يونيو ، وبعد الاستيلاء عليها وجد العثمانيون عيها احد عشر مدفعا وكميات كبيرة من الذخيرة ، ووجدوا ان المدينة كانت محصنة بثلاث خطوط دفاعية قوية ، ولكن يبدو ان قائد الحامية التي تولت امر الدفاع عنها ادرك ان قوات العثمانيين تفوق قواته ان لا جدوى للدفاع بعدما رأى ما حصل بالقطيف، وآثر الاستسلام وبعد الاستيلاء على الدمام راح العثمانيون يضعون فيها حامية لهم مكونة من سريتين من الجنود ، وعادت باقي القوات الى القطيف واصطحبت معها (محمد بن فيصل) الذي كانت القوات العثمانية قد اطلقت سراحه من سجنه في الدمام في اعقاب احتلاها ، بعد ان أمضى في سجنه ذلك منذ ان وقع في الاسر في اعقاب معركة (جودة) عام ١٨٧٠(٢) . كانت خطة العثمانيين ان يركزو وجودهم على الساحل حتى يحافظوا على خطوط مواصلاتهم ثم من ذلك الساحل ينطلقون الى الداخل نحو الهفوف والرياض، ويبدو ان (سعود) كان يرمي الى إستدراج القوات العثمانية الى داخل البلاد حيث الصحراء . وإمكانية العمل من اتباعه من بدو العجمان وغيرهم تصبح اكثر سهولة من مقابلة العثمانيين في معركة مباشرة ووجها لوجه على الساحل ، وفي ظني ان هذا كان احد الاسباب التي دعت القوات السعودية الى الاستسلام في الدمام بسهولة رغم وجود ذخائرها وتحصيناتها المنيعة(٣) .

وفي اوائل يوليو بدأت قوات العثمانيين تزحف نحو عاصمة الاقليم (الهفوف) ولقد استغرقت الطريق معهم اكثر من اسبوعين رغم عدم وجود مقاومة عنيفة ، ولكن يبدو ان الشمس المحرقة كانت تعوق سرعة تقدمهم ، كما ان الامراض قد تفشت بين الجنود خاصة مرض الملاريا والكوليرا، الذي فتك بحوالي ٤٠٠ جندي منهم، وكان حوالي ١٠٠٠ جندي قد اصيب بالمرض من مجموع القوات الزاحفة نحو واحة الحسا والتي كانت تقدر بحوالي ٢٥٠٠ رجل ولم يكن الجنود الذين ظلوا في حاميات القطيف والدمام بأحسن حال ، اذ تفشى المرض بينهم ايضا(٤). ومهما يكن من امر فقد وصلت طلائع القوات الزاحفة الى مشارف الهفوف حيث راح القائد العثماني يوجه لأهالي المدينة إعلانا مشابها لذلك الذي اعلنه في القطيف وطلب اليهم الاستسلام وعدم المقاومة وابداء الطاعة، وقطع على نفسه عهد الله لا يمس احد منهم بأذى، بل سيحافظ على ارواحهم وممتلكاتهم ، ولكنه حذر من ان اي عصيان او مقاومة

---

(١) Kelly , Op. Cit . P. 726.
انظر ايضا جمال زكريا قاسم ، الخليج العربي (١٨٤٠- ١٩١٤) ص١٨٤.

(٢) FO/ 78/ 2176 . Letter No. 28. Op. Cit. dated 21st June 1871

(٣) Kelly Op. Cit . P. 726.

(٤) Ibid , P. 729 .

من شأنها ان تقلب الكفة ضدهم اذ جاء في الاعلان (. . . فمن استقبلنا بالطاعة نقابله بعهد الله وامانة على نفسه وماله، ونبذل دونه الرعاية والحماية، ومن يستقبلنا بالعصيان وعدم الطاعة فسنسحقه بحول الله وقوته بسنابك خيلنا ونجعل داره تدعو عليه بالثبور والويل . . .)(١) . ولقد ادرك السكان ان لا فائدة من المقاومة بالاضافة الى ان احوالهم كانت من السوء لدرجة دعتهم ان لا يفكروا في مثل تلك المقاومة ، حيث ان اتباع سعود من العجمان كانوا قد أساؤوا معاملة سكان المدينة في الفترة التي كانوا يسيطرون فيها على الاقليم اضف الى ذلك ان قسما كبيرا من سكان الواحة هم من (بني خالد) الذين اعلنوا انضمامهم للسلطات العثمانية ، فقد لاحت لهم بارقة امل من جديد بعودة الادارة في الاقليم اليهم. ولذا دخلت القوات العثمانية (الهفوف) عاصمة القيم الاحساء بعد ان هرب نائب سعود عليها (فرحان ابن خير الله) وعلى اثر ذلك دخل الفريق محمد نافذ باشا الى كوت الهفوف يوم ١٩ ربيع الاخر سنة ١٢٨٨ هـ(٢) . وفي تلك الاثناء كان الاخوان (سعود) و (عبد الله) مازال يتصارعان من اجل السلطة التي بدأ يفقدانها جميعا بزحف العثمانيين على الاحساء، وكان سعود قد إستطاع ان يهزم عبد الله مرتين ويستولي على العاصمة (الرياض) التي كان عبد الله قد عاد اليها مستغلا فرصة غياب اخيه سعود الذي كان يراقب تقدم القوات العثمانية في الحسا، وعلى اثر ذلك التجأ عبد الله الى الاحساء حيث كان (محمد نافذ باشا) قد ارسل اليه، واعتذر (عبد الله) للقائد العثماني عن تأخره في الوصول الى معسكر العثمانيين الذين جاؤوا لمساعدته متذرعا بعدم امن الطريق، وفي اثناء اقامة عبد الله في الحسا تبين له ان العثمانيين لم يأتوا لمساعدته وانما لغايات اهمها وضع البلاد تحت سلطتهم الفعلية ، فتحين الفرصة ، وغامر هاربا هو وابنه واخوه (محمد) وكان (سعود) في تلك الاثناء يواجه ضغطا متزايدا من اهل الرياض الذين ملوا من تدخلات اتباعه في شؤونهم الخاصة فتمردوا عليه وطردوه من الرياض وعينوا بدلا منه عمه (عبد الله بن تركي) الذي ارسل الى الفريق (نافذ باشا) يخبره بالامر فأرسل القائد العثماني له رسالة يثبته فيها مديرا للرياض نيابة عن (عبد الله) القائمقام (٣) العثماني للبلاد. ولكن سعود اسرع فجمع اعدادا من العجمان من اتباعه وهاجم العثمانيين في الحسا ولكنه اندحر . ولم يتمكن من أحراز النصر فلاذ مع جماعة من اتباعه الى المناطق القريبة من قطر (٤) . وفي نفس الوقت الذي كانت فيه القوات التركية تتقدم نحو واحة الاحساء في يوليو عام ١٨٧١ بدأ الاتراك بتوسيع عملياتهم الى الجنوب والشرق حتى وصلت الى قطر ، وربما كان ذلك خطة لحماية طريق مواصلاتهم ما بين واحة الاحساء والقطيف من جهة، وما بين ساحل الاحساء والبصرة من جهة اخرى، خوفا من عمليات البدو الذين كانوا يغيرون على قوافل التموين برا. وتخوفا من ان ينجح سعود في العمل ضد قواتهم بحرا. ومن هنا ندرك ان الحملة كان قد درست وخطط لها مسبقا في القسطنطينية او أن مدحت كان قد اعد خطتها مسبقا وارسلها فنالت

---

(١) محمد عبد القادر الانصاري ، تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء في القديم والجديد ، ج١، ص١٧١ .

(٢) الانصاري ، المصدر السابق ، ص١٧٢ .
انظر ايضا جمال زكريا ، المصدر السابق، ص١٩١.

(٣) لوريمر ، دليل الخليج ، ج٣، ص١٦٨١.

(٤) FO. 195/949. Letter No . 58. From Herbert to Elliot , dated 1st December 1871.

موافقة صديقه الصدر الاعظم (عالي باشا) لأن التقدم بالقوات العثمانية نحو قطر كان ولا شك سيخلق نوعا من الصراع مع الدولة البريطانية التي كانت قد عقدت معاهدة مع قطر عام ١٨٦٨ والتي كانت تنظر الى توسيع اعمال العثمانيين في مياه الخليج كخطر يهدد مركزها الممتاز ونفوذها في بلدان الخليج[١] . ولكي يمهد لتوسيع نطاق حملته اعلن مدحت باشا في جريدة الزوراء الرسمية في بغداد في الشهر السابق للتقدم نحو قطر انه لا يوجد في نجد قبائل مستقلة ، وان هناك ثمان بلدان تابعة لنجد منها الشارقة ودبي ، وابوظبي ، وقطر ، والبحرين (وكانت السلطات البريطانية قد احتجت على ذلك الاعلان ، وطلب حاكم الهند من هربرت إبلاغ مدحت باشا ان معالجة مثل هذه القضايا يجب ان تسوى بين الباب العالي ووزارة الخارجية البريطانية[٢] . الا ان مدحت استمر في توسعه في قطر حتى رفع العلم العثماني على الرغم من ان أباه شيخ قطر كان لا يزال حيا ورفض ذلك . ولتتأكد السلطات البريطانية من تلك الخطوة ارسلت السفينة البريطانية الحربية (Hugh Rose) الى الدوحة في منتصف يوليو سنة ١٨٧١ ، وتأكد من ان العلم العثماني يرفرف على مدينة الدوحة ، واخبر ذلك القائد بأن سفينة عثمانية وبعض القوارب الكويتية كانت قد زارت الدوحة فأسرع قائد السفينة البريطانية عائدا الى (بوشهر) حيث اخبر (بلي) الذي صعق للانباء، فأرسل نائبه (ميجر سميث) (Major Smith) الى الدوحة بأن العثمانيين ارسلوا قوة برفقة الشيخ (عبد الله الصباح) شيخ الكويت ، وحاول اقناعه بالاعتراف بالسيادة العثمانية على بلاده ، ولكنه رفض الا ان ابنه (جاسم) قد وافق على طلب الاتراك، وكان هو الذي رفع بنفسه العلم العثماني على الدوحة، وعلى الفور اتصل بلي برقيا (بهربرت) وطلب اليه ان يجتمع مع (مدحت باشا) لكي يستفسر منه عما يحدث في قطر، ولقد اجاب مدحت على ذلك بأنكاره العلم بأن العلم التركي يرفرف على قطر ، ولكنه قال تأكيدات الباب العالي للبريطانيين لم تشمل قطر، وال مانع من ان تتقدم اليها القوات العثمانية بل واضاع مدحت ان البحرين كانت تدفع الزكاة للوهابيين ولذلك فهي من توابع نجد، وبهذا كان مدحت يلمح الى ان من اهداف الحملة ان تضم البحرين الى منطقة نفوذها[٣] .

كان رد مدحت من جهة ورفع العلم العثماني على ارض قطر من ناحية اخرى ينذر بأقتراب نشوب نزاع بين العثمانيين والانجليز على السيادة في الخليج ، ولقد زاد ذلك ايضاحا التصريح الذي ادلى به في (عدن) في ٢٧ اغسطس (عارف بك) قائد الاسطول العثمايني في الخليج الذي كان في طريقه الى مياه الخليج لتعزيز وجود العثمانيين هناك وكان بصحبة السفينتان (الاسكندرية) و (لبنان) ومما جاء في تصريحه ان السلطات العثمانية سترسل في القريب العاجل عشر سفن اخرى لتعزيز وجودها في مياه الخليج ، ولقد اثار ذلك اللورد (مايو) حاكم الهند الذي ابدى شديد اسفه للسياسة التي تنتهجها الدولة

---

(١) Kelly . OP . Cit . P . 730.
انظر ايضا : FO. 195/944. Letter No. 44. From Herbert to the Secretary to Government of India , dated Nov . 7th 1871.
(٢) IOR. / L/ P-S/ 18. Vols. : 91-160.
Nejed Expedition Precies . Paragraph 21. P. 12.
انظر ايضا : عبد العزيز نوار ، المصدر السابق ، ص٤٢٢.
(٣) Kelly . Op. Cit. P. 730.
انظر ايضا عبد العزيز نوار ، المصدر السابق ، ص٤٢٣.

العثمانية التي تدين في بناء اسطولها واعادة تقوية جيوشها للدولة البريطانية ، واكد (مايو) (Mayo) ان مثل ذلك الوجود للاسطول العثماني يشكل خطرا بل تحديا للنفوذ البحري البريطاني في مياه الخليج [١] .

وفي سبتمبر سنة ١٨٧١ بدأ البريطانيونن يحسون بأن تزايد قوة الاسطول العثماني في مياه الخليج يسبب لهم احراجا، وخاصة ان بعض شيوخ الخليج بات مهددا بعد توسع العثمانيين في قطر، وكان شيخ البحرين (عيسى بن علي) قد ابدى للسلطات البريطانية خشيته من ذلك التوسع ، خاصة انه كان يعتبر من المعسكر المعادي للعثمانيين لما قدمه من مساعدات (لسعود) وراح يعرب للميجور (سمث) الذي كان يزورالبحرين في الاول من نوفمبر انه يرغب في الوقوف على الحياد من الصراع العثماني السعودي، وانه لن يستطيع تقديم مساعدات (لسعود بن فيصل) بعد اليوم ، لان ذلك سيعرض بلاده لمخاطر العثمانيين ، وراح يؤكد سياسته تلك بأن فرض الضريبة المقررة على حمولة من القمح كانت مصدرة من الهند لحساب (سعود). وبعث للكولونيل (بلي) يؤكد تخوفاته من العثمانيين واعلمه في احدى رسائله ، بأنه يخشى ان يلتجئ (سعود) مرة ثانية للبحرين بعدما بدأت القوات العثمانية تضيق عليه الخناق في مناطق قطر ، ورد عليه (بلي) ناصحا بأن يكتب لسعود ويحذره بل ويمنعه من زيارة البحرين، ولم يكن تخوف السلطات البريطانية من ذلك التوسع باقل من خوف (سعود)، اذ كان الانجليز يخشون من توسع العثمانيين في جميع بلدان الخليج فسيطروا بذلك على سواحل الخليج العربي ويصلوها بسواحل البحر الاحمر ، ويكونوا بذلك قد احكموا الحصار على شبه الجزيرة العربية ووضعوها تحت نفوذهم المباشر، وبالاضافة الى ذلك فقد كانت بريطانيا تخشى ان يحاول الفرس تقليد العثمانيين فيحذو حذوهم بتكوين اسطول لهم في مياه الخليج ، فتنشأ بذلك مناطق نزاع بين العثمانيين وبينهم في حين كانت قوة الفرس خائرة، ولذا خشي الانجليز ان تميل الكفة الى جانب العثمانيين فيسيطروا على مراكز هامة في الخليج ويتوسعوا على حسابهم ، ولهذا اعتبرت السلطات البريطانية في الخليج وضع قطر تحت سيطرة العثمانيين المباشرة تحديا لنفوذها واحراجا بالغا لموقفها في المنطقة[٢]. لذا راحت بريطانيا تحتج من جديد على إزدياد قوة الاسطول العثماني في مياه الخليج العربي وكذلك على توسع العثمانيين في قطر ، وجاء في احتجاجها ، انها لاتعترض على حق العثمانيين في التدخل تغيرا في اوضاع الامارات المستقلة وتعكيرا للسلام في مياه الخليج ، وكان البريطانيون ينطلقون في احتجاجهم هذا من تصوراتهم لمطامع (مدحت باشا) الذي كان ينظر الى حدود نجد نظرة اشمل من نظرة البريطانيين ، فكانت نجد في نظرة تمتد لتشمل كل من قطر والبحرين وبلدان الساحل المهادن وحتى مسقط ذاتها[٣] ولكن الباب العالي رد على تخوف بريطانيا بأن من حقه زيادة الاسطول العثماني في الخليج العربي لانه يشكل احدى قواعد الاسطول العثماني من ناحية ولقربه، من منصب دجلة والفرات من ناحية ثانية، واما عن تخوفهم من التوسع فعادت السلطات العثمانية تؤكد عدم رغبتها في السيطرة على اي امارة لها علاقات مع بريطانيا،

---

(١) Kelly . Op. Cit . P. 731.

(٢) جمال زكريا قاسم ، المصدر اسابق ، ص١٨٥ـ ١٨٦.

(٣) جمال زكريا قاسم ، المصدر السابق ، ص١٩٠.

انظر ايضا ، مصطفى النجار ، التاريخ السياسي لعلاقات العراق الدولية في الخليج العربي ، ص٣١٤.

ولكن اكدت ان من حقها التمسك بالسيادة على نجد مثل اي جزء داخل نطاق الدولة العثمانية ، ولكن ذلك الرد لم يعجب الاندليز ، فراحت حكومة الهند تهدد بزيادة اسطولها في الخليج مما سيبعث الطمأنينة في نفوس القبائل العربية المتعاهدة معها ويشجعهم على مقاومة توسع العثمانيين، واكدت ان ذلك الامر سيكلف الدولة العثمانية الكثير ، ولذا تراجعت الدولة العثمانية خاصة بعد انتهاء مدة حكم مدحت في العراق، وراحت تؤكد من جديد في ٢٣ نوفمبر سنة ١٨٧٢ ما اكدته سابقا من ان ليس لها نية التوسع في بلطان الخليج(١) .

ولكن السلطات البريطانية كانت قبل ذلك قد اتخذت احتياطاتها لمنع توسع العثمانيين لتحد من نفوذهم في قطر ، فأرسلت على الفور عندما سمعت بأن هناك استعدادات تجري في الدوحة ، سفينة بريطانية تطالب شيخ قطر بدفع المبالغ المترتبة عليه للبحرين بموجب معاهدة سنة ١٨٦٨ ، ولكن جاسم بن ثاني رفض ان يدفع شيئا واعلن انه تابع للدولة العثمانية ، وراح يبعث للعثمانيين مطالبا اياهم بتعزيز حمايتهم لبلاده فأرسلوا على الفور سفينتين حربيتين لهذا الغرض وبعث الباب العالي الى الحكومة البريطانية محتجا على محاولة الانجليز التدخل في شؤون الممتلكات العثمانية ، ورد (جرانفيل) في خطاب موجه للسفير العثماني في ٨ اغسطس يقول فيه بان ليست لدى حكومته اي رغبة للتدخل في امور العثمانيين في الخليج العربي، طالما كانت تلك الاوضاع لا تؤدي الى المساس بالمعاهدات المعقودة مع شيوخ الامارات العربية هناك (٢) .

وهكذا اخذت حملة مدحت تضايق السلطات البريطانية بتوسعها في قطر ، خاصة عندما راح ، (جاسم بن ثاني) ، يرسل باعلام الدولة العثمانية الى شيخ القبيسات ليرفعها على (العديد) ، وكانت القبيسات وهي فرع من قبيلة بني ياس تدين بالولاء احيانا لشيخ ابي ظبي الذي كان يطمع في المنطقة والذي وصلت سيطرته قبيل حملة (مدحت) حتى شواطئ الاحساء ، وكان ذلك الشيخ قد انتهج منذ البداية سياسة ترمي الى مساعدة (سعود) وذلك نكاية في (عبد الله بن فيصل) والذي كان يحاول استعادة البريمي من سيطرة شيخ ابي ظبي عليها(٣) ، وكانت السلطات البريطانية ترقب ذلك النشاط العثماني بكل يقظة وحذر خاصة عندما علمت ان (يوسف افندي) المساعد العثماني لقائد الحملة كان قد بعث برسائل الى شيوخ (ابو ظبي) (والشارقة) و (دبي) واعرب في تلك الرسائل عن اهتمامه بتلك المناطق واقترح على حكامها ان يعززوا ارتباطاتهم بالدولة العثمانية عن طريق اتصالهم بالقائد العثماني في الدوحة(٤) ولكن الدولة العثمانية لم تتابع نشاط مدحت في هذا السبيل ، كما ان موقف الجنود العثمانيين في الاحساء كان صعبا، ولم تكن حامية العثمانيين في (البدع) في قطر قادرة على القيام بعمليات تهدف من ورائها الى مساندة الموالين للعثمانيين، كما ان الانجليز عملوا كل جهدهم لابعاد عشائر النعيم عن الخضوع للعثمانيين، وبذلك كانوا سببا في خلق مشكلة البريمي لا تلك العشائر كانت توالي احيانا آل سعود واحيانا اخرى سلاطين عمان (٥) .

---

(١) جمال زكريا ، المصدر السابق ، ص١٩٠.
انظر ايضا :
Curzon , Persia and the Question ,Vol . 2. P. 454.
(٢) نوار ، المصدر السبق ، ص٤٢٧.
(٣) عبد العزيز نوار ، المصدر السابق ، ص٤٢٩.
(٤) جمال زكريا قاسم ، المصدر السابق ، ص١٨٩.
(٥) نوار المصدر السابق ، ص٤٢٩- ٤٣٠.

ظل الخطر لالاهم من توسع العثمانيين في قطر يخيف السلطات البريطانية وكان ذلك الخطر يتمثل في محاولة الاطباق من القوات العثمانية في الاحساء وقطر على قاعدتهم الهامة في البحرين، ولقد تحققت مخاوفهم فعلا عندما جاءت الصدف تحالف (مدحت باشا) للتدخل في البحرين ذلك ان (جاسم بن ثاني) كان قد تحالف مع ألد اعداء آل خليفة (ناصر بن مبارك) وزعيم عائلة (عبد الله بن احمد) المطرودة من البحرين، وكان ناصر هذا قد عرض خدماته على الدولة العثمانية منذ اللحظات الاولى لنزول حملة مدحت على شواطئ الاحساء ، ويبدو انه بدا يعمل معهم وبتوجيه منهم راح يتصل (بجاسم بن ثاني) للتخطيط لعملية غزو للبحرين ، وكان كل من (ناصر وجاسم) يسعى لزوال حكم شيخ البحرين ، واذ كان الاول يطمع في العودة الى حكم البحرين، وكان الثاين يطمع في تأكيد استقلاله بالتخلص من الضريبة التي كان يدفعها لشيخ البحرين، بموجب معاهدة سنة ١٨٦٨ ، ولهذا يبدو ان مصالحهما قد التقت مع مصالح العثمانيين في محاولة التوسع في البحرين ، لمقاومة النفوذ البريطاني الذي كان يبدو واضحا فيها، ومن جهة اخرى للعمل على اسقاط (عيسى بن علي) الذي كان ينظر اليه العثمانيون على انه يقاوم سياستهم في الخليج بدعمه (لسعود بن فيصل) وكذلك لتحقيق اهداف (ناصر بن مبارك) في العودة لحكم البحرين ، كتابع للعثمانيين ففي نهاية اغسطس عام ١٨٧١ كان القائد العثماني في الاحساء قد طلب من (ناصر بن مبارك) ان يقوم بتوصيل رسالة منه موجهة الى (جاسم بن ثاني) في قطر . واختار (ناصر بن مبارك) احد اتباعه واصدقائه القدامء للقيام بالمهمة وكان ذلك الشخص احد شيوخ قبيلة بني هاجر التي ينتمي اليها (ناصر) بالنسب من جهة امه . استقل ذلك الرجل قاربا كويتيا، وابحر به الى قطر وضطر القارب ان يرسو على شواطئ البحرين للتزويد بالماء ، وهناك قام جماعة من اقارب شيخ البحرين بالاعتداء على ذلك الرجل وقتلوه بحجة الثأر لشيخهم السابق (علي بن خليفة) الذي كان قد قتل في حادث سطو قام به (ناصر بن مبارك) بمعاونة بني هاجر عام ١٨٦٩ ، ولقد اتهم ذلك الرجل بأنه كان قد شارك في مقتل شيخ البحرين الاسبق [١] . وعندما فتشت جثة القتيل وجدت معه عدة رسائل، احداها من القائد العثماني في الاحساء، واما الباقي فمن (ناصر) ومن أناس اخرين ، ولقد احضرت تلك الرسائل الى شيخ البحرين الذي تحفظ على رسالة القائد التركي وامر بارجاعها الى (نوخذة) القرب وطلب اليه توصيلها الى الجهة المرسلة اليها ، اما الرسائل الاخرى فقد فتحت ووجدت فيها اخبار تفيد بأن العثمانيين يخططون لاحتلال البحرين ، ولقد اطلع شيخ البحرين (الكولونيل بلي) على تلك الرسائل وسارع في ١ سبتمبر بالكتابة عن الحادث لحكومته ، كما كتب الى مدحت باشا في ١٢ سبتمبر يشرح له ظروف الحادث ، وكان مدحت آثر ان لا يرد عليه ، لانه كان لا يعترف بوصاية وحماية الانجليز على البحرين ، بل اكتفى مدحت بالاعلان عن عزمه التوجه الى الاحساء والبحرين لترتيب امورها والاطلاع على ما حققته حملته هناك واشار الى انه سيقوم بالتحقيق بنفسه في مقتل ذلك الرجل الذي اعتبره موظفا عثمانيا، وطالب مدحت بدفع تعويضات لاهل القتيل[٢]. وعندما وصلت تلك الاخبار الى حكومة الهند سارعت بالابراق الى هربرت في ١٧ اكتوبر تأمره بعدم مناقشة ذلك الموضوع مع (مدحت باشا) بل عليه ان يبلغه دهشة الحكومة البريطانية وحكومة الهند لمحاولة تدخل الاتراك في البحرين بعد كل التأكيدات السابقة لهم بعدم رغبتهم التوسع في البحرين[٣] ، فبعث (هربرت) في ٢٤ اكتوبر برقية الى حكومة الهند يقول بان مدحت ربما سيغادر يوم الخميس (اذ انني لم استطع ان اقدم له ما يقنعه قبل سفره) واضاف بانه من المحتمل ان يجعل من موضوع موت رسول القائد العثماني ذريعة للتدخل في البحرين[٤]. وفي ٣٠ اكتوبر كانت حكومة الهند قد ارسلت برقية الى هربرت تقول فيها، بأن نائب

---

(١) Kelly , Op. Cit. P. 733.

(٢) IOR/L/P-S/18. Vols.91-160.

Nejed Expedition Precies , Paragraph 31. P. 32.

انظر ايضا : Kelly, Op, Cit. P. 733.

(٣) IOR/ L/ P-S/18. OP. Cit . Paragraph 31. P. 33.

(٤) IOR/ L/ P-S/ 18. Vols. 91-160.

Nejed Expedition Precies , Paragraph 31. P. 33.

الملك لا يتوقع من (مدحت باشا) الذي يعرف جيدا وجهة نظر الحكومة البريطانية حول البحرين ، وهو يعلم جيدا التأكيدات التي انكرت فيها الدولة العثمانية رغبتها في مد سيطرتها على البحرين، كما ان (مدحت) نفسه كان قد اصدر مثل تلك التأكيدات فيما سبق، ولذا فإن نائب الملك لا يتوقع تدخل العثمانيين في شؤون البحرين، لأن مثل ذلك العمل يعتبر خرقا للتعليمات التي صدرت للباشا من استنبول، خرقا لوعود حكومته وان الحكومة البريطانية لن تنظر اليها بعدم المبالاة(1) ، وعلى الفور اصدرت حكومة الهند اوامرها الى الكولونيل (بلي) بالتوجه الى البحرين وطلبت اليه ان يعمل على منع العثمانيين من التدخل في شؤون البحرين ولو ادى ذلك الى استعمال القوة(2).

وفي ٣٠ اكتوبر بعث هربرت الى حكومته يقول ان مدحت باشا قد غادر في ٢٨ اكتوبر انه ينوي ان يمضي بعض الوقت في العمارة والبصرة ثم سيتوجه الى الاحساء على ظهر السفينة (بابل) ومعه طرادين وصلا حديثا من القسطنطينية(3). وهنا راحت حكومة الهند توجد الى (بلي) تعليماتها بشأن زيارة (مدحت باشا) وطلبت اليه ان يزور (مدحت باشا) ان يشرح له الظروف التي ادت الى مقتل شيخ بني هاجر، واذا ما رفض الاقتناع فعليه ان يسلمه احتجاجا شديد اللهجة وعليه في نفس الوقت ان يرسل فورا نسخا من ذلك الاحتجاج الى حكومتي لندن والآستانة . وحملت حكومة الهند في برقيتها على (ناصر بن مبارك) وطلبت من (بلي) ان يخبر (مدحت) بأنه استعمل رجلا فارا من وجه العدالة، وان ذلك الرجل كان قد تسبب في مقتل شيخ البحرين الاسبق وعليه ان يتحمل مسؤولية عمله(4).

وكان مدحت باشا قد وصل الى الاحساء في اوائل نوفمبر عام ١٨٧١ ثم توجه الى القطيف ، ومنها الى العقير ثم الى الهفوف حيث اقام حوالي اربعين يوما، اطلع خلالها على احوال الجند العثماني، وقبيل وصوله بايام قليلة كان السعوديون قد هاجموا العثمانيين على مقربه من الهفوف في مكان يسمى (الخويراء) ولكنهم صدوا ، وتراجع (سعود)(5) بينما كان (عبد الله) آنذاك في معسكر العثمانيين، وعندما علم بوصول (مدحت) الى سواحل الاحساء نمي اليه ان مدحت يقوم بزيارته للاحساء للتخلص من السعوديين وابقاء البلاد تحت السلطة المباشرة للعثمانيين ، وربما لاحظ ذلك من تصرفات القادة العثمانيين خلال فترة وجوده في الاحساء ، لذلك دبر امر فراره هو وابنه تركي واخوه محمد، وعاد من فوره الى الرياض التي كان شعبها قد تمرد على (سعود) وطرده نتيجة للمساوئ التي ارتكبها اتباعه من العجمان ، وعين اهل الرياض عليهم عمه (عبد الله بن تركي) الذي كان قد ارسل يخبر (محمد نافذ باشا) بالامر فعينه مديرا للرياض ونائب عن القائمقام الرسمي (عبد الله بن فيصل) وكان سعود قد ارسل الى اخيه عبد الله يعوضه في امر التعاون معا لمقاومة العثمانيين وخاصة بعد ان اصبح الاثنان طريدين من حكم الرياض(6) وفي ظني ان عبد الله اغتنم الفرصة ايضا للعودة الى الرياض مستغلا ابعاد الشعب لأخيه ومنافسه عنها. وكان مدحت قد اصدر فور وصوله الاحساء اعلانا الى الشعب يحاول فيه كسبهم

---

(١) Ibid , P. 33.

(٢) Kelly . OP. Cit. P. 733.

(٣) Fo. 195/949. Letter No. 44. dated 7th Nov . 1871 .

(٤) IOR/L/P-S/ 18. Vols. 91-160.
Nejed Expedition Precies , Paragraph 31. P. 34.

(٥) FO. 195/ 949. Letter No. 58.
From Herbert to Elliot , dated 1st December 1871.

(٦) Ibid.
انظر ايضا الانصاري ، تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء ، ج١، ص١٧٢.

الى جانبه، وحرص الاعلان على اظهار اهتمام العثمانيين باصلاح احوال الرعية، ومعاقبة من تسول له نفسه من المسؤولين التلاعب بمقدرات الشعب، ومما جاء فيه :

(. . . قد اسقطنا الرسومات التي تؤخذ من الاهالي بأسم الجهاد ، وخدمات المأمورين على تحصيل الزكاة ، والزيادة في الخرص المخالف للاحكام الشرعية، ومراد الدولة العلية ترقية احوال التبعة، زيادة ثروتهم. . . ونبهنا المأمورين بعد تحليفهم على عدم الزيادة على الواجب الشرعي، والذي يتبين منه انه إرتكب ذلك، فقد أوعدناه بالمجازاة الشديدة . . .)[١] .

وعندما علم مدحت بهرب (عبد الله بن فيصل) من الاحساء، بعث اليه بعدة رسائل يدعوه فيها لمقابلته، ولكنه رفض، ويبدوا ان مدحت عرض على عبد الله ان يعينه قائمقام في منطقة الرياض ، وان يسلخ عنه الاحساء، ولكن عبد الله رفض ذلك واصر على ان تعود اليه جميع الممتلكات التي ورثها عن ابيه، واصر على ان يبقى اماما للمسلمين في نجد وتوابعها، لاتباعا مجردا من السلطة ، ويبدو في نفس الوقت ان ذلك الامر لم يعجب (مدحت) فاتخذته ذريعة لتحقيق هدفه الحقيقي من الحملة الا وهو اعادة الاحساء الى السيادة العثمانية المباشرة فاصدر اوامره بإنهاء حق (عبد الله) والسعوديين في السيادة على الاحساء[٢] .

راح (مدحت باشا) بعدئذ يضع تشكيلا اداريا جديدا للاقليم اصبحت الاحساء بموجبه متصرفية يطلق عليها اسم (لواء نجد) وجعلها تابعة لولاية بغداد، عين قائد حملته الفريق (محمد نافذ باشا) (متصرفا) للاقليم، وقسم ذلك اللواء الى ثلاثة اقضية هي: الهفوف وهي مركز اللواء ومكان اقامة المتصرف، ثم قضاء القطيف ، وقضاء قطر ، وجعل من قضاء القطيف مركزا لتمويل الاقضية الثلاث الاخرى، وعين على قضاء قطر (جاسم بن ثاني) قائمقام ويساعده قائد عثماني يشرف على الحامية العثمانية هناك [٣] ، ولقد ذهب بعض الباحثين الى ان تلك التشكيلات الادارية شملت الكويت ، اذ جعلوها تتبع لمتصرفية الاحساء [٤] وايدهم في ذلك الدكتور (عبد العزيز نوار) في كتابة (تاريخ العراق الحديث) اذ قال : (. . . وكانت البصرة خلال عهد (مدحت) متصرفية وكذلك نجد. وكانت متصرفية البصرة تنقسم الى :

(أ) البصرة .
(ب) المنتفق .
(ج) العمارة .

واما متصرفية نجد فكانت تضم الكويت والاحساء . . .)[٥] .

ويبدو ان ضم الكويت الى متصرفية الاحساء قبل احتلال العثمانيين الاخيرة يكشف لنا على ان مدحت كان قد خطط مع الباب العالي فاستصدر فرمانات خاصة بذلك بعد ان نالت رضى حكومة الآستانة المسبق، وربما كانت هذه الانباء هي التي جعلت (عبد الله بن فيصل) يهرب من الاحساء قبل ان يصلها

---

(١) محمد عبد القادر الانصاري ، تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء ، ج١، ص١٧٢.
(٢) نوار ، المصدر السابق ، ص٤٣١- ٤٣٢.
(٣) مصطفى النجار ، التاريخ السياسي لعلاقات العراق الدولية بالخليج العربي ، ص٣١٢- ٣١٣.
(٤) سيد رجب حراز ، الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب ، ص١٦٥.
(٥) عبد العزيز نوار ، تاريخ العراق الحديث ، ص٣٥٨.

مدحت وقبل ان يعلن عن التغيرات الادارية هذه ، لأن عبد الله كان قد ترك (لنافذ باشا) خطابا يخبره فيه بأن العثمانيين قد غدروا به وانتزعوا منه السلطة بدلا من ان يعيدوها له[١].

وفي ظني ان هنالك عدة اسباب دعت الكويت الى قبول التبعية العثمانية غير المباشرة ، وراحت بناء على ذلك تشارك مشاركة فعالة في حملة الاحساء وكان لها دور هام في انجاحها، واهم تلك الاسباب هي :

اولا : ان شيوخ الكويت كانوا يملكون اراضي في البصرة وكان العثمانيون يهددون بقطع ايراداتها عندما تتعارض سياسة شيوخ الكويت مع سياستهم .

ثانيا : ان شيوخ الكويت كانوا لا يرغبون في الانفصال عن الرابطة الاسلامية التي كانت تتمثل في الدولة العثمانية .

ثالثا : ان الكويت كانت تخشى معاضة الدولة العثمانية، خاصة ان الكويت آنذاك لم تكن مرتبطة مع دولة كبرى بمعاهدة حماية تجيز لها التدخل لحمايتها عندما تتعرض للخطر .

رابعا : ادرك مدحت ما لأسطول الكويت من فاعلية ، وما لشيوخها من تأثير على بعض بلدان الخليج ، فاستغل ذلك لانجاح حملته [٢] .

ولكن يبدو واضحا مما تقدم ان تبعية الكويت لم تكن مباشرة تماما كما هي الحال بالنسبة للاحساء ، فلقد ترك (مدحت) شؤون الكويت الداخلية لشيخها يصرفها حسب تقاليد البلد، ولقد علل (مدحت باشا) عدم التدخل في شؤون الكويت بأن هذا البلد ينعم بالاستقرار ، ويطبق الشريعة الاسلامية في احكامه وانه ليس بحاجة الى قوة ضابطة عثمانية [٣] .

وفي ظني ان تلك التشكيلات كانت مؤقتة ، اذ لم يستطع الولاة بعد (مدحت باشا) ان يتابعوا مجهوداته في الخليج ، فأسندت الدولة امور الاحساء لآل السعدون، الذين كان همهم المحافظة على الاحساء بقدر الامكان، ولذا عادت الكويت فاستعادت شخصيتها كإمارة مستقلة استقلالا ذاتيا مع احتفاظها بتبعية اسمية للباب العالي[٤] .

وبعد ان اجرى (مدحت باشا) تلك التغيرات اراد ان يتدخل في شؤون البحرين فعاد الى القطيف ومن هناك ركب السفينة (بابل) واصطحب السفينتين الحربيتين (الاسكندرية) و (لبنان) وحاول ان يتجه الى البحرين فوجد ان اسطولا بريطانيا يتعقبه في عرض البحر ، وادرك مدحت باشا ان الكولونيل (بلي) لن يسمح له بالتدخل في شؤون البحرين فعدل عن الذهاب بنفسه الى البحرين وارسل قائد اسطوله (عارف بك) موفدا الى شيخها في ٢٢ نوفمبر وتباحث معه في مسألة القتيل الذي كان مدحت يريد ان يثيرها مع شيخ البحرين ، وبعد ان وقف ذلك الضابط العثماني على حقيقة الموقف طلب منه ان يرفع اسفه الى (مدحت باشا) على وقوع ذلك الحادث على ارض البحرين ، كما انه ابلغه بأسفه ايضا لذلك التصرف الذي سلكته السلطات العثمانية في الاحساء بأرسالها رسولا الى البحرين كان مهتما بقضية دم وثأر ، ومرتبطا (بناصر بن مبارك) الذي لعب دورا كبيرا في مقتل والده شيخ البحرين الاسبق، كما كرر اسفه ايضا لان ذلك القتيل كان يحمل رسالة الى قطر توحي بعزم العثمانيين على احتلال البحرين[٥] . وقام شيخ البحرين بتسليم القائد العثماني رسالة الى مدحت باشا يشرح له فيها ظروف القضية ، وبين فيها انه منذ سنتين كان (ناصر ابن مبارك) وبعض بني هاجر قد رسوا على شواطئ البحرين وقاموا بقرصنة ضد الجزيرة وقتلوا والده الشيخ (علي بن خليفة) واضاف يقول انه منذ ثلاثة شهور وصل رجل من العقير الى قرية في الطرف الجنوبي للبحرين (عجيزا) وعرفه البحرانيون بأنه يمت بصلة الى (ناصر بن مبارك) الذي كان وراء الاحداث التي ادت الى مقتل والدي لذا اتبع البحرانيون العادة المتبعة عند

---

(١) جمال زكريا قاسم ، المصدر السابق ، ص١٩١.
(٢) نوار ، المصدر السابق ، ص٤٠٥- ٤٠٦.
(٣) مذكرات مدحت باشا ، ص١٨١.
(٤) عبد العزيز نوار ، المصدر السابق، ص٤٣٤.
(٥) IOR/L/P-S/18.Vols. 91-160.
Nejed Expedition Precies ,Paragraph 31, P. 35F.

البدو وقاموا بقتله ، واضاف شيخ البحرين في رسالته قائلا بأنه عندما فتشت جثة القتيل وجدت معها وثائق منها رسالة موجهة من احد العثمانيين في الحسا الى (جاسم بن ثاني) ولقد امرت بعدم فتح هذه الرسالة وطلبت الى النوخذة الذي كان يرافق القتيل بارسالها الى صاحبها ، واضاف بأنه وجد رسالة اخرى تقول بان الدولة العلية تنوي احتلال البحرين وقطر وأماكن اخرى . واكد شيخ البحرين في رسالته انه لم يكن يعلم بأن الاحساء اصبحت تابعة للدولة العثمانية مباشرة ، كما اكد عدم معرفته اصلا بأن القتيل كان مرسلا من قبل السلطات العثمانية هناك وانه لم يكن يحمل جواز سفر أو اي شهادة تثبت انه يعمل خادما في حكومة الدولة العلية [١] ، ولما تأكدت له كل هذه الحقائق فانه يقدم اسفه عن الحادث وبهذا كان شيخ البحرين يبرر مقتل شيخ بني هاجر لكي يفوت على (مدحت باشا) فرصة التدخل في البحرين ، ولقد استطاع ذلك ولكن بمساعدة الانجليز وتهديداتهم .

وهنا نتوقف قليلا لنقاش ما جاء به الدكتور عبد العزيز نوار في كتابه (تاريخ العراق الحديث) عن هذه القضية، اذ قال : (. . . فقد ذهبت بعثة من قبل شيخ الكويت تدعو شيخ البحرين الى اعلان الطاعة للسلطان ولكن مبعوث مدحت قتل في الجزيرة ، فقرر (مدحت) اتخاذ اجراءات تأديبية تكون مقدمة لاثباته حق الدولة في ادارة امور الجزيرة[٢] . . .).

نحن نعلم ان شيخ الكويت كان يشترك في الحملة وربما وسطه مدحت لاقناع شيخ البحرين بالدخول في طاعة الدولة ، ولكن شيخ بني هاجر الذي قتل في جزيرة البحرين لم يكن مبعوثا من قبل شيخ الكويت وانما سافر الى قطر ذلك واضحا في رسالة شيخ البحرين الى مدحت باشا، وكذلك في رسالة (بلي) الى حكومته حول الحادث[٣] . وكذلك فانه لا يعقل ان ترسل السلطات العثمانية سواء عن طريق الكويت او عن طريق غيره مبعوثا الى شيخ البحرين يكون متهما أوله علاقة بثأر مع ذلك الشيخ . ومهما يكن فقد عاد (عارف بك) الى مدحت باشا حاملا معه اخبار البحرين، وكان قبل مغادرته قد اتفق مع شيخ البحرين على ان تسمح البحرين للاسطول العثماني بالرسو فيها والتزود بالماء العذب ، وقام شيخ البحرين بتقديم قطعة من الارض لبناء مستودع للفحم اللازم لتزويد السفن العثمانية في الخليج [٤] .

ولم تكن السلطات البريطانية قد قللت من نشاطها لمنع مدحت باشا من التدخل في شؤون البحرين او الحصول على مكاسب فيها، فلقد خشيت من محاولة مدحت الذهاب الى البحرين لتسوية قضية القتيل ، فبعث في ٢٠ نوفمبر ١٨٧١ الى سفيرها في القسطنطينية السير (اليوت) تطلب منه ان يذكر التباب العالي بالتأكيدات التي منحها (عالي باشا) بعدم نية تركيا السيطرة على البحرين او القبائل المستقلة في جنوب الجزيرة العربية ، فتلقى (اليوت) تأكيدا جديدا من (سرفر) (Server) باشا بالتزام الدولة العثمانية بتلك التعهدات ، ولكن الاخير اخبر (اليوت) بأن شيخ البحرين تسبب في مقتل رسول القائد التركي على ارض البحرين، ولذا يجب دفع التعويضات. ولكن وزير الدولة كان قد اخبر من بلي في ٢٣ نوفمبر بأن الحكومة التركية مخطئة في تصورها، فأن القتيل لم يقتل على ارض البحرين الرئيسية ، وانما في احدى الجزر التابعة لها وانه لم يكن يحمل ما يثبت انه رسول من القائد العثماني في الاحساء[٥]. وهكذا نرى ان بريطانيا اتبعت مع العثمانيين نفس السياسة التي اتبعتها قبل ثلاثين سنة..

اتبعتها قبل ثلاثين سنة ونيف في مقاومة التوسع المصري في الخليج يوم حاول خورشيد باشا ان ينطلق من الاحساء ليوسع من نفوذ مصر في البحرين وبلدان الخليج الاخرى. ولا يفوتنا القول هنا بأن ما توقعه (خورشيد) حينما بعث الى (محمد علي) يؤكد على اهمية الاحساء والبحرين حين قال بأن

---

(١) IOR/ L/P-S/18. Vols. 91-160.
Nejed Expedition , Precies . Paragraph 31 . P. 36- 37.

(٢) عبد العزيز نوار ، المصدر السابق ، ص٤٢٥.

(٣) IOR/L/ P-S/ 18. Vols . 91-160.
Nejed Expedition , Paragraph 31. P. 32, 37.

(٤) مذكرات مدحت باشا ، ص١٨١.

(٥) IOR/ L/ P-S/ 18. Vols. 91-170.
Nejed expedition Precies , Paragraph 31. P. 35.

البحرين مفتاح الخليج وانها مثل مالطة بالنسبة للبحر المتوسط وان سيطرة الانجليز عليها ستجعلهم يتحكمون في بلدان الخليج في سنوات قليلة، ولقد حدث فعلا ما توقعه ذلك القائد. فعلى الرغم من الامكانات الكبيرة التي جندها (مدحت) اثناء حملته على الاحساء لمحاولته كبح جماح النفوذ البريطاني، وفي محاولة لاحلال النفوذ العثماني مكانه في البحرين وبعض بلدان الخليج ، الا انه لم ينجح في ذلك، لأن العثمانيين جاؤوا متأخرين في محاولتهم تلك بعد ان كان الانجليز قد وطدوا اقدامهم في المنطقة في غفلة من الدولة العثمانية آنذاك (١) .

ولذا عاد (مدحت باشا) الى بغداد عن طريق الكويت في ٢٨ ديسمبر عام ١٨٧١ وكان يحمل معه عددا من الجنود الجرحى والمرضى، وقام باستبدالهم وحاول تعزيز قوات متصرف الاحساء (محمد نافذ باشا) الا ان عهده في العراق لم يطل اذ غادر بغداد في ٢٢ مايو ١٨٧١ الى الآستانة وفي اعتقادي ان حملة مدحت باشا على الرغم من انها لم تنجح في تحقيق كل الاهداف المرسومة لها من محاولة لبسط النفوذ العثماني على مياه الخليج العربي، الا انها نجحت الى حد ما في توطيد علاقاتها مع كل من الكويت ، والاحساء، وقطر ، واثبتت انه كان بالامكان لو تابعت الدولة العثمانية مجهودات (مدحت) في هذا المجال ان تكون الدولة العثمانية ندا للبريطانيين في هذه المنطقة(٢) . وكان مدحت قد فكر في استغلال القوات العثمانية في الحجاز لمحاولة الاطباق على نجد من الغرب ولكن محاولته لن تظهر الى حيز التنفيذ(٣) ، ومهما يكن فقد اثرت الحملة العثمانية على تاريخ نجد في الفترات التالية تأثيرا كبيرا اذ كان ضم الاحساء للعثمانيين قد اغلق جميع الطرق المؤدية من البحر الى بلاد السعوديين، وهكذا تحكمت قبضة الباب العالي في نجد في الفترة التالية ما بين ١٨٧١ـ ١٩١٣، ولقد ادرك ذلك الامراء السعوديون فراحوا يقاومون الاحتلال العثماني للاحساء ولكنهم لم ينجحوا حتى جاء (عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل) واستطاع استخلاص الاقليم من ايدي العثمانيين (٤) عام ١٩١٣م . وسنتكلم بالتفصيل عن تلك المقاومة وعن كيفية استعادة الاحساء في الفصل القادم .

---

(١) نوار ، المصدر السابق، ص٤٣٠.
(٢) جمال زكريا قاسم ، المصدر السابق ، ص٢٠٣ـ ٢٠٤.
انظر ايضا : Kelly . OP. Cit. P. 738.
(٣) نوار ، المصدر السابق ، ص٤٣٢.
(٤) لوريمر ، دليل الخليج ، ج٣، ص١٦٨٢.

الفصل الخامس
الوجود العثماني في الاحساء
ما بين ١٨٧١ـ ١٩١٣

ويشمل :

ـ مقاومة السعوديين للوجود العثماني في الاحساء .
ـ الوضع الداخلي ابان احتلال العثمانيين للاحساء ما بين ١٨٧١ـ ١٩١٣ .
ـ علاقة العثمانيين في الاحساء ببلدان الخليج ، والصراع العثماني البريطاني في المنطقة ما بين ١٨٧١ـ ١٩١٣.
ـ استعادة الامير عبد العزيز آل سعود للاحساء من العثمانيين عام ١٩١٣.

مقاومة السعوديين للوجود العثماني في الاحساء :

انتهت الحملة العثمانية على الاحساء بعودة (مدحت باشا) من زيارته للاقليم في اواخر عام ١٨٧١. وبعد ان كان قد سمح للقبائل العربية المشتركة في الحملة بالعودة الى بلادها، وفي عودته اصطحب معه العديد من الجنود الجرحى والمرضى، وراح يستبدلهم بقوات جديدة لتدعيم الوجود العثماني في المناطق التي احتلتها القوات العثمانية(١) . ولكنه تخلى عن مخططه الهادف الى احتلال الرياض، مكتفيا بتشكيلاته الادارية التي احدثها في الاقليم الذي اطلق عليه اسم (لواء نجد).

وفي ظني ان هناك عدة عوامل منعت العثمانيين من التقدم نحو الرياض، كان في مقدمتها، الاحوال الصحية السيئة التي آلت اليها تلك القوات بعد ان تفشت الامراض في صفوفها(٢) ، كما كان لاضطراب الاحوال في العراق اثناء تقدم تلك الحملة اثر فعال في توقفها، اذا اضطر (مدحت باشا) ان يوقف الامدادات لتدعيم الوضع الداخلي هناك على اثر قيام ثورة قبائل شمر بزعامة شيخها (عبد الكريم)(٣) ، كما اننا لا يمكن ان نغفل شدة الطقس وطبيعة المنطقة الصحراوية التي تفصل بين الاحساء والرياض وما لذلك من اثر في توقف الحملة عند مدينة الهفوف ، يضاف الى ذلك انه كان لمقاومة السعوديين للحملة العثمانية اكبر الاثر في توقفها عند عاصمة الاحساء، وعدم امكان تقدمها شرقا. وقد بدأت تلك المقاومة منذ اللحظة الاولى لنزول القوات العثمانية على شواطئ الاحساء ، فرأينا كيف حاولت حاميات القطيف والدمام مقاومة القوات الزاحفة ، الا انها آثرت الاستسلام بعد ان تعرضت لهجوم عنيف وقصف مدفعي مركز ، وادركت ان لا فائدة من المقاومة ، في تلك المناطق الساحلية (٤) فتراجعت القوات السعودية بعد ان آثر زعيم المقاومة (سعود بن فيصل) استدراج العثمانيين الى داخل الصحراء لكي يكون اكثر حرية في العمل ضد تلك القوات ، وكان سعود يهدف الى ابعاد العثمانيين عن مراكز تموينهم على الساحل، والى حرمانهم من مساعدة مدافع قطعهم الحربية المرابطة في مياه الخليج . اضف الى ذلك انه كان بذلك يضعهم في ظروف صعبة حيث الصحراء ومخاطرها المختلفة في حرها اللاهب الذي لم يتعود عليه الجنود العثمانيون ، وندرة الماء مما يعرضهم للعطش اضف الى ذلك مخاطر قطاع الطرق من اعراب البادية (٥) ، كل تلك العوامل كانت وراء تراجع قوات سعود، ولكن القوات العثمانية استطاعت رغم تلك الظروف القاسية والامراض الفتاكة من ان تصل الى مدينة الهفوف في يوليو عام ١٨٧١م وكان من المتوقع ان تقاوم تلك المدينة جموع العثمانيين الزاحفة ، ولكن نائب سعود عليها ويدعى (فرحان بن خير الله) آثر ان يترك المدينة تخضع للعثمانيين دون مقاومة وخاصة عندما ادرك ان السكان لا يرغبون في المقاومة وان الاعلان الذي وجهة اليهم (قائد الحملة) محمد نافذ باشا قد اقنعهم بضرورة الاستسلام(٦) . وفي ظني ان هناك عدة عوامل كانت وراء ذلك الاستسلام :

اولها : ان معظم سكان الهفوف كانوا من الفئات المعادية للسعوديين منذ عهد بعيد امثال (بني خالد) الذي لا يزاولون يتطلعون للعودة الى حكم الاحساء بعد ان كانوا اسيادها قبل خضوعهم للسعوديين، فآثروا الانضمام للعثمانيين(٧) . هذا بالاضافة الى عددا كبيرا من سكانها كانوا من الشيعة الذين كانوا على عداء مذهبي مع آل سعود الذين تزعموا الحركة السلفية (الوهابية).

ثانيها : ان سكان الهفوف وما جاورها من قرى كانوا قد تعرضوا لبطش العجمان وغيرهم من قبائل البادية التي كانت تناصر (سعود)(٨) .

---

(١) نوار، تاريخ العراق الحديث ، ص٤٣٣.

(٢) لوريمر ، دليل الخليج ، ج٣، ص١٤٥٩.

(٣) جمال زكريا قاسم ، الخليج العربي (١٨٤٠- ١٩١٤) ص١٩٥. ،

(٤) FO. 78/ 2176-Letter No. 28.
From Herbert to Elliot 21st . June 1871.

(٥) Kelly Britian and the Persian Gulf , P. 726.

(٦) الانصاري ، المصدر السابق ، ص١٧١.

(٧) حافظ وهبة ، جزيرة العرب في القرن العشرين ، ص٢٣٨.

(٨) محمد سعيد المسلم ، ساحل الذهب الاسود ، ص١٨٨.

ثالثها : خوف السكان من التهديد الموجه اليهم من قائد القوات العثمانية الذي توعد كل من يقف في وجه القوات الغازية بالموت والدمار ، وطمعهم في ان ينالوا رضا القوات العثمانية التي وعدت بأن تحسن معاملتهم، وضربت لهم المثل بسكان القطيف وكيف عاملتهم تلك القوات بالاحساء والاحترام (١).
رابعها : شعور السكان بعدم وجود القوات السعودية الكافية للدفاع عنهم فضلا عن ان القوات العثمانية كانت مزودة بآلات الحرب الحديثة من مدفعية وعتاد(٢) .

وهنا بعث العثمانيون الى (عبد الله بن فيصل) سيتقدمونه الى الاحساء، ولكن سعودا اراد ان يحرم العثمانيين من الحجة التي يتذرعون بها في غزوهم لبلاده فراح يطارد اخاه عبد الله الذي كان يقيم في بادية قحطان بعد ان طرد من الرياض في العام الماضي. وتلاقت جموع الاخوين في معركة حامية الوطيس اسفرت عن هزيمة عبد الله في مكان يسمى (البره) في ١٧ جمادي الاول سنة ١٢٨٨ هـ / ٣ أغسطس عام ١٨٧١م ، وعلى الرغم من ان سعودا احرز نصرا ساحقا، الا انه لم يظفر بأخيه الذي فر الى الاحساء(٣) .

عاد سعود بعد معركة (البرة) الى الرياض ولكنه تعرض لثورة من قبل سكانها ويبدو ان عمه (عبد الله بن تركي) كان يتزعم تلك الثورة ، فاحاط سكان الرياض بقلعة (سعود) وطلبوا اليه مغادرتها آمنا والا اضطروا الى استعمال العنف ضده ، ونزل سعود على رغبتهم فأنسحب من عاصمته في عدد من اتباعه منهم ابنه (محمد) وابناء عمه سعود بن جلوى و (محمد بن سلطان) وتوجهوا الى الحريق في (الخرج) وهناك بعث الى زعماء اتباعه من (العجمان وبني مرة) وغيرهم من قبائل البادية لكي يرتب اموره من جديد ويواجه اعداءه في الاحساء والرياض على حد السواء(٤).
ويحسن بنا هنا ان ندرس الاسباب التي حدت بأهل الرياض للثورة على اميرهم (سعود بن فيصل) وفي اعتقادي ان اهم تلك الاسباب هي :
اولا : الضغط المتزايد من قبل العثمانيين على قوات سعود في اقليم الاحساء مما اضطره الى اخلاء الاقليم لتلك القوات التي كانت تنوي الزحف شرقا صوب الرياض. ففقد بذلك ثقة سكان عاصمته.
ثانيا: فشل سعود في اقرار الامن في الاقاليم التي كان يسيطر عليها، وخاصة انه كان يسمح لاتباعه من اعراب البادية بالتدخل في شؤون المواطنين والتعدي على ممتلكاتهم. كما انه راح يفرض الضرائب الباهظة على سكان المدن وفي مقدمتها الرياض لمواجهة متطلبات اتباعه اولئك.
ثالثا : ارتكب سعود خطأ بتقسم بلاده الى دوائر نفوذ صغيرة، جعل على كل دائرة احد اعوانه وذلك ارضاء لهم. فجعل ثنيان بن عبد الله على الخرج، وسعود بن جلوى على العارض، واخاه عبد الرحمن الى جانبه في الرياض، كانت تلك التقسيمات قد ساعدت على استقلالية تلك المناطق ، فسهل بذلك على بعض اتباعه ان يعملوا للثورة ضده ، وكان من اولئك عمه (عبد الله بن تركي) الذي بدأ يميل للعمل من اجل (عبد الله بن فيصل) .
رابعا : خروج اهالي القصيم على طاعته ، بالاضافة الى المتاعب التي اخذ آل الرشيد يتسببون له فيها، خاصة ان بندر بن الرشيد راح يعرض خدماته على القوات العثمانية اذا ما ارادت التقدم من الاحساء صوب الرياض .

---

(١) محمد عبد القادر الانصاري، تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء ، ص١٧١.
(٢) Kelly , Op. Cit . P. 736.
(٣) الانصاري ، المصدر السابق ، ص١٧٠.
انظر ايضا : الشيخ ابراهيم بن صالح بن عيسى ، عقد الدر فيما وقع في نجد في القرن الثالث عشر ، ص٦٥.
(٤) FO. 195/ 944, Letter No. 58.
From Herbert to Elliot dated 1st December 1871.
انظر ايضا : الانصاري ، المصدر السابق ، ص١٧٢ .

كانت تلك هي اهم العوامل التي ادت الى ثورة الرياض على (سعود)[١] . وعلى اثرها بعث (عبد الله بن تركي) الى القائد العثماني في الاحساء يخبره بما آل ليه الوضع فبعث اليه يعينه مديرا على الرياض تحت امرة القائمقام الرسمي (عبد الله بن فيصل)[٢] ، واما (سعود) الذي اسرع لعقد اجتماع له مع شيوخ البادية في منطقة الخرج فقد طلب اليهم التجمع في (الزرنوقة) وهو بئر ماء على بعد نصف يوم من الحريق ، وعلى بعد يوم من الحسا، واوعدهم بأنه سيلتحق بهم في اسرع فرصة ممكنة، ولكن يبدو ان سعود قد تأخر بعض الوقت في الوصول الى معسكر اتباعه وكانت الايام تمضي سريعة واتباع سعود بحاجة لاتخاذ قرار حاسم، فأما الحرب واما الاستسلام، وعندما تأخر سيدهم عن الحضور اجتمع شيوخ معسكر الزرنوقة، وقرروا ان يرسلوا وفدا للعثمانيين للتباحث معهم في قضية الاستسلام التي كانت القوات العثمانية ما فتئت تعلن عنها في بيانات موجهة (لسعود بن فيصل) واستقر الرأي بينهم على ارسال (راكان بن حثلين) زعيم العجمان فاستقبله (نافذ باشا) استقبالا حافلا ، ووافق على ان يصدر فرمانا بالعفو عن العجمان مقابل ان يدفعوا بعض التعويضات منها (٢٠٠) مائتا جمل و (١٠٠) مئة حصان ، على ان يوصي بذلك المرسوم في المقابل بالسماح لهم بارتياد (الهفوف) والتزود من اسواقها بما يحتاجونه من مؤن وحاجيات وابدى زعيم العجمان موافقته وقفل عائدا الى معسكر الزرنوقة ، وكان (نافذ باشا) قد ارسل في تلك الفترة الشيخ (مبارك بن صباح) شقيق حاكم الكويت الى (الزرنوقة) لكي يتأكد من نوايا سعود، وبعد ان اجتمع به اكد (سعود) بأنه سيغادر (الزرنوقة) الى الحسا خلال يومين لتسليم نفسه، وعاد الشيخ مبارك الى نافذ باشا ينقل اليه أخبار سعود، ولكن وبعد مضي ثلاثة ايام لم يصل (سعود) وبدأت المخاوف تساور القائد العثماني فارسل الشيخ مبارك مرة ثانية الى معسكر العجمان، وقد ذهل الشيخ مبارك عندما وجد جموع سعود تستعد للزحف على الاحساء وبعد اجتماع له مع (سعود) اخبره الاخير انه قد عزم على مقاومة العثمانيين حتى آخر لحظة من حياته وحتى يتمكن من اخراجهم من بلاده او ان يقضي في سبيل تلك الغاية، وعاد الشيخ مبارك ينقل تلك الانباء للعثمانيين الذين لم ينتظروا هجوم السعوديين بل شنوا هجوما سريعا بقيادة (حمدي باشا) ودار القتال عنيفا، ضاربا، استبسل فيه العجمان وقاتلوا بشجاعة وعناد يستحق الاعجاب ، ولكنهم لم يحرزوا نصرا على العثمانيين الذين تراجعوا بنظام تحت ستار كثيف من نيران مدافعهم الى مدينة الهفوف ، وانسحب العجمان الى معسكرهم ، بعد ان لمسوا عدم امكانية التغلب على خصومهم وسميت تلك المعركة (بالخويراء) وحدثت على الاغلب في بداية شهر نوفمبر عام ١٨٧١[٣].

وجاء في تقرير القنصل البريطاني في بغداد (هربرت) بأن جريدة الزوراء وصفت تلك المعركة وقالت بأن (سعود) هزم مجروحا بعد ان تكبد خسائر فادحة قدرت بحوالي (٦٠٠) قتيل، وان خسائر العثمانيين كانت طفيفة، ولكن ذلك القنصل كان قد استلم تقريرا من نائب المقيم في البصرة (روبرتسون) بخصوص تلك المعركة وقد جاء في تقريره بأن المعركة كانت حامية الوطيس وان الجانبين قد فقدا اعدادا كبيرة من الجرحى والقتلى، واضاف ان (سعود) لا يزال مالكا للساحة[٤].

وفي اعتقادي ان (سعود) فشل في تحقيق النصر الحاسم في معركة (الخويراء)[٥] وان القوات العثمانية ايضا لم تحقق نصرا عليه فراح يضمد جراحه ويجمع شتات جيوشه استعدادا لجولة مقبلة، وفي

---

(١) جمال زكريا قاسم ، المصدر السابق ، ص١٩٣ .
انظر ايضا : Fo. 195,944. Letter No. 58. Op. Cit.
(٢) Kelly , Op. Cit. P. 736-737.
(٣) FO. 195/944. Letter No. 58.
From Herbert to Elliot , dated 1st . December 1871 .
(٤) Ibid .
(٥) ابراهيم بن صالح بن عيسى ، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ص١٨٣.

هذه الاثناء يبدو انه رأى ضرورة تجميد الخلافات مع اخيه عبد الله فراح يرسل اليه عارضا عليه امر مقاومة العثمانيين سوية . الا ان (عبد الله) وجد الفرصة ملائمة للعودة الى الرياض بعد ان شغر عرشها بثورة سكانها على اخيه (سعود) وقد اضطرته الظروف للاسراع في تنفيذ مهمته خاصة عندما علم بأن (مدحت باشا) الذي كان في طريقه الى الاحساء انما جاء للاطلاع بنفسه على احوالها، ولكي يضم هذا الاقليم لولاية العراق ويضعه تحت الحكم العثماني المباشر وينهي حكم آل سعود للمنطقة ، لذا تدبر امر فراره من معسكر العثمانيين في الهفوف ، واصطحب معه كلا من ابنه (تركي) واخيه (محمد) وعندما وصل الى الرياض استقبله أهلها بالترحاب، ولما وصل (مدحت) الهفوف ساءه هروب (عبد الله بن فيصل) فبعث اليه عدة رسائل يعرض عليه العودة للهفوف لكي تعترف به الدولة متصرفا للواء نجد لقاء اجر مقداره ثلاثمائة الف قرش سنويا، ولكنه رفض التبعية المباشرة وطلب من مدحت ان تعترف به الدولة العثمانية اماما للموحدين في نجد والاحساء وتوابعهما مقابل اعترافه بالسلطة الاسمية للدولة العثمانية وانه على استعداد لدفع جزء من خراج الاحساء للدولة العلية[١] . وحذر عبد الله من ان السعوديين قادرون على توجيه ضربات قوية للعثمانيين في الاحساء انهم سيجدون صعوبات بالغة اذا ما فكروا بالاحتفاظ بالاحساء في حوزتهم بصورة دائمة[٢] . رفض (مدحت) مقترحات عبد الله، وتهديداته وراح يعلن تشكيلاته الادارية الآنفة الذكر واعلن عن انهاء حكم السعوديين للاحساء[٣] مقاومة تلك الترتيبات فاتصل الخديو اسماعيل في مصر وشكا اليه ما أقدم عليه (مدحت) وطلب منه ان يتوسط لدى الباب العالي لكي يعيد له سابق حقوقه [٤] ، ولما شعر ان الدولة العثمانية اهملته وافق على الدعوة التي ما تئ (سعود) يوجهها اليه لتوحيد جهودهما لمقاومة العثمانيين .

ففي ابريل عام ١٨٧٢ توجه الاخوة الثلاثة (عبد الله) ، (محمد) و (سعود) الى القطيف وحاصروها بجموع غفيرة من البدو وطلبوا الى القائد العثماني فيها ان يوافق على عقد اتفاقية للسلام معهم وإلا فإنهم سيهاجمون المدينة وجميع بلدان الاحساء، ولكن العثمانيين رفضوا ذلك التهديد وراحوا يستنجدون بالكويت التي ارسلت لهم اعدادا من اعراب البادية، وكان السعوديون قد فصلوا قيادة جيشهم فارسلت قبائل (الهواجر) والدواسر مع عبد الله، وقبائل العجمان وآل مرة مع سعود، واتفق الاخوان على ان تجتاح قوات الاول مدينة الهفوف في حين تهاجم قوات الثاني مدينة القطيف، ولكن قوات السعوديين هزمت، بعدما فشل (سعود) في منع الكويت من تقديم مساعداتها للعثمانيين اذ كان قد ظهر فجأة بجوار المدينة وراح يهدد بنهبها اذا ما وقفت في صف العثمانيين الا ان شيخ الكويت ارسل اليه جيشا قام بدحره مع نفر قليل من اتباعه، وهكذا خسر السعوديون فرصة الوفاق هذه، فعاد عبد الله الى الرياض، واما سعود فراح ينتقل في البادية مع نفر من اتباعه بعدما كانت قواته قد تخلت عنه لعدم امكانه تقديم المؤن والامدادات اللازمة لها ، وفي هذه الاثناء كانت احوال القوات العثمانية في الاحساء تزداد سوءا، لذلك كانت فرصة مواتية لكل من الطرفين (سعود) والدولة العثمانية على تقديم بعض التنازلات من كليهما من اجل اتفاق ينهي مقاومة السعوديون للدولة العثمانية مقابل اعتراف الدولة العلية بسعود تابعا لها، وحاكما

---

(١) الانصاري، المصدر السابق، ص . ١٧٣
انظر ايضا ، نوار ، المصدر السابق ، ص. ٤٣١.
(٢) Kelly , OP. Cit. P. 737.
(٣) انظر الفصل الرابع .
(٤) جمال زكريا قاسم ، المصدر السابق، ص١٩٢.
انظر ايضا نوار ، المصدر السابق، ص٤٣٠.

لنجد شريطه ان يتخلى عن منطقة الساحل في الاحساء وان يدفع جزية سنوية وتعويضات للعثمانيين عن خسائرهم في العمليات التي قاموا بها اثناء احتلالهم للاحساء، وان يرسل اثنين من ابنائه ليقيما كرهائن لدى السلطات العثمانية في بغداد(١) .

كان (سعود) يعيش ظروفا قاسية ، اذ تفرقت جموع جيشه ، واحتفظ اخوه عبد الله بالسلطة لنفسه في الرياض ، وخذلته بريطانيا بعدما اتصل بها عدة مرات لكي تقف الى جانبه ، وزاد في حالته سوءا تخلي شيخ البحرين عنه (٢) .

لذا كتب الى الحاج (احمد خان) من (ابو شهر) ـ والذي كان في يوم وزيرا لسلطان عمان ـ يفوضه في قبول شروط العثمانيين، وبعد زيارة قام بها ذلك الوسيط (لرؤوف باشا) الوالي العثماني الذي خلف (مدحت) على ولاية بغداد، عاد الى الاحساء ليتفاوض مع سعود، ولكن (سعود) كان لا يثق في السطات العثمانية ، فلم يذهب لمقابلته بنفسه، بل ارسل اليه شقيقه (عبد الرحمن بن فيصل) ورجلا يدعى (فهد بن صنيتان) كان قد جعله (سعود) وكيلا له في الاحساء ومفوضا من قبله لدى السلطات العثمانية ، وبعد ان وصل عبد الرحمن الى بغداد قامت السلطات العثمانية باعتقاله ، والقي به في السجن رهينة.

ولم تكن معاملة (فهد بن صنيتان)* (بأفضل من معاملة) عبد الرحمن (اذا اتهمته السلطات العثمانية بالتآمر ضد وجودهم واودعته السجن ثم ارسل الى بغداد ليلقي نفس المصير الذي لقيه عبد الرحمن(٣) .

وكان اعتقال شيخ كبير من شيوخ العجمان قد اثار حفيظتهم ضد السلطات العثمانية فسارعوا للوقوف الى جانب حليفهم وسيدهم السابق (سعود بن فيصل) الذي آثر عدم الاصطدام بالعثمانيين قبل ان يصفي حسابه مع اخيه القابض على مقاليد الامور في الرياض والذي لم يوافق على متابعة التعاون معه لاجلاء الغزاة ، ولذا جرد جموعه واتجه الى عاصمة اقليم الخرج ولكن عبد الله كان قد اسرع بارسال جيش الى (دلم) ليفوت الفرصة على اخيه ، وكان ذلك الجيش بقيادة اخيه (محمد) و (عمه عبد الله بن تركي). وصلت قوات عبد الله الى (دلم) وتحصنت بها الا ان سعودا قد استطاع ان يفرض حصارا على المدينة اضطرت على اثره للاستسلام ، وفرا (ممد بن فيصل) الى الرياض بينما وقع (عبد الله بن تركي) في اسر سعود الذي راح يودعه السجن وتوفي الاخير في سجنه بعد ايام قليلة ، واستمر سعود يزحف نحو الرياض فاستولى على عدد من بلدان نجد، ثم تمكن من ان يهزم جيش اخيه في معركة الجزعة الثانية في اوائل عام ١٨٧٣ . ودخل الرياض وأعلن نفسه اماما للموحدين، ودعا اهل نجد للقدوم عليه مبايعين ، بينما هرب عبد الله الى جوار الكويت حيث اقام مع اعراب قحطان بالقرب من آبار الصبيحية(٤).

وفي مارس عام ١٨٧٣ وبعد ان اصبح (سعود) مالكا لنجد ومسيطروا على معظم قبائل الاحساء راح يبعث من جديد للمقيم البريطاني في الخليج يطلب اليه العون منوها بالسياسة التقليدية لبريطانيا والتي تمنع استخدام مياه الخليج للاعمال ، الحربية ولقد لمح سعود انه اعتمادا على تلك السياسة اهمل دفاعه عن شواطئ الاحساء مما افقده اياها، وراح يطلب مساعدة السلطات البريطانية بصراحة ، ولكن التعليمات قد صدرت الى (بلي) بابلاغ (سعود) انه ليس طرفا في اي معاهدة بحرية مع بريطانيا، انه لم يتلق منها اي وعد بالحماية سابقا، وليس له بالتالي اي حق في طلب العون من بريطانيا، وكان (سعود)

---

(١) جمال زكريا ، المصدر السابق ، ص١٩٦.
انظر ايضا : لوريمر ، المصدر السابق ، ج٣، ص١٦٨٣.
(٢) Kelly , Op. Cit. P. 734.
* لوريمر ، يورد اسمه (فهد بن سويدان) ولقد نقل عنه كثير من الباحثين وبرجوعنا الى (اراهيم بن صالح) وجدنا ان اسمه (فهد بن صنيتان) وهو الارجح . انظر (ابراهيم بن صالح) المصدر السابق ، ص١٨٦.
(٣) لوريمر ، المصدر السابق ، ج٣، ص١٦٨٤.
انظر ايضا : winder , Saudi Arabia in the Nineteenth Century , P. 256F.
انظر ايضا ، ديكسون ، الكويت وجاراتها ، ص١١٩.
(٤) فلبي، المصدر السابق ، ص٢٥٦.
انظر ايضا : الريحاني ، المصدر السابق ، ص١٠٠.
انظر ايضا : Winder , OP. Cit. P. 256-F.

قد طلب وساطة المقيم البريطاني للتدخل لدى السلطات العثمانية للافراج عن اخيه (عبد الرحمن) ووكيله (فهد). ولقد قام المقيم البريطاني في الخليج بابلاغ ذلك للقنصل البريطاني في بغداد ولسفير بلاده في الآستانة، ويعتقد انه كان لمساعيهما اثر في اطلاق سراح هذين المعتقلين عام ١٨٧٤[١] . وعلى الرغم من أحجام السلطات البريطانية عن تقديم العون (لسعود) حفاظا منها على امن الخليج وخوفا من ان تدع للعثمانيين الفرصة للتدخل في مناطق نفوذها كما حدث ابان زيارة (مدحت) للاحساء[٢] . الا ان تلك السلطات كانت تحبذ ان يلتقي الاخوان (عبد الله وسعود) ويعملا سوية من اجل اضعاف قبضة العثمانيين على الاحساء التي كانت قد اصبحت قاعدة عثمانية تهدد النفوذ البريطاني في الخليج[٣] .

وفي عام ١٨٧٤ دخلت مقاومة السعوديين للعثمانيين مرحلة جديدة عندما اطلق سراح (عبد الرحمن بن فيصل) الذي غادر بغداد الى البحرين وهناك راح يتقصى اخبار الاحساء ويدرس امكانية الاستمرار في مقاومة العثمانيين، فوجد ان العثمانيين قد غيروا من سياستهم في ادارة الاقليم بعد ان شعروا في عام ١٨٧٣ بأن نفقات الحاميات العثمانية في الاحساء ، بدأت تشكل عبئا ثقيلا عليهم ، لذا عهدوا الى (ناصر باشا السعودون) متصرف البصرة وزعيم قبائل المنتفق بادخال نظام اقل من كلفة النظام المتبع في الاحساء ، وبعد زيارة قام بها (ناصر باشا) للاحساء ، امر بسحب معظم افراد تلك الحاميات ، واحل محلهم قوات من القبائل العربية المحلية ومن الاكراد ، وعين (براك بن عريعر) * احد شيوخ بني خالد متصرفا للاقليم ، وكان ذلك في مارس ١٨٧٤م [٤] . لذا وجد (عبد الرحمن) ان الفرصة مهيأة للعمل ، فاتصل سرا ببعض قبائل الاحساء وسارع بالنزول الى العقير حيث لحقت به مجموعات كبيرة من العجمان و (آل مرة) وغيرهما الهفوف ، وكادت ثورة (عبد الرحمن) ان تنجح لولا ان سارعت الدولة يلحق الهزيمة بجيش (عبد الرحمن) ونكل بسكان الهفوف لمساعدتهم لعبد الرحمن ، ولكي يكونوا عبرة لمن تسول لهم نفوسهم بالثورة مرة اخرى، وعين المحاولة غادر (عبد الرحمن) الاحساء الى الرياض حيث وصل في الوقت المناسب اذ وجد اخاه سعودا على فراش المرض نتيجة لجرح اصابه في احدى معاركه مع اعدائه بجوار قرية (حريملا) ولم يمض وقت حتى مات (سعود). فتسلم (عبد الرحمن) الامارة في السادس والعشرين من يناير عام ١٨٧٥[٥] . ولكن الامر لم يستقم له اذ تمرد عليه ابناء اخيه (سعود) فترك الرياض والتحق بأخيه عبد الله الذي كان يقيم في البادية مع قبائل عتيبة. ومن هناك زحف الاثنان معا الى الرياض، فانسحب ابناء (سعود) الى بلدة (دلم) في اقليم الخرج، وتوافد اهالي نجد على (عبد الله بن فيصل) مبايعين له بالامامة [٦] ، ولكن عهد الجديد اتسم بالضعف بسبب الصراع الطويل الذي حدث بين افراد البيت السعودي مما جعل الفرصة مهيأة لآل الرشيد في حائل لكي يتوسعوا على حساب السعوديين. وعلى الرغم من ذلك فان (عبد الله) كان يدرك ان نجدا قد اصبحت امارة مغلقة ولا بد من مواصلة الكفاح ضد العثمانيين في الاحساء لكي يجد لامارته منفذا على الخليج وعلى العالم الخارجي ، ولذا راح يسوي خلافاته مع ابناء اخيه، ونجح في ارسال قوات سعودية الى الاحساء عام ١٨٧٩ استطاعت محاصرة مدينة القطيف وكادت ان تستولي عليها لولا الامدادات السريعة التي جاءت على عجل من العراق ، ويذهب الدكتور جمال زكريا في كتابه الخليج العربي ، الى ان البريطانيين قد وقفوا في هذه المرحلة الى جانب العثمانيين، فيقول :

---

(١) لوريمر، المصدر السابق ، ج٣، ص١٦٨٦.
(٢) IOR/L/P-S/18-Vols . 91-160.
Nejed Expedition Precies , paragraph 9, P. 6.
(٣) نوار ، المصدر السابق ، ص٤٣٣.
* ورد اسمه احيانا (براك ، وبركة ، وبزيع) . انظر لونجرك ، ص٣٦٤.
(٤) السيد رجب حراز ، الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب ، ص١٦٦.
انظر ايضا لوريمر ، المصدر السابق ، ج٣، ص١٦٨٥.
(٥) ديكسون ، المصدر السابق ، ص١١٩.
انظر ايضا : فلبي ، المصدر السابق ، ص٢٥٩.
(٦) الانصاري ، المصدر السابق، ص١٧٦.

(. . . ومما يستفلت النظر ان السلطات البريطانية في الخليج قد تدخلت في هذه المرحلة بالذات الى جانب العثمانيين اذ تعقبت السفينة البريطانية فلشر السعوديين واضطرتهم الى الانسحاب. . . ويضيف الدكتور جمال قائلا. . . وعندما انسحب السعوديون الى البحرين اشار الانجليز على الشيخ عيسى بن علي بعدم منحهم حق اللجوء السياسي . . .)(١) .

ويعلل مناصرة البريطانيين للعثمانيين لسببين هما :

١ـ ان الحكومة البريطانية خشيت في ذلك الوقت الذي حدثت فيه التهدئة بين افراد الاسرة السعودية ان تعود الامارة السعودية الى سابق عهدها .

٢ـ ان الحكومة البريطانية كانت تفضل ـ كما تؤكد بعض المصادر الرسمية للحكومة السعودية ـ ضعف العثمانيين النسبي المقترن بالقلاقل في البر والبحر على قوة العهد السعودي وامنه (٢) .

وفي اعتقادي ان ما ذهب اليه الدكتور جمال يمكن ان يعلل النقطة الاولى المتعلقة بالمساعدة التي قدمتها السفينة البريطانية للعثمانيين، على الرغم من تلك المساعدة قد جاءت بصورة غير مباشرة ـ كما يفهم من تقرير الكولونيل روس المقيم البريطاني في الخليج الذي اكد بأن تلك السفينة كانت تجوب البحر ضد القراصنة (٣) . واما بالنسبة للنقطة الثانية والمتعلقة باشارة السلطات فأني اميل الى الاعتقاد بان البريطانيين لم يقفوا بذلك العمل الى جانب العثمانيين بل كانوا يفوتون الفرصة على العثمانيين حتى لا يتخذوا من ذلك حجة للتدخل في شؤون البحرين .

ولقد ادركت الدولة العثمانية بعد ذلك ان مقاومة السعوديين لها قد طالت وكلفتها الكثير من النفقات والتضحيات ، فاستغلت السفداء الذي اخذ يذر قرنه بين آل الرشيد في حائل، وآل سعود في الرياض، وبدأت تشجع آل الرشيد وتمدهم بعونها، حتى استطاع (محمد بن الرشيد) شيخ جبل شمر من الاستيلاء على الرياض عام ١٨٨٧م ، بحجة مساعدة (عبد الله بن فيصل) الذي كان قد تعرض لهجوم وحصار من ابناء اخيه (سعود) وعندما استولى ابن الرشيد على الرياض اخذ معه (عبد الله) بن فيصل ليقيم عنده في الرياض ، واقام (سالم السبهان) احد اتباعه ليحكم في الرياض الى جانب (عبد الرحمن بن فيصل) وفي السنة التالية عام ١٨٨٨ م استطاع السبهان القضاء على ابناء سعود الثلاثة بحجة التآمر ، فألقى القبض عليهم في مدينة (الدلم) وقام باعدامهم، وعلى اثر ذلك استدعى ابن الرشيد الامير عبد الرحمن بن فيصل ليقيم الى جانب اخيه (عبد الله) منفيا في حائل ، ومنذ تلك السنة انتهى الحكم الفعلي لآل سعود في نجد ، وظل كذلك حتى عام ١٩٠٢ حينما قدر لعبد العزيز بن عبد الرحمن استعادتها من ايدي آل الرشيد(٤) .

اقام آل سعود في حائل حتى عام ١٨٨٩م حينما سمح محمد بن الرشيد (لعبد الله بن فيصل) بالعودة الى الرياض حاكما مستقلا فعاد ومعه اخوه عبد الرحمن ، ولكن عبد الله كان مريضا جدا ومات بعد وصوله الرياض بأيام قليلة في الرابع والعشرين من كانون الثاني عام ١٨٨٩م بعد ان كان المسؤول الاول عن ضياع الاحساء وعن ضياع حكم اسرته في الرياض الى حين(٥) . واستلم عبد الرحمن بن فيصل الحكم ، وعقد حلفا مع زعماء القصيم لمقاومة ابن الرشيد الا ان حلفاءه انهزموا في معركة (المليداء) في غرب القصيم عام ١٨٩١م ، واضطر عبد الرحمن على اثرها ان يغادر الرياض خوفا من آل الرشيد ، وظل متنقلا في بادية الاحساء فترة من الزمن ، حاولت الدولة العثمانية خلالها استمالته لتعيده نائبا عنها في حكم الرياض شريطه ان يدفع جزءا من خراج بلاده وان يقبل وجود قوات عثمانية الى جانبه هناك، وكانت تلك المفاوضات قد حدثت بالقرب من (عين النجا) القريبة من بلدة المبرز في الاحساء ، وقد قام بعرض وجهة النظر العثمانية طبيب لبناني في الجيش العثماني يسمى (ز خور

---

(١) جمال زكريا قاسم ، المصدر السابق ، ص١٩٨، ١٩٩.

(٢) المصدر نفسه ، ص١٩٩ا.

(٣) المصدر نفسه ، ص١٩٩.

انظر ايضا ، لوريمر ، ص١٤٦٧.

(٤) المصدر نفسه ، ص١٩٩.

انظر ايضا : فلبي ، المصدر السابق ، ص٢٦٦ـ ٢٦٧، والانصاري ، المصدر السابق ، ص١٧٧.

(٥) فلبي ، المصدر السابق ، ص٢٧٧.

عازار) كان قد بعثه (عاكف باشا) متصرف الاحساء ولكن (عبد الرحمن بن فيصل) وفض ذلك لعدم ثقته في الدولة التي كانت تناصب آباءه واجداده العداء منذ زمن بعيد، ولعدم ثقته باخلاص العشائر النجدية بعد ان لمع نجم ابن الرشيد.

ولما كان قاسم بن ثاني قد خرج في تلك الايام على الدولة العثمانية لذا يمم الامير عبد الرحمن صوب قطر ولكن يبدو وان الدولة العثمانية هددته اذا قبل اقامة (عبد الرحمن) في ربوع لخوفها من اتفاق الاثنين معها ضدها. ولذا توجه الامير الذي كان يصطحب معه افراد اسرته الى واحة (بيرين) حيث اقام زمنا عاد بعده الى الاحساء بناء على طلب متصرفها الذي عرض عليه الاقامة في الكويت لقاء اجر من الدولة العثمانية مقداره ستون ليرة في الشهر ، وقبل عبد الرحمن ذلك ونزل في ضيافة آل اصباح وظل في الكويت الى ان تمكن ابنه عبد العزيز من استعادة الرياض عام ١٩٠٢ (١) وهكذا نلاحظ ان السعوديين قد قاوموا الاحتلال العثماني للاحساء منذ اللحظات الاولى ، وكانت مقاومتهم عنيفة في بدايتها الا انهم لم يقبلوا باغتصاب الدولة لجزء من بلادهم حتى في لحظات ضعفهم ، وما رفض الامير السلبية ورفض صريح للتعاون مع العثمانيين على حساب سيادتهم .

الوضع الداخلي ابان احتلال العثمانيين للاحساء ما بين ١٨٧١ ـ ١٩١٣:

اتصف الحكم العثماني للاحساء منذ بدايته بالطابع العسكري ، لكن بعد مرور عامين على احتلال هذا الاقليم وجد العثمانيون صعوبة بالغة في السيطرة على قبائل ذلك الاقليم ، كما ان سكان الاحساء بدأوا يتذمرون من استبداد الاتراك وسوء معاملتهم واثقالهم كواهلهم بالضرائب الباهظة، وعلى الرغم من ان (مدحت باشا) كان منذ البداية قد ادرك الوضع القبلي الذي يسيطر على الاقليم فاستثنى القبائل من دفع الضرائب فيما عدا ضريبة العشور ، ولكن يبدو ان الموظفين العثمانيين قد تجاوزوا تعليمات (مدحت) وتمادوا في تعسفهم مما ادى الى ثورات متعددة (عبد الرحمن بن فيصل) التي اشرنا اليها سابقا مما دعا السلطات العثمانية الى تغيير سياستها في حكم البلاد، فقامت بمحاولة اقرب ما تكون الى تطبيق نظام الحكم المحلي، لأن نظام الحكم المباشر الذي كانوا يتبعونه اثبت فشله لعدة اسباب اهمها :

كثرة النفقات المالية التي كان يتكبدها العثمانيون في الانفاق على وجودهم العسكري في الاقليم وثانيها: قسوة المناخ . وثالثها : فقر المنطقة وبعدها عن مركز الخلافة ، كل الاسباب كانت وراء التغير الذي اعتزمته الدولة ، فأسندت الى (ناصر السعدون) متصرف البصرة وزعيم قبائل المنتفق مهمة تطبيق نظام قليل التكاليف في الاحساء، ولقد اختيار (ناصر) على صهره وزعيم قبيلة بني خادل الموالية للعثمانيين (بركة بن عريعر) لتسلم منصب المتصرف في ذلك الاقليم ، فغادر (ناصر باشا) مدينة البصرة الى الاحساء وبصحبته اربع سفن عثمانية هي (أشور ، أبوس ، ولبنان ، وسينوب) وكان يصحبه (احمد باشا) قائد الحاميات العثمانية في الاحساء ، وعقد (ناصر باشا) مؤتمرا كبيرا في مدينة الهفوف اعلن فيه عن سياسة الدولة التي تعتزم تطبيقها في البلاد واعلن ايضا عن تنصيب صهره (بركة بن عريعر) متصرفا للاقليم وترك له قوة صغيرة من الشرطة العسكرية لتساعده في إقرار الامن، وترك له ايضا بعض رجال الحاميات وقام بسحب معظم جنود الدولة من الاقليم وعاد بهم الى البصرة (٢) . ولكن تلك الترتيبات التي اتخذت في مارس ١٨٧٤ لم تعمر طويلا ، ولم يقدر لتلك التجربة النجاح ، فاضطر (ناصر باشا) الى العودة مرة اخرى الى الاحساء على اثر الثورة التي اندلعت في الاقليم بزعامة

---

(١) الريحاني ، المصدر السابق ، ص١٠٥ـ ١٠٦.
انظر ايضا : جمال زكريا قاسم ، المصدر السابق ، ص٢٩٧ـ ٣٠٠.
(٢) لوريمر ، المصدر السابق، ص١٤٦١ـ ١٤٦٢.
انظر ايضا : النجار ، المصدر السابق ، ص٣١٧.

(عبد الرحمن بن فيصل) في اواخر عام ١٨٧٤ ، وقام باخضاع الثورة بلا هوادة وعين ابنه (مزيدا) متصرفا للدولة في الاحساء وعاد الى البصرة في فبراير عام ١٩٧٥ لتكافئة الدولة على اعماله تلك بتعيينه واليا للبصرة التي رفعت الى درجة الولاية في ذلك العام [١] .

ولكن سياسة الكبت التي اتبعها (آل السعدون) في الاحساء لم تفلح بل اظهرت ان هناك فئات من السكان مازالت تدين بالولاء (لآل سعود) ولقد تبدى ذلك واضحا في الثورة التي عمت الاقليم عام ١٨٧٨/ ١٨٧٩ والتي كادت تطيح بالوجود العثماني في الاحساء[٢] .

وعلى الرغم من ان الدولة العثمانية قد نجحت في الفترة التالية تخفيف ضغط السعوديين على الوجود العثماني في الاحساء وذلك بتشجيع (آل الرشيد) واغرائهم بالسيطرة على نجد وانهاء حكم السعوديين فيها، الا ان الوضع الداخلي في الاحساء ظل يزداد سوءا يوما بعد يوم ، خاصة بعدما سحبت الدولة العثمانية معظم حامياتها من الاقليم. وكان ذلك العمل قد اغرى قبائل الاحساء ـ التي لم تعرف يوما معنى للنظام والقانون ـ بالتمرد على قوانين الدولة فانتهجت في ذلك اسلوب النهب والسلب والاغارة على القوافل التجارية التي كانت تعبر الصحراء ما بين الهفوف والعقير ، بل لقد تعدت في اعتداءاتها البر الى البحر، وقامت بالاستيلاء على القوارب والسفن التجارية في عرض الخليج ، ولقد بلغت تلك الاعمال ذروتها في الفترة ما بين ١٨٧٨ـ ١٨٨٠ حينما بدأ يلمع اسم (زيد بن محمد) من قبيلة بني هاجر كقرصان استطاع ان يروع الامن في مياه الخليج بأعماله العدوانية ، وخاصة في منطقة القطيف ، فقد قام هو واتباعه من بني هاجر ، وآل مرة ، يشاركهم بعض افراد قبيلة العجمان بزعامة (منصور بن منيخر) بالسطو على العديد من السفن وتجريدها من الاموال والبضائع التي تقلها وكانت تلك العصابة لا تتورع عن سفك الدماء في سبيل تحقيق غاياتها، ولقد ادت تلك الاعمال الى تأزم الوضع في الخليج بين الدولة العثمانية وبريطانيا، وذلك لأن قسما كبيرا من تلك السفن كانت تخص البحرين او تخص رعايا آخرين للدولة البريطانية[٣] وقد طلب الانجليز من العثمانيين اكثر من مرة وضع حد لتلك الاعمال وكان العثمانيون في كل مرة يتجاهلون تلك الاعتراضات فقد رفض (عبد الله باشا) والي البصرة عام ١٨٧٨/ ١٨٧٩ ، الاحتجاجات التي قدمت اليه بهذا الخصوص ، كما انه رفض ان تساهم الدولة البريطانية بتزويد السلطات العثمانية في الاحساء بقوات نظامية تساعد في مطاردة العصاة وقطاع الطرق والقراصنة [٤] .

وفي عام ١٨٨٠ حاولت قبيلة (العجمان) مهاجمة العثمانيين ورتبت امورها للاغارة على مراكزهم واخذها منهم على حين غرة ولكن العثمانيين كانوا قد علموا بخطط العجمان واستعدوا لها، وعندما بدأ العجمان عملياتهم ، تصدت لهم قوات العثمانيين وكبدتهم خسائر فادحة ، وقامت بأسر اثنين من شيوخ القبيلة ، ويبدو ان المتصرف العثماني اعتبر مسؤولا عن ذلك التمرد فأعفى من منصبه [٥]. وفي الفترة التالية يبدو ان العثمانيين اتخذوا من الاجراءات ما عاد بالسلام على الاقاليم فكانت الفترة ما بين ١٨٨٠و ١٨٩٠ فترة هدوء نسبي ، الا ان ذلك لا يعني ان اعمال النهب والسلب قد انتهت ، ولكنها كانت اقل حدة من ذي قبل ، وعندما نشطت بعض اعمال السلب عام ١٨٨٧ والعام التالي قام قارب عثماني بتوجيه انذارات للمتمردين ، كما ان الدولة قامت بإنشاء قاعدة عسكرية صغيرة في رأس تنورة لمنع اولئك من القيام بنشاطاتهم المخلة بالامن ، وكان نتيجة ذلك ان توقفت تلك الاعمال الغير مشروعة الى حين [٦] .
ثم عادت وتجددت في عام ١٨٩١ والعام الذي تلاه واتخذت اشكالا عنيفة ، اذ قام (بنو هاجر) و (آل

---

(١) لوريمر ، المصدر السابق ، ص١٤٦١ـ ١٤٦٢.
انظر ايضا : ديكسون ، الكويت وجاراتها ، ص١٦٠.
(٢) انظر الفصل الخامس (مقاومة السعوديين) ص
(٣) لوريمر ، المصدر السابق ، ص١٤٦٦ـ ١٤٦٨.
(٤) جمال زكريا قاسم ، المصدر السابق ، ص٢٠٥.
(٥) لوريمر ، المصدر السابق ، ص١٤٧٩.
(٦) المصدر نفسه ، ص١٤٨٥ـ ١٤٨٦.

مرة) و (المناصير) بتمرد خطير وهاجموا قافلة تركية محروسة بخمس وعشرين جنديا فقتلوا منهم خمسة عشر جنديا وجرح الآخرون ، وقام رجال القبائل بالاستيلاء على خمسين الف روبية وعلى ما قيمته عشرين الف روبية من البضائع(١) . واضطرب حبل الامن وفقدت السلطات العثمانية على اثر هذه العملية هيبتها فقاموالي البصرة بزيارة للاقليم لاقرار الأمن ولقد حاول أيضاً اعادة تنظيم قضاء قطر التابع لمتصرفية الاحساء الا انه جوبه بمقاومة شيخها جاسم بن ثاني مما اضطر الوالي ان يوجه له حملة بقيادة (محمد حافظ باشا) قائد الجيش العثماني في الاحساء واستنجدت السلطات العثمانية في الاحساء ولكن قبل ان تصل القوات الكويتية كان جاسم بن ثاني قد تغلب على العثمانيين واستطاع ان يقاوم الاجراءات العثمانية الجديدة في بلاده (٢) . ولقد زادت الاحتياطات التركية بعد زيارة الوالي للاحساء الا ان رجال القبائل وخاصة بنو هاجر لم يكفوا عن اعمالهم ، ففي عام ١٨٩٦ اصبح عدد القوارب التركية المسلحة العاملة ضد الخارجين على القانون في الخليج اكثر من ذي قبل، ولكن بني هاجر ارتكبوا مزيدا من اعمال العنف، ففي عام ١٨٩٩ والعام الذي تلاه قاموا بعدة اعمال نهب اتسمت بالعنف ، فاستولوا على عدة قوارب للبحرين وتجاوزوا ذلك باستيلائهم على بعض أموال تجار الاحساء مما جعل (سعيد باشا) المتصرف العثماني يهتم للامر كثيرا ، فأرسل بعض قواته لمهاجمة الاماكن التي ينزلها بدو (بنو هاجر) واستولى على ابلهم واسر عددا من شيوخهم، وقام بدفع تعويضات لتجار الاحساء المتضررين من تلك الاعمال ولكنه لم يعوض المتضررين من تجار البحرين مما دعا السلطات البريطانية الى تقديم احتجاج للسلطات العثمانية في العراق ، ولكن الوالي العثماني هناك رفض حتى مبدأ مناقشة مثل ذلك الامر مع بريطانيا بحجة ان البحرين تابعة للدولة العثمانية (٣) .

ويبدو ان السلطات العثمانية كانت تدفع رواتبا لشيوخ القبائل وذلك لتأمن شرهم ، ولكن تلك الرواتب كانت قليلة وفي اوائل عام ١٩٠٢ طالب زعماء (آل مرة) و (بنو هاجر) بزيادة رواتبهم ، ولكن مطالبهم رفضت فقاموا بالاستيلاء على قافلة ، تابعة للدولة كانت تعبر الطريق بين الهفوف والعقير بالقرب من مكان يسمى (قهرية) ولقد نكل البدو بحرس القافلة واستولوا على ما قيمته مليون روبية بالاضافة الى جميع البضائع التي كانت تحملها تلك القافلة ، وخسر العثمانيون في تلك الغارة العديد من رجال الشرطة الذين كانوا يقومون بحراسة تلك القافلة مما اثار سخط الوالي فراح يعزل متصرف الاحساء آنذاك (موسى كاظم باشا) وعين بدلا منه السيد طالب النقيب الذي عمل بحزم لاقرار الامن في ربوع الاحساء وقام بمهاجمة معسكر (لآل مرة) المسؤولين عن مهاجمة القافلة الآنفة الذكر ، في مكان يدعى (الزرنوقة) واستطاع ان ينكل بجموعهم واخذ كثيرا من اموالهم ومواشيهم وعرضها في مدينة الهفوف ليكونوا عبرة لغيرهم ، كما انه اصدر اوامره بمنع اهل الاقليم من التعامل مع (آل مرة) وقام بتعزيز حاميات الدولة في جزر (المسلمية) (وجنة) لمراقبة الشواطئ ، ولكن يبدو ان سوء معاملته لأحد كبار تجار الاقليم ويدعى (حاجي منصور) كان السبب في عزله من منصبه(٤) وعلى الرغم من تلك الاعمال فقد ظلت هناك جماعات من بني هاجر تمارس السلب ، وقد بدأ يلمع اسم جديد كخليفة (لزيد بن محمد) كان ذلك الرجل يدعى (احمد بن سلمان) وهو احد افراد الاسرة الحاكمة في البحرين والمبعدين منها ، وكان يمت بصلة النسب الى قبيلة بني هاجر ، فراح يتزعم جماعات منهم ويسطو بهم على السفن في مياه الخليج العربي وخاصة سفن البحرين مما دعا السلطات البريطانية الى ان تقدم احتجاجاتها على اعماله فقامت السلطات العثمانية بإلقاء القبض عليه ، ولكنه فر وعاود نشاطه من جديد مما اضطر السلطات العثمانية الى محاكمته غيابيا عام ١٨٩٣ وحكمت عليه بالسجن لمدة خمس عشرة عاما ، ولكنه عاد وظهر عام ١٩٠٤ ونشط في السنوات التالية مما اضطر الوكيل السياسي البريطاني في البحرين الكابتن (بريدو) للقيام بملاحقة ذلك القرصان ومحاولة إلقاء القبض عليه ، فقام برحلتين شراعيتين

---

(١) لوريمر، المصدر السابق ، ص١٤٨٠.
(٢) النجار ، المصدر السابق ، ص٣١٩.
(٣) لوريمر ، المصدر السابق ، ج٣، ص١٤٨٩.
(٤) الانصاري ، المصدر السابق ، ص١٨٦ـ ١٨٨.
انظر ايضا ، لوريمر ، المصدر السابق ، ص١٤٧٥، ١٤٨١.

استغرقت كل واحدة منهما اربعة ايام قضاها في البحث عن (احمد بن سلمان) ولكنه فشل في ذلك، فزار القطيف واجتمع بالقائمقام العثماني وقدم احتجاجه على اعمال (احمد بن سلمان) وتوالت احتجاجات السلطات البريطانية بشأنه في الاعوام التالية(١) .

ولقد افلت بعد ذلك زمام الامن من ايدي السلطات العثمانية فلم تستطع اقرار الامن حتى المدن ومراكز حامياتها، اذ تعرضت مدينة الهفوف والقرى المجاورة لها عام ١٩٠٦لغارة من قبيلة العجمان ، الذين استطاعوا ان يفتكوا بعدد كبير من سكان المدينة والجنود العثمانيين الموجودين فيها، وفي النهاية اضطر اهل المدينة الى التوقيع على عقد صلح مع العجمان يسمح لهم بموجبه بارتياد مدينة الهفوف لشراء حاجياتهم كالتمور والمواد الغذائية الاخرى (٢). وفي العام التالي ١٩٠٧ اعترض سكان مدينة المبرز قافلة تموين تابعة للحامية العثمانية في تلك المدينة ودارت بين الفريقين معركة خسر فيها الطرفان عددا من القتلى، راح متصرف الهفوف على اثرها يفرض غرامة على سكان المبرز تأديبا لهم على فعلتهم تلك ، ولكنه دفع الثمن غاليا بعد عامين اذ كمن له رجل من المبرز في سوق مدينة الهفوف واطلق عليه النار وارداه قتيلا (٣) . واجتاحت الاقليم في السنوات الاربع الاخيرة لوجود العثمانيين هناك اعمال عنف ، اذ قام رجال القبائل البداة بالاعتداء على المدن واعملوا فيها يد السلب والنهب وخاصة مدينة (القطيف) التي تعرضت لسلسلة متصلة من اعمال العنف والفوضى، ولكن تلك الاوضاع قد انتهت عام ١٩١٣ باستيلاء الامير عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل على الاقليم وطرده للحاميات العثمانية نهائيا من الاحساء(٤) .

ومما لا شك فيه ان تلك الاعمال المروعة التي قام بها رجال القبائل وبعض النفر الخارج على القانون ، قد ادت الى تبديد جهود السلطات العثمانية في الاحساء في ملاحقة اولئك النفر والى اشاعة الخوف وعدم الاستقرار في تلك الربوع مما ادى بدوره الى تأخر شامل في جميع مرافق الحياة. اذ تأخرت التجارة نتيجة لعدم امن الطرق في البر والبحر ، واهملت الزراعة نتيجة للتعسف في جمع الضرائب من ناحية وعدم الامن من ناحية اخرى ، واهمل التعليم فبعد ان كان هذا الاقليم يزخر بحركة علمية منذ القدم وكان لعلمائه شهرة فائقة في بلدان الخليج ، نرى انه في العهد التركي لم يكن يوجد في البلاد عام ١٩٠٠سوى ثلاث مدارس ، وكان عدد المتعلمين ربع مليون ، اي ان نسبة المتعلمين في الاقليم لم تتجاوز ١,٥ % ، اما بالنسبة للحالة الصحية فلم يكن هناك عناية تذكر مما ادى الى سوء الاحوال الصحية وتفشي الامراض بين السكان (٥) .

وفي اعتقادي ان هناك عدة عوامل ادت الى تلك الحالة المضطربة وأهمها:

أولا : عدم استطاعة العثمانيين السيطرة على قبائل البادية، فعجزوا تماما وخاصة في اواخر عهدهم عن اشاعة الامن في ربوع الاقليم، ولم تكن سيطرتهم تتعدى اسوار المدن التي يقيمون فيها، بل كانوا يتعرضون هم انفسهم الى غارات رجال القبائل(٦) .

ثانيا : تعدد حكام الدولة في الاقليم (المتصرفون) وقصر المدة التي كان يقضيها كل واحد منهم في منصبه، بحيث لا يتسنى له معرفة احوال الاقليم، وكان من الصعب على اي منهم ان يتبنى سياسة اصلاحية اذ لم يكن يسعفه الوقت للاستمرار في تطبيقها. فقد بلغ عدد هؤلاء المتصرفون في الفترة ما بين ١٨٧١ـ ١٩١٣ حوالي عشرون متصرفا(٧).

---

(١) لوريمر ، المصدر السابق ، ص١٤٨٩ـ ١٤٩٤.
(٢) الانصاري ، المصدر السابق ، ص١٨٩.
(٣) المصدر نفسه ، ص١٩٠.
(٤) محمد سعيد المسلم ، ساحل الذهب الاسود ، ص١٩٣ـ ١٩٤.
(٥) جمال زكريا قاسم ، المصدر السابق ، ص٢٠١ـ ٢٠٢.
(٦) محمد سعيد المسلم ، المصدر السابق ، ص١٩٢ .
(٧) الانصاري ، المصدر السابق ، ص١٨٠ـ ١٩٠.
انظر ايضا : لوريمر ، ج٣، ص١٤٧٢ـ ١٤٧٥.

ثالثا : ان الطابع العثماني في الاحساء ظل طابعا عسكريا، وكات نفقات الحاميات تستأثر بالقسم الاكبر من ميزانية الاقليم التي كانت تعتمد في الدرجة الاولى على الضرائب التي كانت تجمع من الاهالي ، فقد بلغت عوائد الاقليم في عام ١٩٠١ حوالي ٦٠ الف ليرة ، كانت نفقات رجال الجيش العثماني منها حوالي ٥٤ الفا، وما ظل منها لا يكفي بالطبع للخدمات المدنية الاخرى ، مما اضطر الدولة لاتباع سياسة الضرائب التصاعدية لكي يتوازن الدخل والمنصرف ، ففي عام ١٩٠٥/ ١٩٠٦ ارتفعت مدخولات الجمارك ٥،٣٧ % عن السنة السابقة وفي العام التالي اضطرت الدولة الى رفع تلك العائدات ٥،١٢ % ايضا[١] .

كانت تلك هي الاسباب الرئيسية التي ادت الى اضطراب الحالة الداخلية فأدت الى التأخر الشامل الذي اشرنا اليه في جميع مرافق الحياة في اقليم الاحساء. الا انها ادت الى نتائج اخرى على الصعيد الخارجي اهمها :

اولا : سوء العلاقات بين العثمانيين في متصرفية الاحساء وبين بعض بلدان الخليج، وما تبع ذلك من صراع عثماني بريطاني في المنطقة .

ثانيا : تشجيع الامير (عبد العزيز آل سعود) على انهاء الوجود العثماني في الاحساء، وقد تمكن من ذلك عام ١٩١٣.

علاقة العثمانيين في الاحساء ببلدان الخليج
والصراع العثماني البريطاني في المنطقة ما بين ١٨٧١- ١٩١٣:

كان هذا الصراع ناتجا عن محاولات العثمانيين المتكررة للتوسع من قاعدتهم في الاحساء نحو بعض بلدان الخليج ، وموقف بريطانيا الصلب لمنع تلك المحاولات . ولقد شمل ذلك الصراع منطقتين هما :

١- قطر وامارات الساحل المهادن .
٢- البحرين

اولا : محاولات التوسع العثماني في قطر وامارات الساحل المهادن :

لقد ادى الاحتلال العثماني للاحساء عام ١٨٧١ الى امتداد نفوذ العثمانيين الى شبه جزيرة قطر، ففي يوليو من ذلك العام ، ارسلت السلطات العثمانية في الاحساء قوة من الجند ووفدا برئاسة شيخ الكويت (عبد الله بن صباح) الذي استطاع اقناع شيخ قطر جاسم بن ثاني باعلان تبعية للباب العالي ، ووافق نتيجة لذلك على مرابطة حامية عثمانية في الدوحة فاحتجت بريطانيا على ذلك العمل فتذرعت بالاتفاقية التي كانت قد عقدتها مع والده عام ١٨٦٨ ، ولكن المقيم البريطاني في الخليج آنذاك (بلي) كان ماهرا في تجنب حدوث اصطدام بين قواته والقوات العثمانية في قطر ، فترك الوضع مائعا، واكتفى بالاشارة على حكومته باستخدام التصريحات العثمانية السالفة التي كانت تؤكد عدم رغبة العثمانيين في السيطرة على بلدان ترتبط بمعاهدات مع الدولة البريطانية[٢]. وهكذا نرى ان السلطات البريطانية كانت تخشى امتداد سيطرة العثمانيين الى سواحل قطر حتى لا تتحول تلك البلاد الى مناطق للعثمانيين في توسعهم نحو امارات الخليج الاخرى ، ولما اصبحت قطر قضاء عثمانيا تابعا للاحساء راحت بريطانيا توسع حدود مشيخة (ابو ظبي) المجاورة لقطر فجعلتها تمتد شمالا لتشمل خور العديد بناء على نصيحة تقدم بها

---

(١) لوريمر ، نفس المصدر ، ص١٤٧٧.
(٢) نوار، المصدر السابق ، ص٤٢٧٦ .
انظر ايضا ، الانصاري ، المصدر السابق ، ص٢٥.
وانظر : عمان والساحل الجنوبي للخليج الفارسي ، ص٢٩٨.

المقيم البريطاني في الخليج (لويس بلي) عام ١٨٧١ ، الا ان ذلك قد اثار نزاعا اقليميا حادا بين قطر وتؤيدها الدولة العثمانية من ناحية وبين (ابو ظبي) تؤيدها بريطانيا من ناحية اخرى. وكانت بريطانيا ترتكز في ادعاءاتها بتبعية العديد لشيخ ابي ظبي على ان سكان العديد من (القبيسات) وهم فرع من قبيلة (بني ياس) التي تشكل العمود الفقري لامارة ابي ظبي(١) . ولكن القبيسات كانوا منشقين على شيخ ابي ظبي وكان شيخهم (بطي بن خادم) يحاول جاهدا اقناع السلطات البريطانية الاعتراف باستقلاله ، وهدد اكثر من مرة بانه سيقبل الراية العثمانية ويعلن نفسه تابعا للدولة العثمانية اذا رفضت مطالبه، ولقد قبل الراية العثمانية فعلا عام ١٨٧٣(٢) وراح يرفض مشروعا بريطانيا للتوفيق بينه وبين ابي ظبي عام ١٨٧٧. لذلك خولت الحكومة البريطانية مقيمها في الخليج الصلاحية في مساعدة الشيخ (زايد) شيخ ابي ظبي في اخضاع سكان العديد متذرعة بمطاردة القراصنة ، ولما قام ذلك الشيخ يسانده المقيم البريطاني بالهجوم على العديد وجدوا ان القبيسات قد هجروا العديد بعد ان هدموا بيوتهم وردموا آبارهم والتجأوا الى الشيخ (جاسم بن ثاني) في قطر(٣). وعلى الرغم من ان القبيسات عادوا في عام ١٨٨٠ فتصالحوا مع شيخ ابي ظبي، الا ان الشيخ (جاسم بن ثاني) قد اعتبر ذلك بمثابة انسلاخ للعديد عن قطر ، اذ كان شيخ العديد قد اعترف بتبعية للسلطات العثمانية منذ عام ١٨٧٣ ، ورفع الراية العثمانية على بلاده بعد ان تسلمها من القائد البحري العثماني حسين افندي الذي زار العديد آنذاك .

ووضعت اثناء تلك الزيارة الترتيبات التي تجعل من العديد تابعة للقائمقام العثماني في قطر على ان يدفع شيخ العديد مبلغا من المال سنويا للتدليل على تلك التبعية (٤) ، الا ان السلطات البريطانية لم تسلم بتلك التبعية لانها لم تعترف بالسيادة العثمانية الا على الساحل الممتد من البصرة الى العقير ، اما فيما يلي ذلك جنوبا فلم تعترف باي سيطرة عثمانية باستثناء البدعة والوكرة (٥). ولذلك ظلت تناصر شيخ ابي ظبي للاحتفاظ بالعديد وكان هدفها من ذلك ان تحد من تقدم السلطات العثمانية نحو الامارات العربية الاخرى في جنوب الخليج والتي كانت ترتبط مع بريطانيا بمعاهدات حماية منذ عهد بعيد الا ان تلك السياسة البريطانية المتعنتة في مقاومة النشاط العثماني جعل الدولة العثمانية تشد من ازر (جاسم بن ثاني) فأوعزت الى حليفها في حائل (محمد بن الرشيد) بمساعدة (جاسم بن ثاني) ضد شيخ ابني ظبي، فاوعز هذا بدوره الى عامله على الرياض (سالم السبهان) بالاسراع لمساعدة جاسم ، ولقد استطاع شيخ قطر بمساعدة السبهان، وعبد الرحمن بن فيصل ـ الذي كان يحكم نيابة عن اخيه المنفي في حائل ـ اجتياح المناطق الداخلية لامارة ابي ظبي والمناطق المجاورة حتى اشرفوا على عمان عام ١٨٨٨م . وقد اعتبر توسعا للدولة العثمانية ، الا انه عاد فانحسر بسرعة نتيجة للمساعدات التي قدمتها بريطانيا لشيخ ابي ظبي ، ونتيجة للضغط الذي تعرض له جاسم من قبل السلطات البريطانية في الخليج من قبل السلطات البريطانية في الخليج (٦) . ولم ينته الصراع العثماني البريطاني بالنسبة لسواحل قطر عند هذا الحد الا انه اتخذ بعد ذلك الطابع الدبلوماسي ، ففي عام ١٨٩١ اكد ناظر الخارجية العثمانية ان العديد

---

(١) جمال زكريا قاسم ، المصدر السابق ، ص٢١١.
(٢) عمان والساحل الجنوبي للخليج الفارسي ، ص٢٥٧.
(٣) كيلي ، الحدود الشرقية لشبه الجزيرة العربية ، ص١٤٥.
انظر ايضا ، عمان والساحل الجنوبي للخليج الفارسي ، ص٢٥٩.
(٤) جمال زكريا قاسم ، المصدر السابق ، ص٢١٤.
(٥) المصدر نفسه ، ص٢٠٨.
(٦) كيلي ، المصدر السابق ، ص١٤٦ـ ١٤٧ .
انظر ايضا : جمال زكريا قاسم ، ص٢٢٢.

والزبارة تدخلان ضمن حدود ولاية البصرة ، وفي العام التالي من شأنها تقوية السيطرة العثمانية في قطر ولكن تلك المحاولة جوبهت بمقاومة جاسم بن ثاني الذي كان يعارض تسلط العثمانيين على جميع المرافق في بلاده مما ادى الى تجريد حملة عثمانية من الاحساء بقيادة (محمد حافظ باشا) في محاولة لاخضاع جاسم بن ثاني بالقوة ، ولكن الاخير تمكن من دحر القوات العثمانية قبل ان تصلها الامدادات والنجدات من الكويت والعجمان، واغتنم المقيم البريطاني في (بوشهر) الفرصة فعرض على جاسم ان تقوم السلطات البريطانية بمساعدته وعرض عليه تقديم الحماية البريطانية لبلاده ولكن جاسم رفض ذلك (١) .

الا ان السلطات البريطانية اغتنمت تلك الفرصة وراحت في ١١ نوفمبر من عام ١٨٩٢ تحتج على تدخل الموظفين العثمانيين في شؤون بلدان الخليج ورد الباب العالي على ذلك الاحتجاج بعدة مذكرات منها مذكرة سعيد باشا ناظر الخارجية في ٢٢ ابريل ١٨٩٣ والموجهة الى السفير البريطاني في الآستانة السير (كلير فورد) (Clare Ford) والتي جاء فيها انه اذا كان كانت الحكومة العثمانية قد تغافلت في السنوات الاخيرة عن تعيين مديرين في الزبارة والوكرة والعديد ، فان ذلك لم يكن الا بصفة مؤقتة لمنع الصدام بين الدولتين الصديقتين، واكد بأن الدولة العثمانية لا تزال متمسكة بحقها في السيادة المطلقة على تلك المديريات(٢). وفي عام ١٨٩٦ حاول العثمانيون اقامة مخفر لهم في العديد الا ان السلطات البريطانية منعتهم من ذلك . وفي عام ١٩٠٢ حاولوا ضم العديد لقطر الا انهم منعوا من ذلك بفعل اجراءات بريطانية شديدة . وقد سنحت الفرصة للانجليز عام ١٩٠٥ بضم العديد لامارة (ابي ظبي) وابلغوا ذلك للعثمانيين وراحوا في السنة التالية ١٩٠٦ يؤكدون تلك التبعية اتفاقية مع شيخ ابي ظبي اعترفوا فيها بتبعية العديد لشيخ تلك الامارة ولم ينته الصراع عند هذا الحد، فقد قام العثمانيون عام ١٩١٠ بالسيطرة على العديد، وظل بعدها الصراع قائما حتى عقدت المعاهدة البريطانية العثمانية عام ١٩١٣ وانسحب على اثرها العثمانيون من العديد والمناطق المجاورة لها.(٣)

ثانيا : الصراع العثماني البريطاني على البحرين:

كان في مخطط (مدحت باشا) ان يضم البحرين للاحساء ابان الحملة التركية على الاحساء عام ١٨٧١، ولكنه لم يتمكن من ذلك نتيجة للمعارضة البريطانية السافرة التي جوبه بها اثناء زيارته للاقليم في اواخر ذلك العام . فآثر ان يسلك الطريق الدبلوماسي فأرسل (عارف بك) القائد البحري العثماني في مهمة لاقناع شيخ البحرين بالدخول في دائرة النفوذ العثماني متذرعا بحجة التحقيق في مصرع احد شيوخ بني هاجر الذي كان يعمل في خدمة السلطات العثمانية في الاحساء، ولكن (عارف بك) لم يحقق نجاحا ملحوظا في مهمته، وكل ما حققه كان اعتذارا ارسله شيخ البحرين لمدحت باشا، برر فيه الاسباب التي ادت الى مقتل ذلك الرجل، ولكنه تبرع للسلطات العثمانية بقطعة ارض وسمح لهم باقامة مستودعات للوقود اللازم لتزويد سفنهم في الخليج(٤) ، ولقد كثر تردد السفن العثمانية على البحرين بعد

---

(١) الدباغ : قطر ماضيها وحاضرها ص١٨٤- ١٨٥.
(٢) جمال زكريا قاسم ، المصدر السابق ، ص٢٢٣.
(٣) عمان والساحل الجنوبي للخليج الفارسي ، ص٢٦٠+٢٦١.
انظر ايضا :
Buch , Britian and the Persian Gulf . P. 143. .
(٤) انظر الفصل الرابع .

ذلك بحجة التزود بالماء والوقود ، الامر الذي اقلق السلطات البريطانية فراحت تنصح شيخ البحرين بالحد من نشاط العثمانيين في الجزيرة ، وقد نجحت في ابعاده عنهم فراح يؤكد حرصه على الالتزام بالمعاهدات المعقودة بين بلاده وبريطانيا خاصة معاهدة ١٨٦١[١] . ولكن السلطات العثمانية في الخليج لم تكف عن محاولاتها المتعددة لادخال البحرين في دائرة نفوذها واتباعها للاحساء، وقد نهجت في ذلك طرقا عديدة واستغلت كل الظروف التي تبرر لها حق التدخل في البحرين. ففي عام ١٨٧٤ حاولت الدولة العثمانية ان تزيد من قوة حامياتها العسكرية في قطر ورأت ان تعيد بناء ميناء الزبارة على البحرين، ولذلك قامت بريطانيا بتقديم احتجاج رسمي للدولة العثمانية اوضحت فيه بانها لا تسمح بإقامة اي مركز في الزبارة معادي لسلطاتها في الخليج ، وقد جاء في رسالة من الكولونيل (روس) المقيم البريطاني في الخليج بتاريخ ١٩ ديسمبر ١٨٧٤ ، الى حكومة الهند يؤكد فيها بان الزبارة كانت في الماضي للبحرين ولا تزال تستعمل كمصيف لشيوخ البحرين حتى الآن وان الحكومة العثمانية لم تمارس ملكيتها للمنطقة ولم يسبق لها ان طالبت بذلك[٢]. ونحن نلحظ هنا ان بريطانيا قد غيرت من سياستها بالنسبة لعلاقة قطر والبحرين فبعد ان شجعت في عام ١٨٦٨ على انفصال قطر عن البحرين واعتبرتها امارة مستقلة ذات سيادة وراحت تعقد معها معاهدة حماية، الا انها الآن تنكر ذلك في سبيل مصالحها[٣] .

ولكن العثمانيين راحوا يردون على تلك السياسة بتشجيع قبائل الاحساء البدوية وخاصة (بنو هاجر) على اجتياح البحرين. وفي اعتقادي ان الاسباب التي دعت لاختيار قبيلة بني هاجر لمثل تلك المهمة عديدة . اهمها :

اولا : مقتل احد شيوخها قبل عدة سنوات في البحرين .

ثانيا : تزعم ناصر بن مبارك ــ احد المطالبين بعرش البحرين ـ لتلك القبيلة لانها تمت له بصلة المصاهرة والنسب .

ثالثا : قوة تلك القبيلة وشهرتها في القيام بأعمال النهب والسلب .

ولقد قامت قبيلة بني هاجر بمحاولة جادة لمهاجمة الجزيرة ولكنها فشلت بعد ان تدخلت السفن البريطانية لصدها عن قصدها ففي تقرير للمقيم البريطاني (روس) مؤرخ في الثاني عشر من سبتمبر عام ١٨٧٤ اكد فيه بان بني هاجر قد حصلوا على السفن التي استخدموها في ذلك الهجوم من (البدع) في قطر ، وبينما كانت تلك القوارب تشق طريقها الى البحرين فوجئت بظهور القارب البريطاني المسلح (مي فرير) (ay frere) الذي اربك خططها ، فتراجعت ولكنها اتجهت الى (الزبارة) حيث قامت بمهاجمة قبيلة بني نعيم الموالية لشيخ البحرين، فاسرعت السلطات البريطانية بارسال السفينة البريطانية المسلحة (هج روز) (Hugh rose) التي اطلقت قذيفتين على المقاتلين المتواجدين على الساحل المقابل مما اضطرهم الى الانسحاب مخلفين وراءهم اثنين وعشرين قتيلا . مما دعا السلطات العثمانية الى تقديم احتجاج شديد اللهجة عن طريق السفير العثماني في لندن (موزوروس باشا) (musurus) [٤] ، بغداد يفيد فيه بأن الهجوم الذي قام به بنو هاجر في العراق بتشجيعه لمثل تلك الاعمال، ولذا قام السير اليوت ،

---

(١) جمال زكريا قاسم ، المصدر السابق ، ص٢٢٦ـ ٢٢٧.

(٢) FO. 78/5108. Turkish Jurisdiction along the Arabian Coast , Part II. P. 31-32.
انظر ايضا : جمال زكريا قاسم ، المصدر السابق ، ص٢٢٨.

(٣) جمال زكريا قاسم ، المصدر نفسه ، ص٢٢٨.

(٤) FO. 78/5108. Turkish Jurisdiction along the Arabian Coast Part II. P. 30.

السفير الانجليزي في الآستانة بابلاغ الحكومة العثمانية بأن الحكومة البريطانية لن تقبل بأي حال من الاحوال ان يتعرض استقلال البحرين للخطر(١) .

ولقد قام شيخ البحرين بتأييد قبائل (بني نعيم) المقيمة في زبارة وبناء على ذلك التأييد رفض شيخ تلك القبائل (ناصر بن جبر) قبول التبعية العثمانية حينما عرضها عليه (حسين افندي) الذي زار ذلك الميناء على رأس بعثة عثمانية. وراح شيخ قبائل النعيم يطلب مساعدة شيخ البحرين تخوفا من السلطات العثمانية في المنطقة، وطلب شيخ البحرين من السلطات البريطانية السماح له باقامة حامية له في الزبارة وبتعزيز مواقف حلفائه من بني النعيم، الا ان السلطات البريطانية كانت لاترغب في الاصطدام مباشرة مع العثمانيين، فنصحت شيخ البحرين بالكف عن التدخل في شؤون قطر لان شرعية حقوقه هناك امر غير ذي شخصية مؤكدة، ولكنها وعدته بانها ستقدم له الحماية ضد اي عدوان تتعرض له بلاده سواء كان ذلك من البر أو البحر، اذا ما تمسك بشروط المعاهدة المعقودة بينه وبين بريطانيا، ولما رأت السلطات البريطانية ان شيخ البحرين مستمر في تأييد حلفائه من بني نعيم لتأكيد حقوقه في الزبارة ، طلبت حكومة الهند من الكولونيل (روس) ان يظهر للشيخ بشكل جلي انه لن تتحمل اي نتائج تترتب على اعماله تلك ، وبينما كانت السلطات البريطانية تنتهج تلك السياسة التي تهدف الى عدم الاصطدام المباشر مع السلطات العثمانية ، راح العثمانيون يحاولون مد سيطرتهم على البحرين واتباعها للاحساء بحجة الانتقام من شيخها (عيسى بن علي) الذي اتهموه بتقديم يد العون للامير (عبد الرحمن بن فيصل) السعودي الذي كان قد افرج عنه في بغداد عام ١٨٧٤ فنزل البحرين ومنها اتصل باعوانه من قبائل الاحساء وقاد ثورة كادت تطيح بالعثمانيين في الاقليم. ولكن الحكومة البريطانية حاولت تبرير موقف شيخ البحرين مؤكدة ان (عبد الرحمن بن فيصل) لم يتلق اي عون من قبل شيخ البحرين، وان كل ما تلقاه لا يتعدى تقديم الملجأ والتكريم الذي يقدمه كل عربي لمن ينزل بجواره ، واكدت ان شيخ البحرين مازال متمسكا بحياده من قضية الصراع السعودي ، ولكن العثمانيين اصروا على ارسال حملة تأديبية للبحرين، ولذلك ارسلت حكومة الهند الى الحكومة البريطانية تقريرا عن الاوضاع في المنطقة وحذرت من ان البحرين ستواجه عدوانا وشيكا عليها ربما يستعمل فيه العثمانيون قبيلة بني هاجر بزعامة (ناصر بن مبارك) واكدت ان شيخ البحرين يعتمد على الحكومة البريطانية في المحافظة على استقلاله ، ومن الواجب على البريطانيين القيام بالتزاماتهم نحوه في المعاهدة المعقودة مع البحرين عام ١٨٦١ ، كما اضافت المذكرة بأن حكومة الهند قد طلبت من الادميرال (كمنج) (Cumming) بتعزيز قوة الاسطول البريطاني في البحرين، وقد بعث وزير الدولة (اللورد سولزبري) بموافقته على تلك الاجراءات(٢) .

ولقد حاول العثمانيون تنفيذ تهديداتهم عندما تمكن (ناصر بن مبارك) في نوفمبر عام ١٨٧٥ بمساعدة (جاسم بن ثاني) من الاستيلاء على الزبارة، الا ان حكومة الهند طلبت من المقيم البريطاني في الخليج

---

(١) Ibid .P.32.

(٢) FO.78/5108. Turkish Jurisdiction along the Arabia of the Persian Gulf . P. 32. 34.

انظر ايضا : جمال زكريا قاسم ، المصدر السابق ، ص٢٣٠- ٢٣١.

(الكولونيل روس) التوجه فورا على ظهر السفينة الحربية (تيزر) لصد العدوان. ولقد قاموا بضرب الزبارة بالمدفعية، ولقد تذرع الشيخ عيسى بأن اشتراكه كان ضروريا لصد عدوان مبيت ضد البحرين لان العثمانيين لو نجحوا في تثبيت ناصر بن مبارك في الزبارة ، لاصبحت البحرين عرضة لغاراتهم وتهديداتهم. ولقد حاول البريطانيون التخفيف من الاثر الذي تركه اشتراك قواتهم في ضرب الزبارة حين اكد (اللورد داربي) للسفير العثماني في لندن موز روس باشا ان ذلك العمل لا يعني الانتقاص من اعتراف البرطانيين في الآستانة اكد لناظر الخارجية العثمانية ان السفينة التي هاجمت الزبارة كانت تقوم بحفظ الامن في الخليج ونفى ان تكون السلطات البريطانية قد تدخلت في شؤون شبه جزيرة قطر(١).

ولكن السلطات العثمانية بدأت تضع العراقيل في وجه شيخ البحرين على اثر ذلك العمل اذ راح متصرف الاحساء يطالب شيخ البحرين بدفع التعويضات لتاجرين من قطر كان بعض اتباع شيخ البحرين قد اعتدوا على اموالهما في عملية تسلل قاما بها للجزيرة . ولقد نصح المقيم البريطاني الشيخ عيسى بأن يرد على حاكم الاحساء ردا هادئا. ومرضيا حول ذلك الموضوع ، الا ان المقيم ارسل الى حكومة الهند منبها اياها بان ذلك الطلب يهدف الى اغراض اخرى ، وفي ٢٧ يناير عام ١٨٧٦ اجابت حكومة الهند على رسالة المقيم البريطاني السابقة المؤرخة في ١٧ ديسمبر عام ١٨٧٥ ، وطلبت اليه ان يستمر في نصح شيخ البحرين باتخاذ سياسة هادئة في مثل هذه المواقف وانها طلبت اليه ان يؤكد للشيخ ان الحكومة البريطانية خولت ذلك المقيم ان يعمل بروح المادة الثالثة من المعاهدة المعقودة مع شيخ البحرين في ٣١ مايو سنة ١٨٦١ والتي تقضي بحماية امارة البحرين من اي عدوان خارجي، كما أكدت له أن ذلك الأمر قد نقل الى وزير الخارجية البريطانية ليقوم بدوره بابلاغه الى السفير البريطاني في الآستانة السير هنري اليوت لكي يسترعي انتباه الباب العالي لهذه القضية (٢).

وبعد ذلك بثلاث سنوات وفي عام ١٨٧٨م استطاع ناصر بن مبارك ان يجمع قوة من بني هاجر ويحتل بهم الزبارة بعد ان حطم ما بها من قلاع، ولما كان شيخ البحرين يخشى على امن بلاده نتيجة لذلك العمل، فقد تعاون مع الانجليز في صد ذلك العدوان وطرد ناصر من الزبارة ، ولقد علل المقيم البريطاني عمله ذلك بانه يدخل ضمن الالتزامات التي تنص عليها المعاهدات البريطانية مع البحرين(٣).

وفي اواخر عام ١٨٨٠ استطاع ناصر بن مبارك ان يحتل منطقة الرويس على ساحل قطر ولكنه جوبه باحتجاج المقيم البريطاني الذي راح يحذر الشيوخ المحليين من مساعدته مما ادى الى انسحابه ثانية الى داخل قطر ، وفي يناير عام ١٨٨١ كتب ناصر بن مبارك الى المقيم البريطاني بأن هناك اناس كثيرون في البحرين يطلبون اليه العودة الى الجزيرة وان الظروف اصبحت ملائمة لعودته ويرجو من السلطات البريطانية مساعدته في ذلك ، الا انه لم يتلق ردا على رسالته، وفي فبراير من نفس العام طلب من قاسم بن ثاني، السماح له باستخدام موانئ قطر لمهاجمة البحرين ولكن قاسم بن ثاني رفض ذلك وراح يخبر المقيم البريطاني، واعلن بأنه غير مسؤول عن اعمال (ناصر بن مبارك) وأكد الشيخ جاسم

---

(١) جمال زكريا قاسم ، المصدر السابق، ص٢٣١- ٢٣٢.

(٢) FO. 78/5108. Turkish Jurisdiction along the Arabian Coast of Persian Gulf , P. 34.

(٣) جمال زكريا قاسم ، المصدر السابق، ص٢٣٢.

ان ناصر بن مبارك يتلقى راتبا شهريا من العثمانيين وانهم يحرضونه على مهاجمة البحرين، ولذا راحت السلطات البريطانية تنذر كلا من جاسم وناصر ولم تنظر لادعاءات جاسم بن ثاني واعتبرته المسؤول الاول في حالة وقوع اي اعتداء على البحرين، واكدت بأنها ستستمر في حماية الخليج ومنع السفن العثمانية من العمل جنوب العقير (١).

ويبدو واضحا ان جاسم بن ثاني بدأ يغير من سياسته وفعلا بدأ يضيق بتصرفات العثمانيين ومحاولاتهم تشديد قبضتهم على قطر وانشاء دائرة مكوس جمركية نتيجة لمطالب كان قد تقدم بها التجار الفرس الى متصرف الاحساء وشكوا فيها ارهاق قاسم لهم بالضرائب التي يفرضها على تجارتهم، ولذلك حاول جاسم جهده انهاء السيطرة العثمانية على البلاد بمحاولة اثارة القبائل لكي يجبر القوات العثمانية المرابطة في البدع على الخروج من البلاد ، وفي نفس الوقت راح يطلب من السلطات البريطانية حمايته، ولقد تأكدت تلك السلطات بأن كل الاعمال الفوضوية التي اجتاحت الجزيرة كانت بإيعاز من جاسم ، او انه تغاضى على الاقل عن اخمادها، ولذلك راح جاسم يعد وثيقة وقع عليها معظم سكان قطر تؤكد عدم مسؤوليته عن تلك الحوادث الا ان السلطات البريطانية لم تأخذ بذلك وراحت تطلب الى شيخ البحرين بالحجز على ممتلكات جاسم في البحرين.

وفعلا تم الحجز على مبالغ طائلة تعود لجاسم بن ثاني وجرى حجزها من قبل الشيخ عيسى ، الذي انتهز الفرصة وابدى رغبته للسلطات البريطانية بضم قطر اليه ولكنها رفضت ذلك ، ولقد بدا واضحا بعد تلك الاجراءات ان الشيخ جاسم بدأ يغير سياسته وحاول ان يتودد الى الشيخ عيسى في اكثر من رسالة (٢) وكذلك الى السلطات البريطانية ولكن المقيم البريطاني كان يعلم ان جاسم يتبع سياسة الاعتماد على طرفي الصراع في الخليج (الانجليز والعثمانيون) وذلك لتخليص امواله المصادرة ، فكان قد ارسل الى وكيله في البصرة (عيسى بن قرطاس) يطلب اليه ان يحتج لدى السلطات البريطانية في البصرة يعلن فيها تبعيته واخلاصه للباب العالي، ولما كان مساعد المقيم البريطاني في البصرة قد اطلع تلك الرسائل سرا فقد ارسل الى المقيم البريطاني في (بوشهر) في ٧ سبتمبر ١٨٨٧ (٣) وراح ذلك المقيم يرسل نسخة من رسالة روبرتسون الى وزير الدولة في حكومة الهند موضحا ان تلك السياسة الازدواجية في الولاء ستكون في النهاية سبب تدميره (٤) .

وبناء على اتصال جاسم بوالي البصرة راح (محمد صالح باشا) متصرف الاحساء يطلب الى عيسى بن علي بالافراج عن اموال جاسم المحتجزة لديه، ولكن الاخير اعلمه ان تلك الامور حجزت بناء على طلب من السلطات البريطانية وبذلك فوت عليه فرصة محاولة التدخل في شؤون البحرين(٥) .

الا ان السلطات العثمانية راحت تتحين الفرصة للتدخل في شؤون البحرين من جديد في ١٥ يونيو عام ١٨٨٧ وتتعلق بتسوية مشكلة مالية بين (احمد بن علي) اخو حاكم البحرين وبين (احمد بن مهدي) احد تجار القطيف ، وكان المسؤول البريطاني قد احتج على الطريقة التي سويت بها تلك المشكلة ، الا

---

(١) نفس المصدر ، ص٢٣٣- ٢٣٤.

(٢) FO.78/5108. From Jasim Bin Muhammad Bin Thani To Shaikh Esa-Bin Ali Al-Khaleefah , Dated 28th August 1887.

(٣) FO.78/5108. Letter No. 323, From Robertson the Political Agent Basrah To-Colnel Ross , Political Resident and Consul General Bushire , dated 7th September 1887.

(٤) FO. 78/5108. Letter No. 203 From Ross . to the Secretary to the Government of India , dated 12th September 1887.

(٥) جما ل زكريا قاسم ، المصدر السابق ، ص٢٤٢-٢٤٣.

ان الوالي (نافذ باشا) راح يوجه رسالة اليه في ٩ يناير ١٨٨٨ يؤكد له فيها بأن تلك المشكلة قد سويت حسب العرف القديم وتم ذلك بالاتصالات بين موظفي الدولة العثمانية في الاحساء وحاكم جزيرة البحرين ، وراح الوالي يؤكد في ان البحرين تابعة لحكومة الحسا وهي اقليم من اقاليم الدولة العثمانية واذا كان هناك اي احتجاج لاي فرد من سكانها فبأمكانهم توجيه ذلك للمحكمة العثمانية في الاحساء وليس لبريطانيا ان تتدخل في ذلك (١) . ولكن المسؤول البريطاني رد عليه في ١١ يناير ١٨٨٨ منكرا تبعية البحرين للاحساء واكد ارتباطها بمعاهدات مع بريطانيا منذ مدة طويلة واضاف انه غير مخول لمناقشة ذلك الموضوع مع الوالي ولكنه وعد بأنه سيرفع ذلك لحكومته(٢) .

ولقد ارسل في اليوم التالي رسالة الى الكولونيل (روس) المقيم البريطاني في الخليج مرفقا بها رسالة نافذ باشا ورده عليها، واضاف بأن الحكومة العثمانية طلبت من ذلك الوالي التوجه الى الاحساء وامرته بان يلغي زيارته الحالية للاقاليم الشمالية لباشوية البصرة ، ثم يتوجه على الفور الى الاحساء، واضاف انه مما لا شك فيه بان الوالي سيتصل بحاكم البحرين وحاولا ارضاءه حول مشكلة اخيه مع تاجر القطيف، ولكن بشكل يفهم منه موافقة شيخ البحرين على الاعتراف بالسيادة العثمانية المطلقة (٣) .

ولم يمض الا بضعة ايام حتى راح متصرف الاحساء (محمد صالح باشا) يوجه رسالة في ١٦ يناير عام ١٨٨٨ الى الشيخ (عيسى بن علي) يطلب اليه وبناء على اوامر والي البصرة ، بأن يخبر سكان جزيرته بأن الاسم الصحيح للجزيرة هو (اوال) ويجب ان لا يسميها اي احد بعد اليوم بأي اسم آخر (٤) واتبعها (محمد صالح باشا) برسالة اخرى في ٢٢ يناير عام ١٨٨٨ يطلب من الشيخ (عيسى) ان يمنع اقاربه من الذهاب للصيد بأعداد كبيرة الى تخوم قطر(٥) .

ومما يلاحظ هنا ان السلطات العثمانية اخذت تضيق الخناق على شيخ البحرين لاجباره على الاعتراف بالسيادة العثمانية ، الا انه سارع بارسال تلك الرسائل الى المقيم البريطاني في الخليج الذي ارسلها بدوره الى حكومة الهند، فراحت تخوله صلاحية المحافظة على استقلال البحرين ولو ادى ذلك الى استعمال القوة ضد السلطات العثمانية في الاحساء ، وراحت الحكومة البريطانية ترسل باحتجاجاتها الى الباب العالي عن طريق سفيرها في الآستانة الذي طلب ان يكف الضباط العثمانيين في الاحساء عن التدخل في شؤون البحرين ، واكد للحكومة العثمانية بأن اي تدخل لهم في شؤون الجزيرة سيمنع بالقوة من قبل السلطات البريطانية في الخليج (٦) .

---

(١) FO. 78/5108. Translation of a letter from His Excellency NAFIZ PASHA, Governor General of Basrah to the Assistant Political Agent , Basrah , No. 634, dated 9th January 1888.

(٢) FO. 78/5108. No. 16 dated 11th January 1888 From the Assistant Political Agent , Basrah to the Governor General of Basrah .

(٣) FO. 78/5108 . Letter No. 17, dated 12th January 1888. From Robertson , Assistant Political Agent Basrah . To Colonel , Ross , Political Risident in the Persian Gulf .

(٤) FO. 78/5108. From Muhammad Saleh , Mutasarrif of El-Hasa . To Shaikh Esa-Bin Ali Al –Khalifah , Chief of Bahrain Dated 16th January 1888.

(٥) FO. 78/5108. From Muhammad Saleh to Wsau, dated 22nd , January 1888.

(٦) FO. 78/5108. Enclosure No. 16, Telegram No. 236, dated the 31st of January 1888. From – Foreign Secretary , Calutta . To- Political R. in the P. Gulf .

انظر ايضا :

FO. 78/5109. Confidential ,Service Telegram From – Foreign . to Bushire , to the Resident , dated 31st , January 1888.

وكرد على تلك السياسة راحت الحكومة البريطانية تشجع شيخ البحرين بالاعتداء على قطر وفي نفس الوقت حاولت الاتصال بالشيخ (احمد بن علي آل ثاني) اذ قام احد الضباط الانكليز بزيارته وبحث معه علاقات قطر مع العثمانيين، وربما كانت بريطانيا تحاول استمالته الى جانبها الا انه اسرع بنقل ما جرى بينه وبين الانجليز الى السلطات العثمانية التي احتجت على تدخل الضباط الانجليز في شؤون رعاياها .

وفي عام ١٨٩١ حاولت السلطات البريطانية اقناع الشيخ جاسم بقبول استيطان جماعة من اهل البحرين في ميناء الزبارة مقابل (١٠،٠٠٠) روبية، ولكنه رفض ذلك حرصا على ولائه للدولة العثمانية [١]. وفي هذه الآونة ازداد نشاط الدولة الاوروبية في الخليج ، وحاولت الدولة العثمانية ان تشدد من قبضتها على قطر ولكنها فشلت ، ولذلك راحت بريطانيا تؤكد نفوذها في البحرين بتأكيد اتفاقية عام ١٨٨٠م ، فراح الشيخ (عيسى بن علي) في مارس ١٨٩٢ يعلن التزامه بشروط الاتفاقية السابقة، كما انه الزم نفسه بألا يبيع ولا يرهن ولا يتنازل عن اي جزء من بلاده الا للحكومة البريطانية ، وبذلك تحولت البحرين الى محمية بريطانية[٢] .

لم تسلم السلطات العثمانية في الاحساء بذلك بل زادت من تحرشاتها بسكان تلك الجزيرة الذين كانوا يؤمون ساحل الاحساء للتجارة مما دعا المقيم السياسي في الخليج ان يرسل الى زميله في البصرة طالبا اليه الاتصال بالوالي العثماني، ليؤكد له ان البحرين قد اصبحت تحت الحماية البريطانية وانها لن تسمح للسلطات العثمانية بالتدخل في شؤون الجزيرة [٣]. ولكن الوضع ازداد تأزما عندما اجبر قائمقام القطيف في ٧ يناير عام ١٨٩٣ احد رعايا البحرين ويدعى (احمد بن علي بن منيف) بأن يرفع العلم العثماني على قاربه بعد ان اخبره بأن كل المنطقة من البصرة الى عمان هي اراضي عثمانية [٤] ، وعند عودة ذلك الرجل الى البحرين اخبر الشيخ عيسى بذلك فسارع بدوره بالاتصال بالسلطات البريطانية في الخليج شارحا لها الاعمال العدوانية التي ترتكبها السلطات العثمانية ضد مواطنيه، وعبر عن خشيتة من ان تكون تلك الاعمال مقدمة لغزو العثمانيين للجزيرة. وطلب الاسراع بتقديم المشورة له، والمساعدة الكفيلة بحماية بلاده[٥] .

ولقد نقل المقيم البريطاني في الخليج وجهة نظر الشيخ عيسى الى حكومة الهند طالبا الاتصال بالسفير البريطاني في الآستانة ، لكي يحاول اقناع الباب العالي بعدم جدوى تلك التحرشات. كما انه ارسل الى المقيم البريطاني (موكلر) في العراق ، طالبا اليه الاحتجاج على ما اعلنه قائمقام القطيف لدى والي البصرة [٦]. ولدى اجتماع (موكلر) بوالي البصرة اكد بأن البحرين تحت الحماية البريطانية وان ادعاءات القائمقام العثماني في القطيف تناقص العلاقات القائمة بين حكومته والبحرين ، واضاف للوالي انه علم ان تلك الادعاءات قد صدرت من ذلك الموظف دون علم الوالي ، وطلب اليه الغاء تلك المزاعم، واصدار تعليمات مشددة الى الموظفين العثمانيين في الاحساء بعدم تكرار مثل تلك التصرفات في

---

(١) جمال زكريا قاسم ، المصدر السابق ، ص٢٤٤ .
(٢) المصدر نفسه ، ص٢٥٢.
انظر ايضا ، خزعل ، المصدر السابق ، ج٢، ص١١٣.
(٣) FO. 78/5109. From E. Mockler Political Resident in Turkish Arabia To , Assistant Political Agent Basrah . No. 785, dated Nov . 26th 1892.
(٤) FO. 78/5109. No. 3 of 1839 . From the Resident Agent , Bahrain . To The Political Resident Persian Gulf .
(٥) FO. 78/5109 . From Esau – Bin Ali Al –Khaliefah . To – Political Agent . P. Gulf . Dated 8th January 1893.
(٦) FO. 78/5109. No. 37 of 1893 . From – Political Resident in the Persian Gulf . To- Colonel E. Mockler , Political Resident in Turkish Arabia .

المستقبل[١] . وفي نفس الوقت كان السفير الانجليزي في الآستانة قد اجتمع الى الصدر الاعظم وابلغه احتجاج دولته على تصرفات السلطات العثمانية في القطيف تجاه رعايا البحرين ، فبعث الصدر الاعظم الى والي البصرة يطلب اليه ان يصدر تعليمات الى قائمقام القطيف بأن يوقف الهجمات الاعلامية التي شنها ضد البحرين وان لا يحاول التدخل في شؤون تلك الجزيرة ، الا انه اكد على ضرورة معاملة سكان البحرين الذي يزورون الاراضي العثمانية معاملة رعايا الدولة العثمانية [٢] .

وفي ظني ان الدولة العثمانية كانت ترجئ التدخل في شؤون البحرين كلما رأت ان البريطانيين جادون في الدفاع عنها، ولكنها كانت في نفس الوقت لا تعدم الوسيلة لتلميح بأن تلك الجزيرة ترتبط بها. وفي العام التالي ١٨٩٤ حدث ان اعتدى احد اخوة الشيخ (عيسى بن علي) على احد افراد قبيلة (البو علي) في البحرين، ولقد تقدم شيخ (البو علي) (سلطان بن سلامة) بشكوى لشيخ البحرين وعندما ايقن انه لم ينصف رحل مع قبيلته الى قطر وارسل الى متصرف الاحساء آنذاك (ابراهيم فوزي باشا) وطلب اليه ان يدخل في حماية الدولة العثمانية فأرسلت اليه علما تركيا مع مرسوم خاص بأقامتهم في الزبارة [٣] .

ومن هناك بدأ (سلطان بن سلامة) يحاول التدخل في شؤون البحرين، مما اضطر السلطات البريطانية الي التقدم الى (الزبارة) وقصفها بالمدفعية ثم عرجت على مصائد اللؤلؤ حيث قامت باحتجاز عدد من القوارب التابعة لتلك القبيلة والتي كانت تعمل في الغوص والبحث عن اللؤلؤ على مقربة من سواحل الاحساء[٤] . هنا اخذ متصرف الاحساء جانب (البو علي) وارسل انذارا الى المقيم البريطاني في الخليج يحمله تبعة تعكير الامن والسلام على سواحل الاحساء باحتجازه لتلك القوارب ، وطلب اليه الاسراع في الافراج عنها، والا فانه سيسمح للقبائل القاطنة في قطر بمهاجمة البحرين ، وراح يعطي المقيم فرصة مدتها سبعة عشر يوما لتنفيذ انذاره وطلب اليه في نفس الوقت ترحيل الرعايا البريطانيين عن الجزيرة[٥].

وعند انتهاء موعد الانذار في الخامس من سبتمبر ١٨٩٥ توجه الكابتن بلي (J.H. Pelly) قائد السفينة الحربية (سفنكس) (Sphinx) وبصحبته السفينة الحربية (بيجون) (Pigeon) الى (الزبارة) حيث وجه انذارا الى (جاسم بن ثاني) الذي كان قد جاء هو (وناصر بن مبارك) الى الزبارة بناء على اوامر من متصرف الاحساء لمساعدة (سلطان بن سلامة) ولم يمهل (بلي) جاسم اكثر من ساعة واحدة لكي يسحب قواربه من الميناء ويبتعد، وعندما حاول جاسم اقناعه بأنه لم يأت لغرض مهاجمة البحرين ، وانه مستعد لاقناع اصحاب القوارب المسلحة المتجمعة في زبارة بالانسحاب اذا ما ما اعطي مهلة اطول ، رفض (بلي) ذلك وراح في اليوم السادس من سبتمبر يقصف بمدافع السفينتين تلك القوارب ، وقلعة الزبارة ، التي كان يرفرف عليها العلم العثماني ، وبعد ان دمر اربعا واربعين قاربا[٦] ، راح يرسل في

---

(١) FO. 78/5109. No. 605 dated 7th November 1893
From – H.B.Ms Cosul Basrah , To – H.E. Wali of Basrah .

(٢) FO. 78/5109. No. 547, dated Nov . 25th 1893.
From – Francis Clare Ford To – Earl Reosbery .

(٣) النبهاني ، التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية ، ص٢٤٣.
انظر ايضا : جمال زكريا قاسم ، ص٢٤٥.

(٤) النبهاني ، المصدر السابق ، ص٢٤٣ـ ٢٤٤.
انظر ايضا : جمال زكريا قاسم ، المصدر السابق ، ص٢٤٥ـ ٢٤٦.

(٥) FO. 78/5110. Enclosure No. 1, No 98, dated Bushire 15th September 1895,
From – Colonel F. A. Wilson , Political Resident in Persian Gulf . To – the Secretary to the Government Of India .

(٦) FO. 78/5110. H. M.S. Sphinx at Zobara the 7th September 1895.
From – Captain J.H .Pelly , Commander and Senior Naval Officer .
To- Colonel F.A. Wilson , Political R. in the P. Gulf .

٧ سبتمبر ١٨٩٥ الى الشيخ جاسم شروطه ، التي تمثلت في اخلاء الزبارة من آل بو علي وعودتهم الى البحرين ، ثم ابعاد جميع البدو المجتمعين في زبارة ، واعادة القوارب التي كان البو علي قد استولوا عليها كرهائن، واخيرا طلب اليه تسليم القرصان (احمد بن سلمان)(١) ، وقد وافق جاسم على شروط القائد البريطاني الا انه نفي علاقته (بأحمد بن سلمان) واكد عدم وجوده عنده واضاف بأنه لا يعرف شيئا عن تحركاته(٢).

وهنا نلاحظ ان الانجليز استطاعوا ان يقاوموا التدخل الذي شجعه العثمانيون واستطاعوا ان يبقوا على حمايتهم للجزيرة ويحوزوا ثقة شيخها الذي ارسل الى المقيم البريطاني في الخليج شاكرا له الجهود التي قامت به كل من السفينة (Sphinx) والسفينة (Pigeon) في افشال تلك الهجمة التي كان متصرف الاحسا قد بيتها للبحرين بمساعدة كل من جاسم بن ثاني ، وناصر بن مبارك ، وسلطان بن سلامة (٣) . ولقد انتهت قضية (آل بو علي) فعادوا الى البحرين بعدما قتل (سلطان بن سلامة) وهو في طريقه من الاحساء الى البصرة ، حيث كان قد غادرها مزودا بتوصيات المتصرف العثماني الى والي البصرة ولكنه وقع فريسة لكمين نصبه له بعض رجال من (العماير) بمؤامرة من اعداء (سلطان)(٤) ولكن المشاكل التي تثير النزاع العثماني البريطاني لم تنته، ففي عام ١٩٠٠ خرج جماعة من اقارب شيخ البحرين للصيد على ساحل الحسا ، وفي ٣ ديسمبر من ذلك العام هوجموا من قبل عصابة من (آل مرة) وكان يقودها (راشد ين مقارح) زعيم فرع آل (بحيح) من تلك القبيلة ، ولقد ارتكبوا جريمة شنعاء اذ قتلوا ثلاثة من شيوخ البحرين وحوالي عشرين خادما كانوا يرافقونهم انتقاما لمقتل احد ابناء (مقارح) الذي كان قد قتل من قبل رعايا شيخ البحرين في السنة السابقة ، ولقد اثارت هذه المذبحة ، شيخ البحرين والسلطات البريطانية التي حملت العثمانيين مسؤولية تلك المذبحة ، لعدم استطاعتهم اقرار الامن في المناطق التي يحتلونها ، وفي اغسطس من عام ١٩٠١ تقدمت السلطات البريطانية باحتجاجاتها الى السلطات العثمانية في البصرة التي اهتمت بالقضية على القتلة وانزال العقاب الرادع بآل مرة في جميع انحاء الاحساء وقطر ، ولما طالب شيخ البحرين بضرورة تسلمه لثلاث رجال من تلك القبيلة ومبالغ طائلة للتعويض عن اتباعه والاموال المنهوبة منهم ، رفضت الدولة العثمانية ذلك عام ١٩٠٢ بحجة ان الذين اشتركوا في تلك المذبحة قد قتلوا عند مهاجمة الدولة العثمانية لقبيلتهم في العام الماضي ، ولذا سمح البريطانيون لشيخ البحرين في اكتوبر عام ١٩٠٤ بالثأر من آل (بحيح) على ان لا يقع ذلك على

انظر ايضا : عمان والساحل الجنوبي للخليج الفارسي ، ص٣٠٢ـ ٣٠٣ .
انظر ايضا : FO. 78/5110 . dated 7th September 1895
From – Jasim Bin Thani . To- Captain Pelly .
(١) FO. 78/5110. dated Zobara , the 7th September 1895.
From – Capitan Pelly , Commander and Senior Officer .
To – Jasim Muhammad Bin – Thani .
(٢) FO. 78/5110. dated 7th September 1895
From – Jasim Bin Thani , To – Captain Pelly .
(٣) FO.78/5110. Dated 15th September 1895.
From – Shaikh Esau Bin Ali , Chief of Bahrain
To – The Political Resident in P. Gulf.
(٤) النبهاني ، المصدر السابق، ص٢٢٤.

ارض عثمانية [١] ولكن السلطات البريطانية خشيت من ان يتطور الموضوع الى صراع يؤدي الى اعتراف بالسلطة العثمانية على جميع الساحل الغربي للخليج ، لذلك نصحت شيخ البحرين بان يلتزم الهدوء. وراحت في عام ١٩٠٥ تستولي على الزبارة التي كانت مركزا هدد امن البحرين لفترة طويلة من الزمن. وفي عام ١٩١١ عقدت الدولة البريطانية مع شيخ البحرين معاهدة لاستغلال مصائد اللؤلؤ والاسفنج، وفي عام ١٩١٣ وبينما كانت السلطات العثمانية في الاحساء تغادر الاقليم بعد ان طردت منه من قبل الجيش السعودي بزعامة عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل (كان السلطات البريطانية قد فرضت تطبيق قانون ١٨٩٠ الصادر في الهند على البحرين وبذلك اصبحت البحرين مستعمرة بريطانية، وفشلت كل المحاولات العثمانية لضمها للاحساء منذ عام ١٨٧١ وحتى عام ١٩١٣ [٢] .

وفي نفس العام ١٩١٣ كانت الدولة العثمانية والدولة البريطانية تنهي مفاوضاتها في لندن والتي حددت مناطق نفوذ كل من الدولتين ، ومن الغريب أن بريطانيا قد اعترفت بالسيادة العثمانية على الاحساء في تلك المعاهدة وتم التوقيع عليها في ٢٩ تموز (يوليو) ١٩١٣[٣] في الوقت الذي كان فيه الامير عبد العزيز آل سعود قد انهى وجود العثمانيين في ذلك الاقليم منذ ابريل (نيسان) ١٩١٣، الا ان تلك المعاهدة تجاهلت تماما الوضع الجديد الذي احدثه احتلال عبد العزيز للاحساء[٤]. وذلك باشارتها الى الاحساء على انها (سنجق نجد العثماني) وعين الحد الشرقي لذلك السنجق بخط يبدأ من الحافة الجنوبية لخليج الزخنومة ويتجه الى الجنوب رأسا حتى الربع الخالي (ويعرف هذه الحد بالخط الازرق ، وقد رسم على خريطة الحقت بالاتفاقة لكي ينتهي عند خط العرض ٢٠ شمالا) [٥] ولقد جاء في تلك المعاهدة ان الكويت تبقى تحت السيادة العثمانية ولكن الدولة العثماينة لا تتدخل في شؤونها باي وسيلة ولا ترسل اليها جنودا . وقد جاء في بيان سري ملحق بهذه الاتفاقية ان المقصود من التعبير (عدم التدخل في شؤون الكويت : يشمل شؤونه الداخلية والخارجية)[٦] . واما عن قطر والبحرين، فقد وافقت الدولة العثمانية على ان تتنازل عن أي حق لها في تلك البلاد[٧] ، وبهذا نلاحظ أن الدولة العثمانية خرجت من تلك المعاهدة خاسرة لبعض المناطق التي كانت قد بذلت الكثير من جهدها للاحتفاظ بها منذ عام ١٨٧١، وان كل ما اعترفت بريطانيا به من سيادة للعثمانيين على الاحساء والكويت كان يناقض الواقع، اذ كانت الاحساء قد خرجت من دائرة النفوذ العثماني المباشر باحتلال (عبد العزيز) للاحساء في ابريل عام ١٩١٣ ، وان الكويت ايضا كانت بالفعل قد خرجت من دائرة النفوذ العثماني منذ عام ١٨٩٩ وذلك عندما وقعت مع بريطانيا معاهدة الحماية في تلك السنة . ولكن المعاهدة التركية البريطانية الموقعة في عام ١٩١٣ لم تدخل مرحلة التنفيذ ولم يصادق عليها، ونشبت الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ وانتهى على اثرها الوجود العثماني اطلاقا من الخليج .

---

(١) لوريمر ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص١٤٩٧- ١٥٠٠.
انظر ايضا : جمال زكريا قاسم ، المصدر السابق ،ص٢٥٣ .
(٢) جمال زكريا قاسم ، المصدر السابق ، ص٢٥٣- ٢٥٤.
(٣) ساطع الحصري ، البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص٢٠٤.
(٤) عمان والساحل الجنوبي للخليج الفارسي ، ص٨٤.
(٥) نفس المصدر ، ص٨٥.
(٦) الحصري ، المصدر السابق ، ص٢٠٥.
(٧) المصدر نفسه، ص ٢٠٥.

استعادة الامير عبد العزيز آل سعود للاحساء عام ١٩١٣ :

ولد الامير عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود حوالي ١٨٨٠ في مدينة الرياض ، وقد صحب اباه اثناء تنقله في بادية الاحساء على اثر مغادرتها نجدا عام ١٨٩١ في اعقاب معركة المليداء، وقد استقر المطاف باسرته في الكويت وكان عبد العزيز لا يزال في التاسعة من عمره ، فترعرع في قصر الشيخ (مبارك الصباح) شيخ الكويت ، الذي اشتهر بحذقه السياسي ، وعلى يديه تلقى دروسه الاولى في السياسة . وكان الشيخ مبارك يؤيد الامير عبد الرحمن وابنه عبد العزيز في تطلعاتهما لاستعادة ملكهما المغتصب [١] مما جعل (آل الرشيد) يفقدون موقف العداء من شيخ الكويت ولما كانت الدولة العثمانية تقف الى جانب أمراء حائل الذين لم يخفوا مطامعهم في الكويت، لذا راح شيخ الكويت يعقد مع بريطانيا معاهدة ١٨٩٩ لكي يحافظ على استقلال امارته التي اخذ آل الرشيد يضيقون عليها الخناق[٢]. ولكي يفوت الفرصة على آل الرشيد قام شيخ الكويت في اوئل عام ١٩٠١ بغزو لنجد وكان عبد العزيز يرافقه اثناء ذلك ، فوجد ان الفرصة مناسبة لاحتلال الرياض ، وزحف عليها بجيش صغير بعد موافقة شيخ الكويت ، واستطاع ان يحتلها، ولكنه لم يتمكن من احتلال قلعتها التي تحصنت فيها حامية من قبل آل الرشيد. وفي هذا الوقت كان الشيخ مبارك يخوض معركة مع اعدائه في مكان يسمى (الصريف) في ١٦ فبراير ١٩٠١ ، قرب (بريدة) اسفرت عن خسارته وعودته للكويت[٣] .

اضطر عبد العزيز على اثر ذلك للانسحاب من الرياض بعد احتلال لها دام اربعة اشهر ، ثم عاد الى الكويت ، وفي اواخر ١٩٠١ غادر الكويت مع اربعين رجلا من اتباعه واتجه بهم الى بادية الاحساء حيث اخذ يغير على حدود بعض بلدان نجد، وفي نفس الوقت اخذ يجمع حوله رجال القبائل الموالية له واستطاع في وقت قصير ان يكون جيشا بلغ تعداده حوالي الفي رجل ، فلما علم ابن الرشيد بما يقوم به عبد العزيز ، كتب الى والي البصرة ، الذي اسرع في الاتصال بمتصرف الاحساء طالبا اليه منع (عبد العزيز) ورجاله من التزود بالمؤن من الاحساء، وطلب اليه ايضا مقاومته بكل وسيلة ممكنة ، ولقد نجح متصرف الاحساء في تضييق الخناق على عبد العزيز، فانقض رجال القبائل من حوله ولم يبق معه الا صحبة الذين خرجوا معه من الكويت ونفر قليل ممن تبقى من جيشه السالف الذكر ، ولكن ذلك لم يثن من عزيمة الامير الذي راح يزحف الى الرياض بهذا العدد القليل من الرجال وفي غفلة من حامية الرياض ، استطاع (عبد العزيز) ورجاله دخول المدينة ومحاصرة قلعتها، وفي صباح يوم ١٥ يناير ١٩٠٢ استطاع ان يقضى على حاكم المدينة (عجلان) الذي كان عاملا لابن الرشيد على الرياض واعتبر احتلاله للرياض منعطفا تاريخيا هاما في حياة السعوديين وبداية عهد جديد في تاريخ الاسرة السعودية [٤] .

---

(١) محمد انيس ، الدولة العثمانية والمشرق العربي (١٥١٤ ـ ١٩١٤) ص٢٣٧.
انظر ايضا : فؤاد حمزة ، قلب جزيرة العرب ، ص٣٦٧.
(٢) جلال يحيى، العالم العربي الحديث، ص ٢٥ ـ ٣٦.
انظر ايضا، زهرة ديكسون، الكويت كانت منزلي، ص٢٩.
(٣) وثائق سعودية ـ التحكيم لتسوية النزاع الاقليمي بين ابو ظبن ومسقط والمملكة العربةي السعودية . عرض الحكومة السعودية جـ ١، ص٢٣٧.
انظر ايضا : الريحاني ، نجد وملحقاته ، ص١١٩.
(٤) التحكيم لتسوية النزاع الاقليمي بين ابو ظبي ومسقط والمملكة العربية السعودية ـ عرض الحكومة السعودية ج١، ص٢٧٦ـ ٢٧٧.
انظر ايضا : الريحاني ، المصدر السابق ، ص١٢٠ـ ١٢٦.
انظر ايضا : Bidwell , the Affairs of Kuwait , Introduction P. XV.

وبعد نجاح الامير السعودي في استرداد الرياض غادر ابوه الكويت ليلتحق به ، وقبيل مغادرته الكويت ارسل رسالة الى المقيم البريطاني في (بوشهر) يخبره بان أحد الموظفين الروس اتصل به وعرض عليه مساعدات بلاده ، ولكنه رفضها، وانه يفضل ان يتعاون مع بريطانيا، ولكن البريطانيين لم يردوا عليه ، لان حكومتهم لم تكن آنذاك مهتمه بشؤون داخل الجزيرة العربية (١) .

اخذ عبد العزيز يعمل جاهدا على توطيد حكمه في نجد، وبدا بتوسيع رقعة حكمه على حساب آل الرشيد، فحاول ان يضم القصيم الى ملكه ، مما اثار عضب السلطات العثمانية في العراق فراحت ترسل في مايو عام ١٩٠٤ قوات كبيرة لتعزيز ابن الرشيد (٢) ، فاضطر عبد العزيز للاتصال بالانجليز اذ ارسل الى المقيم البريطاني في الخليج (السير برسي كوكس) يحتج على تدخل الاتراك في شؤون بلاده ، ويطلب منه مساعدة البريطانيين ، الا ان الحكومة البريطانية لم تقم باي عمل يشجع عبد العزيز ، لانها كانت لا تفضل التدخل في شؤون داخل الجزيرة العربية (٣) . الا ان عبد العزيز استطاع ان يقارع جيوش آل الرشيد المدعمة بالعثمانيين ويتغلب عليهم في معركتي البكرية وشنانة في اواخر عام ١٩٠٤ . ولكن ارضاء لشيخ الكويت الذي كان قد اجاره سابقا اضطر عبد العزيز ان يدخل في مفاوضات مع العثمانيين اذ ارسل اباه لتلك المفاوضات التي كانت تهدف لجعل منطقة القصيم منطقة محايدة ترابط فيها قوات عثمانية ، وبينما كانت المفاوضات تجري بين الطرفين قامت ثورة في اليمن عام ١٩٠٤ اضطرت العثمانيين لسحب قسم من جيشهم في القصيم ليعززوا وجودهم في اليمن(٤) ، ولذلك اغتنم الامير السعودي الفرصة عام ١٩٠٦ فانقض على آل الرشيد واوقع هزيمة ساحقة في معركة (روضة المهنا) التي قتل فيها زعيم آل الرشيد (الامير عبد العزيز بن متعب)(٥) وعلى اثرها راح عبد العزيز يطلب الى القوات العثمانية مغادرة القصيم، فارتحلت الى المدينة المنورة والى العراق، واصبح عبد العزيز سيد نجد بلا منازع (٦) .

ادرك عبد العزيز انه اصبح قادرا على تصفية حسابه مع العثمانيين في الاحساء ، اذ كان يدرك بأن الاحساء منفذ بلاده الوحيد الى الخليج العربي ، الذي يمكن ان يصله بالعالم الخارجي ، لذا راح عام ١٩٠٦ يرسل الى الوكيل السياسي البريطاني في البحرين الكابتن (بريدو F. B. Prideaux) احد اتباعه يخبره بأن الامير السعودي اصبح يشعر انه يملك القوة الكافية التي تمكنه من طرد العثمانيين من الاحساء ، ولذا فانه يرغب في الدخول في معاهدة صداقة مع الحكومة البريطانية لكي تقوم بحماية سواحل بلاده ضد هجمات العثمانيين وانه على استعداد ان يسمح للبريطانيين بتعيين وكيل سياسي لهم في الاحساء او في القطيف (٧) . ولكن الكابتن (بريدو) لن يشجع تلك المقترحات الا ان (الميجر كوكس) كان يدرك ان عبد العزيز اصبح سيد وسط شبه الجزيرة العربية وان على الحكومة البريطانية ان ترسم سياسة جديدة بهذا الشأن ، ولذا راح يرسل في ١٦ سبتمبر عام ١٩٠٦ رسالة الى حكومة الهند يشرح فيها الفوائد التي يمكن ان تعود على البريطانيين من اتفاقهم مع عبد، العزيز ، وهي :

اولا : إن تجاهل محاولاته المتعددة لانشاء علاقة مع بريطانيا يخلق منه عدوا لها.

---

(١) التحكيم لتسوية النزاع الاقليمي بني مسقط وابو ظبي وبين المملكة العربية السعودية ـ عرض الحكومة السعودية جـ ١، ص٢٨٠.
انظر ايضا : Bidwell , Op. Cit. P. XV.
(٢) Ibid , P. XV.
(٣) عمان والساحل الجنوبي للخليج الفارسي ، ص٧٥.
(٤) الريحاني ، المصدر السابق ، ص١٤٧ـ ١٥٠.
انظر ايضا ، محمد عبد الله ماضي ، النهضات الحديثة في جزيرة العرب ، ص١١٢ـ ١١٤.
(٥) محمد عبد الله ماضي ، نفس المصدر ، ص١١٥.
(٦) الريحاني ، المصدر السابق، ص١٦٢ ـ ١٦٣ .
(٧) التحكيم لتسوية النزاع الاقليمي بين مسقط وابو ظبي وبين المملكة العربية السعودية ـ عرض الحكومة السعودية ، جـ ١، ص ٢٩٠.

ثانيا: ان التفاهم معه سيزيل قلق سلطان مسقط وشيوخ الساحل المهادن ، ويحسن من علاقاتهم مع بريطانيا .
ثالثا : ان دعم بريطانيا لابن سعود سيساعدها على القضاء على القرصنة في القسم الشمالي من الخليج .
رابعا : ان هناك دلائل تشير الى ان تدخل العثمانيين في اواسط الجزيرة العربية سيوحد قبائل العرب تحت زعامة ابن سعود واذا لم تبادر بريطانيا الى دعمهم ، فقد يدفعهم ذلك الى الاستعانة بدولة اخرى[١] .

وهنا نلاحظ ان سير برسي كوكس كان يرغب حكومته في عقد معاهدة مع ابن سعود ، الا ان حكومة الهند، بعد مضي وقت طويل ، وبعد ان كان عبد العزيز قد عاود الاتصال مرة اخرى بالسلطات البريطانية عن طريق شيخ قطر في اكتوبر عام ١٩٠٦ ، ارسلت الى (كوكس) مقترحة عليه ان يرد على عبد العزيز بما يلي : (مع رغبة الحكومة البريطانية الشديدة في توثيق العلائق الودية مع الامير ، طالما هو يحترم مصالحها ومعاهداتها مع امراء الساحل ، ذلك قد يحرض الحكومة التركية على مناوئته)[٢] . ولكن وزارة الهند لم توافق على الرد المقترح الذي بعثت به حكومة الهند وارسلت الى كوكس تقول : (اذا كان لا بد للمقيم البريطاني في الخليج من ان يرد على وسطاء ابن سعود ، فعليه ان يبلغهم ان مقترحات الامير تنطوي على اعتبارات ترى حكومة جلالة الملكة استحالة قبولها واذن فليس عليه ان يتوقع ردا)[٣] . وعلى اثر هذا الرد كان عبد العزيز حرا في ان يتقدم نحو ساحل عمان ليتدخل في شؤون شيوخه نكاية في بريطانيا التي انتابها القلق من زيارته لسواحل قطر عام ١٩٠٥ وراح يراسل آنذاك شيوخ الساحل المهادن فاضطرت بريطانيا يومها الى الاحتجاج على زيارته تلك وطلبت اليه عن طريق شيخ الكويت ان لا يحاول التدخل في شؤون بلدان ذلك الساحل الا ان عبد العزيز آثر الا يصطدم مع البريطانيين وراح يعد العدة معتمدا على نفسه لأنهاء وجود العثمانيين في الاحساء . ولقد كانت هناك عدة دوافع ملحة تدعوه لاحتلال الاحساء واعادتها الى ملكة. منها :
أولا : الحصار الذي يفرضه وجود العثمانيين في الاحساء على نجد ، فلقد اصبح عبد العزيز يدرك اهمية وجود منفذ لبلاده على البحر ، لتصريف تجارته، وخاصة بعد ان اغلق الشريف حسين عليهم طريق الحجاز .
ثانيا : كانت الاحسا مأوى لقبائل العجمان وآل مرة الذين كثرت تعدياتهم على قوافل السعوديين التجارية الذاهبة الى الكويت او القادمة منها فاحتلال الاحساء سيقطع دابر قطاع الطرق .
ثالثا: كانت الاحساء قاعدة للعثمانيين وكثيرا ما صدرت منها مساعدات لابن الرشيد في حروبه ضد السعوديين .
رابعا : كان يريد ان يفتح الاحساء ليطرد العثمانيين الذين كان يعتبرهم محتلين لجزء من بلاده خاصة بعد ان توترت العلاقات على اثر تحريضهم للشريف حسين ضده .
خامسا : كانت الاحساء تموج بالقوافل والفتن، وكانت حامياتها قليلة مما اغرى عبد العزيز بأن ينتهز الفرصة لاستعادتها من أيدي العثمانيين [٤] .
كان عبد العزيز يرقب الاحداث ، ففي عام ١٩١١ اندلعت الحرب الايطالية العثمانية ثم تبعتها الحرب العثمانية البلقانية عام ١٩١٢ ، فانتهز الفرصة وراح يعد العدة للزحف على الاحساء[٥] ، وفي ابريل

---

(١) نفس المصدر ، ص٢٩٠.
انظر ايضا : جمال زكريا قاسم ، المصدر السابق، ص٣٠٦.
(٢) جمال زكريا ، المصدر السابق ، ص٣٠٨.
(٣) عمان والساحل الجنوبي للخليج الفارسي ، ص٧٧.
انظر ايضا : جمال زكريا ، المصدر السابق ، ص٣٠٩.
(٤) محمد عبد الله ماضي ، المصدر السابق، ص١٢٥.
انظر ايضا : محمد سعيد المسلم ، المصدر السابق، ص١٩٣.
(٥) جلال يحيى ، العالم العربي الحديث ، ص٢٩.

عام ١٩١٣ زحف بجيش قوامه ٦٠٠ جندي الى آبار الخنفس ومنها الى الاحساء ونزل على بعض آبار المياه القريبة من مدينة الهفوف ، فعلم به متصرف الاحساء فبعث يسأله عن مقصده ، واجابه عبد العزيز بأنه انما جاء ليغزو بعض قبائل البدو المعادية وانه سيتزود ببعض حاجيات جيشه من الاحساء ثم يعود، وفعلا ارسل بعض اتباعه في قافلة الى المدينة لشراء التمور الارز وبعض الحاجيات الاخرى(١) ، ولا استبعد ان يكون اولئك عيونا لعبد العزيز ليقفوا على تحصينات المدنية وعلى مركز الحاميات العثمانية فيها. ولم يكن في المدينة آنذاك اكثر من ١٢٠٠ جندي عثماني ، وكانت هناك حامية صغيرة في القطيف وبعض الحاميات الصغيرة جدا متفرقة في انحاء الاقليم. وفي مساء يوم ٨ مايو عام ١٩١٣ اجتمع بقادته واعطاهم بعض التعليمات الحربية الخاصة باحتلال المدينة ، وزحف مع جيشه يغطيهم سعف النخيل، وكان رجاله مزودين بالحبال اللازمة لتسلق الاسوار ، في منتصف الليل هجم على المدينة واستطاع احتلالها قبل ان يصحو العثمانيين من نومهم، ولم يلق في فتحها الا مقاومة ضئيلة (٢). وفي صباح اليوم التالي استسلم متصرف الاحساء وجنود الحامية فأعطاهم عبد العزيز الامان، وقام بترحيلهم الى العقير ومنها الى البحرين، ولقد حاول العثمانيين مهاجمة الاحساء من البحرين ولكنهم فشلوا، ولقد احتج عبد العزيز على السماح للعثمانيين باتخاذ جزيرة البحرين مركزا للاعتداء على سواحل بلاده المحررة ، وبعث بنسخ من ذلك الاحتجاج للشيخ عيسى وللمقيم البريطاني في الخليج ، وراح يؤكد من جديد لذلك المقيم رغبته في التعاون مع بريطانيا، وربما كانت بريطانيا بسماحها للعثمانيين بالعمل ضد عبد العزيز من البحرين، تحاول صرف نظر عبد العزيز عن التقدم من الاحساء نحو بلدان الساحل المهادن(٣).

ولما كان عبد العزيز يعلم جيدا ان قبائل الاحساء قد سيطرت على طرق القوافل وعملت سلبا ونهبا طوال فترة حكم الاتراك للاقليم ، فانه راح يعين على الاحساء نائبا عنه يعرف بمقدراته على اقرار الامن بالاضافة الى انه كان يحوز ثقة الامير ـ كان ذلك الرجل هو ابن عمه (عبد الله بن جلوي) الذي كان عند حسن ظن الامير به فأدار شؤونها بيد عادلة(٤) .

ولما ادرك العثمانيون ان لافائدة من محاولاتهم استعادة الاحساء بعثوا الى عبد العزيز وفدا برئاسة طالب النقيب، فاجتمع به في (الصبيحية) في ١ ابريل ١٩١٤ جنوب الكويت وعرض عليه شروطا اهمها :

اولا : ان يقبل السيادة العثمانية على بلاد نجد .

ثانيا : ان يكون متصرفا للاحساء لمدة عشرة سنوات من قبل الدولة ويجوز تجديد هذه المدة .

ثالثا : ان يؤدي ستة آلف ليرة سنويا الى خزينة البصرة .

رابعا : ان يوافق على ان ترابط حامية عثمانية في القعير لتحصين القلاع وبسط الامن في داخل البلاد .

انظر ايضا : محمد انيس ، المصدر السابق، ص٢٣٩.

(١) محمد عبد القادر الانصاري ، المصدر السابق، جـ ١، ص٢٠٧.

(٢) H. St. Jahn Philpy , Saudi Arabia , P. 266-267.

انظر ايضا : ARAMCO . Hand Book , P. 59.

انظر ايضا : فؤاد حمزة ، المصدر السابق ، ص٣٧٦ ـ ٣٧٨.

(٣) جمال زكريا ، المصدر السابق ، ص٣١٢.

(٤) جمال زكريا قاسم ، المصدر السابق، ص٣١٢.

خامسا : ان لايبرم اي معاهدة مع دولة ما وان يخضع للمعاهدات التي تعقدها الدولة العثمانية(1).

ولكن هذه المقترحات رفضت من قبل عبد العزيز ، ولم يوافق الا على البند الاول منها ، وانتهى الامر بان وافقت الدولة على تعيينه واليا على نجد والاحساء واصدر السلطان فرمانا بذلك في ١٥ مايو ١٩١٤ ومنحه الوسام المجيدي الاول(2) .

وهكذا استطاع الامير عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل ان يستعيد الاحساء من قبضة العثمانيين بعد احتلال دام اكثر من اربعين عاما، وفي ابريل عام ١٩١٤ وبعد ان اصبحت الاحساء تحت سلطته الفعلية اجتمع عبد العزيز مع ممثلي الحكومة البريطانية في الكويت والبحرين في العقير وكان ذلك الاجتماع مقدمة لعقد معاهدة العقير مع الانجليز التي وقع عليها كل من الامير عبد العزيز ، والسير برسي كوكس في ٢٦ ديسمبر عام ١٩١٥ وقد اعترف الانجليز فيها بأن (نجدا والحسا والقطيف والجبيل وتوابعها والتي يبحث فيها وتعين اقطارها فيما بعد ومراسيها في خليج فارس هي بلاد ابن سعود)(3) .

وهكذا استطاع عبد العزيز بعد احتلاله للاحساء ان يضمها الى نجد لتصبح اهم اقليم في المملكة التي انشأها فيما بعد، ولم يكن الامير السعودي وهو يصر على استعادة الاحساء يعلم بأنه انما يجاهد في سبيل امتلاك اكبر امبراطورية للنفط في الشرق العربي، ولكنه كان يؤمن بأن الاحساء كما كانت قديما ولا تزال نافذة بلاده على الخليج وعلى العالم الخارجي، بالاضافة الى ما لها من اهمية اقتصادية واستراتيجية ولذا اصر على استعادتها فتحقق له ما اراد.

هكذا نكون قد عرضنا في بحثنا هذا لتاريخ الاحساء السياسي في الفترة الواقعة ما بين عامي ١٨١٨ و ١٩١٣ ، ورأينا كيف تعاقبت على هذا الشريط الساحلي ثلاث قوى رئيسية في هذه الفترة ، هي الدولة المصرية في عهد محمد علي ، والدولة السعودية الثانية في عهد فيصل بن تركي ، واخيرا الدولة العثمانية . ورااينا كيف كانت هذه القوى الثلاث قد حاولت الانطلاق من الاحساء لتوسيع دائرة نفوذها في بلدان الخليج ، ولكننا ادركنا ان السلطات البريطانية كانت قد بدأت تأخذ لها مركزا ممتازا في مياه هذا الخليج منذ مطلع القرن التاسع عشر ، استطاعت ان تقاوم كل المحاولات، المصرية، والسعودية، والعثمانية، وان تعمل جاهدة على تفتيت وحدة الخليج ، فخلقت كيانات سياسية متعددة وكانت تهدف من وراء ذلك الى اضعاف سكان المنطقة لكي لا يستطيعوا الوقوف في وجهها.

ولقد درسنا في هذا البحث بالتفصيل كيف كانت الاحساء القاعدة الوحيدة التي انطلقت منها قوة المقاومة للسياسة البريطانية في الخليج ، وان كنت ترى ان القوى الاسلامية الثلاث التي انطلقت من الاحساء محاولة مد سيطرتها على بلدان الخليج لتجعل منه وحدة واحدة امام تعنت السلطات البريطانية المسيطرة على هذا الخليج، كانت تفتقد عناصر القوة الذاتية ، فالقوات المصرية كانت قد وصلت الى ساحل الخليج العربي عبر اواسط الجزيرة العربية ، ولم تجد السفن الحربية القادرة على حفظ الامن على شواطئ الاحساء ولم تثبت نديتها للقوى البريطانية الجبارة آنذاك، بينما كان قائد القوات المصرية في الحملة الثانية (خورشيد باشا) شخصية فذة وقادرة على استقطاب قبائل العرب. ولقد ادرك الانجليز مهارته وقدراته ، وعرفوا ان الجيش المصري الذي يقاتل على جبهتين في الشام والجزيرة العربية لايمكنه ان يحقق النصر الا اذا زود باسطول حربي او بعض القطع التي تساعده على حماية شواطئه ، ولذا راحوا يضغطون على حكومة القاهرة ، لكي لا ترسل سفنا الى سواحل الاحساء، ووقفوا مع العثمانيين ضد المصريين لانهم كانوا يخشون من سياسة محمد علي التوسعية .

---

(1) المصدر نفسه ، ص٣١٥.
(2) خزعل ، تاريخ الكويت السياسي ، جـ٢ ، ص٢١١.
انظر ايضا : محمد انيس ، المصدر السابق ، ص٢٣٩.
(3) عمان والساحل الجنوبي للخليج الفارسي ، ص٩٢.

وقد خصصنا الفصل الاول والثاني من هذا البحث لمعالجة احداث الدور الاول. وفي الدور الثاني دور مرحلة السيادة السعودية على الاحساء في عهد فيصل بن تركي، ادركت السلطات البريطانية ان فيصل استطاع ان يخضع معظم ساحل الخليج جنوب الاحساء حتى عمان لسيطرته، سواء كانت تلك السيطرة اسمية او فعلية ، ولذا راحت تحتج على تدخل قواته في مسقط ، وقامت بضرب سواحل الاحساء بالمدفعية ، احتجاجا على سياسة (فيصل) التي اعتبرها البريطانيون معادية لهم. وكما رأينا في الدور الاول ـ فإن السعوديين ايضا كانوا فاقدين لعنصر هام من عناصر التحدي ـ الا وهو الاسطول ، ولقد خصصنا الفصل الثالث من هذه الرسالة لمعاجلة الدور الثاني .

وجاء الدور الثالث ، فشهدت الاحساء قوة جديدة تسيطر على سواحلها كانت تلك الدولة هي الدولة العثمانية ، ولقد لمسنا ان عهد الدولة العثمانية في الاحساء كان كثير القلاقل والفتن ، وكان الوضع الدخلي قد وصل الى حالة من السوء بحيث انفجرت اعمال القرصنة على شواطئ الاحساء مما دعا السلطات البريطانية للتدخل لقمع مثل تلك الاعمال . والحقيقة ان الجولة البريطانية كانت قد قاومت العثمانيين منذ اللحظات الاولى لغزوهم للاحساء، وظلت تعارض خطط العثمانيين التي كانت ترمي للتوسع في بعض بلدان الخليج حتى عام ١٩١٣ . ولقد خصصنا الفصل الرابع والخامس لمعالجة احداث هذه الفترة . وعندما عادت الاحساء للامير السعودي عام ١٩١٣ حاولت بريطانيا ان تمنعه من التوسع او مد نفوذه من الاحساء الى الساحل المهادن أو بلدان الخليج العربي الاخرى .